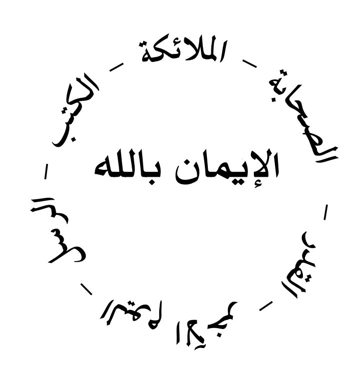


# الجامع الصحيح لأدلة الاعتقاد




## ❑ كتاب الإيمان بالرسل ❑

تأليف

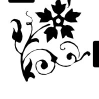
سيد عبد العزيز

إشراف

أبي إسحاق السمنودي

مجدي بن عطية حمودة

المجلد الرابع



# الجامع الصحيح لأدلة الاعتقاد

## كتاب الإيمان بالرسل

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



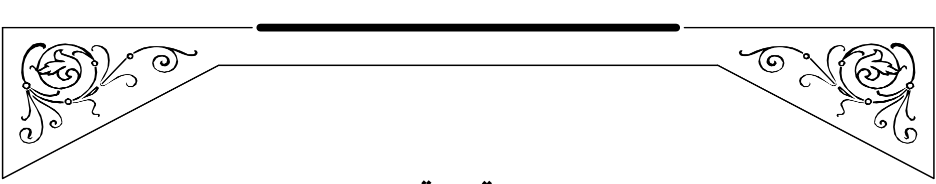
رقم الإيداع: ٨٢٨١ / ٢٠١٥م

الناشر

المكتب العلمي لتحقيق التراث

٠١٠٠٢٠٥٧٢٣٩


بسم الله الرحمن الرحيم



## مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَهْلِ الْحَمْدِ وَوَلِيِّهِ، الْمَنَّانِ، الْجَوَّادِ، الَّذِي ثَوَابُهُ جَزْلٌ، وَعَطَاؤُهُ فَضْلٌ، وَأَيَادِيهِ مُتَتَابِعَةٌ، وَنِعْمَاؤُهُ سَابِغَةٌ، وَإِحْسَانُهُ مُتَوَاتِرٌ، وَحُكْمُهُ عَدْلٌ، وَقَوْلُهُ فَصْلٌ، حَصَرَ الْأَشْيَاءَ فِي قُدْرَتِهِ، وَأَحَاطَ بِهَا عِلْمُهُ وَنَفَذَتْ فِيهَا مَشِيئَتُهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

**أَمَّا بَعْدُ فَيَا إِخْوَانِي،** وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِأَقْصَدِ الطَّرِيقِ وَأَهْدَاهَا، وَأَرْشَدِ السُّبُلِ وَأَسْوَاهَا، فَهِيَ طَرِيقُ الْحَقِّ الَّتِي اخْتَارَهَا وَارْتَضَاهَا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ أَقْصَدُ الطُّرُقِ، وَمَنَاهِجَهُ أَوْضَحُ الْمَنَاهِجِ، وَهِيَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَجَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَلَمْ يَكُنْ رَأْيًا مُتَّبَعًا وَلَا هَوًى مُبْتَدَعًا وَلَا إِفْكًا مُخْتَرَعًا، وَهُوَ الْإِقْرَارُ لِلَّهِ بِالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَوْلِي عَلَى الْأُمُورِ، سَابِقُ الْعِلْمِ بِكُلِّ كَائِنٍ، وَنَافِذُ الْمَشِيئَةِ فِيمَا يُرِيدُ، كَانَ الْخَلْقُ كُلُّهُ وَكُلُّ مَا هُوَ فِيهِ بِقَضَاءٍ وَتَدْبِيرٍ، لَيْسَ مَعَهُ شَرِيكٌ وَلَا دُونَهُ مُدَبِّرٌ وَلَا لَهُ مُضَادٌّ، بِيَدِهِ تَصَارِيفُ الْأُمُورِ، وَهُوَ الْآخِذُ بِعُقَدِ النَّوَاصِي، وَالْعَالِمُ بِخَفِيَّاتِ الْقُلُوبِ وَمَسْتُورَاتِ الْغُيُوبِ، فَمَنْ هَدَاهُ بِطَوْلٍ مِنْهُ اهْتَدَى، وَمَنْ خَذَلَهُ ضَلَّ بِلَا حُجَّةٍ وَلَا عُذْرٍ.

خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَخَلَقَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَهْلًا هُمْ سَاكِنُوهَا، أَحْصَاهُمْ عَدَدًا، وَعَلِمَ أَعْمَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ شَقِيًّا وَسَعِيدًا، وَغَوِيًّا وَرَشِيدًا.

وَخَلَقَ آدَمَ عليه السلام وَأَخَذَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَدَّرَ أَعْمَالَهُمْ، وَقَسَّمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى آجَالَهُمْ، وَعَلِمَ أَعْمَالَهُمْ، فَكُلُّ أَحَدٍ

يَسْعَى فِي رِزْقٍ مَقْسُومٍ وَعَمَلٍ مَحْتُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، قَدْ عَلِمَ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا، فَلَا مَحِيصَ لَهَا عَمَّا عَلِمَهُ مِنْهَا، وَقَدَّرَ حَرَكَاتِ الْعِبَادِ وَهِمَمَهُمْ وَهَوَاجِسَ قُلُوبِهِمْ وَخَطَرَاتِ نُفُوسِهِمْ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يَتَحَرَّكُ حَرَكَةً وَلَا يَهِمُّ هِمَّةً إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَخَلَقَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَخَلَقَ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَامِلًا يَعْمَلُ بِهِ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ إِلَّا لَمَّا خُلِقَ لَهُ.

وَأَرَادَ قَوْمًا لِلْهُدَى، فَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلْإِيمَانِ وَحَبَّبَهُ إِلَيْهِمْ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَرَادَ آخَرِينَ لِلضَّلَالِ فَجَعَلَ صُدُورَهُمْ ضَيِّقَةً حَرِجَةً، وَجَعَلَ الرِّجَاسَةَ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِأَوَامِرَ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ فَرَائِضَ، فَلَنْ يُؤَدُّوهَا إِلَيْهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَمَعُونَتِهِ، وَحَرَّمَ مَحَارِمَ وَحَدَّ حُدُودًا، فَلَنْ يَكُفُّوا عَنْهَا إِلَّا بِعِصْمَتِهِ، فَالْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ لَهُ، وَوَاقِعَةٌ عَلَيْهِمْ حُجَّتُهُ غَيْرَ مَعْذُورِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ[(١)].

إِنَّ أَوْجَبَ مَا عَلَى الْمَرْءِ مَعْرِفَةُ اعْتِقَادِ الدِّينِ، وَمَا كَلَّفَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ فَهْمِ تَوْحِيدِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ بِالدَّلَائِلِ وَالْيَقِينِ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى طُرُقِهَا وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ.

**وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَقُولٍ، وَأَوْضَحِ حُجَّةٍ وَمَعْقُولٍ:**

كِتَابُ اللَّهِ الْحَقُّ الْمُبِينُ.

ثُمَّ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ الْمُتَّقِينَ.

ثُمَّ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ.

ثُمَّ التَّمَسُّكُ بِمَجْمُوعِهَا وَالْمُقَامُ عَلَيْهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ الِاجْتِنَابُ عَنِ الْبِدَعِ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَيْهَا مِمَّا أَحْدَثَهَا الْمُضِلُّونَ.

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٣/ ٢٣٥).

فَهَذِهِ الْوَصَايَا الْمَوْرُوثَةُ الْمَتْبُوعَةُ، وَالْآثَارُ الْمَحْفُوظَةُ الْمَنْقُولَةُ، وَطَرَائِقُ الْحَقِّ الْمَسْلُوكَةُ، وَالدَّلَائِلُ اللَّائِحَةُ الْمَشْهُورَةُ، وَالْحُجَجُ الْبَاهِرَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتِي عَمِلَتْ عَلَيْهَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ خَاصَّةِ النَّاسِ وَعَامَّتِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَاعْتَقَدُوهَا حُجَّةً فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. ثُمَّ مَنِ اقْتَدَى بِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ، وَاقْتَفَى آثَارَهُمْ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ، وَاجْتَهَدَ فِي سُلُوكِ سَبِيلِ الْمُتَّقِينَ، وَكَانَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

فَمَنْ أَخَذَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَحَجَّةِ، وَدَاوَمَ بِهَذِهِ الْحُجَجِ عَلَى مِنْهَاجِ الشَّرِيعَةِ؛ أَمِنَ فِي دِينِهِ التَّبِعَةَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَتَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَاتَّقَى بِالْجُنَّةِ الَّتِي يُتَّقَى بِمِثْلِهَا؛ لِيَتَحَصَّنَ بِجُمْلَتِهَا، وَيَسْتَعْجِلَ بَرَكَتَهَا، وَيَحْمَدَ عَاقِبَتَهَا فِي الْمَعَادِ وَالْمَآبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا وَابْتَغَى الْحَقَّ فِي غَيْرِهَا مِمَّا يَهْوَاهُ، أَوْ يَرُومُ سِوَاهَا مِمَّا تَعَدَّاهُ؛ أَخْطَأَ فِي اخْتِيَارِ بُغْيَتِهِ وَأَغْوَاهُ، وَسَلَكَهُ سَبِيلَ الضَّلَالَةِ، وَأَرْدَاهُ فِي مَهَاوِي الْهَلَكَةِ فِيمَا يَعْتَرِضُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَدَفْعِهِمَا بِأَنْوَاعِ الْمِحَالِ وَالْحَيْدَةِ عَنْهُمَا بِالْقِيلِ وَالْقَالِ، مِمَّا لَمْ يُنَزِّلِ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ، وَلَا عَرَفَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ وَاللِّسَانِ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ عَاقِلٍ بِمَا يَقْتَضِيهِ مِنْ بُرْهَانٍ، وَلَا انْشَرَحَ لَهُ صَدْرُ مُوَحِّدٍ عَنْ فِكْرٍ أَوْ عِيَانٍ، فَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وَأَحَاطَ بِهِ الْخِذْلَانُ، وَأَغْوَاهُ بِعِصْيَانِ الرَّحْمَنِ، حَتَّى كَابَرَ نَفْسَهُ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ.

**وَالْآنَ أَيُّهَا الْحَبِيبُ،** فَهَلُمَّ إِلَى تَدَيُّنِ الْمُتَّبِعِينَ، وَسِيرَةِ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَسَبِيلِ الْمُتَقَدِّمِينَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّتِهِ، وَالْمُنَادِينَ بِشَرَايِعِهِ وَحِكْمَتِهِ، الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، وَتَنَكَّبُوا سَبِيلَ الْمُكَذِّبِينَ بِالإِيمَان بِالرُّسُلِ، فَاتَّخَذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا، وَآيَاتِهِ فُرْقَانًا،

وَنَصَبُوا الْحَقَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ عِيَانًا، وَسُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُنَّةً وَسِلَاحًا، وَاتَّخَذُوا طُرُقَهَا مِنْهَاجًا، وَجَعَلُوهَا بُرْهَانًا، فَلَقَوُا الْحِكْمَةَ، وَوُقُوا مِنْ شَرِّ الْهَوَى وَالْبِدْعَةِ؛ لِامْتِثَالِهِمْ أَمْرَ اللَّهِ فِي اتِّبَاعِ الرَّسُولِ، وَتَرْكِهِمُ الْجِدَالَ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ.

ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنَ الْأَعْصَارِ إِمَامٌ مِنْ سَلَفٍ، أَوْ عَالِمٌ مِنْ خَلَفٍ، قَائِمٌ لِلَّهِ بِحَقِّهِ، وَنَاصِحٌ لِدِينِهِ فِيهَا، يَصْرِفُ هِمَّتَهُ إِلَى جَمْعِ اعْتِقَادِ أَهْلِ الْحَدِيثِ عَلَى سُنَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَآثَارِ صَحَابَتِهِ، وَيَجْتَهِدُ فِي تَصْنِيفِهِ، وَيُتْعِبُ نَفْسَهُ فِي تَهْذِيبِهِ؛ رَغْبَةً مِنْهُ فِي إِحْيَاءِ سُنَّتِهِ، وَتَجْدِيدِ شَرِيعَتِهِ، وَتَطْرِيَةِ ذِكْرِهِمَا عَلَى أَسْمَاعِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهِمَا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ، أَوْ لِزَجْرِ غَالٍ فِي بِدْعَتِهِ، أَوْ مُسْتَغْرِقٍ يَدْعُو إِلَى ضَلَالَتِهِ، أَوْ مُفْتَتِنٍ بِجَهَالَتِهِ لِقِلَّةِ بَصِيرَتِهِ.

فَأَفْرَغْتُ فِي ذَلِكَ جَهْدِي، وَأَتْعَبْتُ فِيهِ نَفْسِي؛ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَاسْتِنْجَازِ مَوْعُودِهِ فِي اسْتِبْصَارِ جَاهِلٍ، وَاسْتِنْقَاذِ ضَالٍّ، وَتَقْوِيمِ عَادِلٍ، وَهِدَايَةِ حَائِرٍ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ فِيمَا أَخُطُّهُ فِي الحَدِيثِ عَنِ الإِيمَانِ بِالرُّسُلِ، وَالْإِقَالَةَ مِنَ الْخَطَأِ فِيمَا أَنْحُوهُ وَأَقْصِدُهُ[١].

**فاعلم رحمك الله تعالى** أنه يجب عليك الإيمان بالرسل وبأن الله تعالى قد بعث في كل أمة رسولًا يدعوهم إلى التوحيد وشرائع الإيمان، وينهاهم عن الشرك وأنواع العصيان، وبأنه قد بعث في كل أمةٍ من الأمم رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وهذا يتضمن أن دينهم واحد وشرائعهم مختلفة، قال - عليه الصلاة والسلام -: «**نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد**

(١) «الاعتقاد» لابن أبي يعلى (ص: ٣١).

وشرائعنا مختلفة»[(١)].

والإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥].

والإيمان بمَن عَلِمْنا اسمه باسمه، وقد سمى الله في القرآن عددًا من الأنبياء والرسل، ومن لم نعلم اسمه منهم فإننا نؤمن بهم إيمانًا مجملًا كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وتصديق ما صح من أخبارهم مع أممهم، وهذا داخل في الإيمان بأخبار القرآن، فأخبارهم صدق وحق لا يتطرق إليها الكذب بوجهٍ من الوجوه.

والعمل بشريعة مَن أُرسل إلينا منهم وهو خاتمهم وأفضلهم محمد رسول الله ﷺ.

والإيمان الجازم بأن رسالته ﷺ رسالة عامة للثقلين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وأن النبوة مبناها على الاصطفاء والاختيار وهو عائد إلى الله تعالى.

وأما القول بأنها مكتسبة فإنه كفر وخروج عن الملة؛ لأنه مكذب للنص الصريح القاطع، ولأنه يفضي إلى ادعاء النبوة بعده ﷺ.

وأن المتقرر عند أهل السنة أن الرسل أفضل من الأنبياء، وأفضل الرسل أولو العزم.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٣٤٤٣)، ومسلم في «صحيحه» في كتاب الفضائل، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عليه السلام (٢٣٦٥).

هذه المسائل وغيرها قمت بجمعها في هذا البحث الذي أسأل الله أن ينفع به ويهدي وأن يجعله لنا زادًا يوم القدوم عليه.

وقد قسمت البحث على طرائق أهل العلم كما سترى بإذن الله تعالى، والله أسأل حسن القصد والثواب، وأعوذ به سبحانه من سوء السريرة وعدم قبول الأعمال.

**فيا أيها الأخ الكريم**، إن الذي تراه أمامك هو ما كتبته يداي المذنبتان، انتخبته لك من بين أطايب كلام أهل العلم، أضعه بين يديك لتشهد على صاحبه بالإحسان أو التقصير.

ولقد تقرر في القواعد أن عمل البشر مناطه النقص؛ لأنهم ناقصون في ذواتهم وصفاتهم، والمعصوم من عصمه الله تعالى، ويبعد جدًّا ألاَّ نجد عيبًا أو خللًا، فإن تجد عيبًا فسُدّ الخللا فجَلّ من لا عيب فيه وعلا، وانظر فيه بعين المحب المشفق الناصح المستفيد المفيد، لا بعين الناقد الذي همه إخراج الخطأ والبحث عن الزلة.

والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.





# الإيمان بالرسل

الباب الأول: التعريف بالنبي والرسول ومعنى الإيمان بالأنبياء والرسل وأهميته.

الباب الثاني: عدد الأنبياء والرسل والسبيل لمعرفتهم.

الباب الثالث: وظائف الرسل وحاجة البشرية إلى الرسل والرسالات.

الباب الرابع: صفات الرسل وهل هم معصومون؟

الباب الخامس: دلائل النبوة.

الباب السادس: منكرو النبوات وشبهاتهم.

* * *





# الباب الأول: التعريف بالنبي والرسول ومعنى الإيمان بالأنبياء والرسل وأهميته

الفصل الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما مع الترجيح.

المبحث الأول: تعريف النبي.

المبحث الثاني: تعريف الرسول.

المبحث الثالث: الفرق بين النبي والرسول.

المبحث الرابع: الفرق بين النبوة، والمُلْك والسلطان.

المبحث الخامس: الفرق بين النبوات والعبقريات.

المبحث السادس: الفرق بين النبوات والفلسفات.





## المبحث الأول: تعريف النبي

**لكلمة «نبي» في اللغة ثلاثة معانٍ يرجع أصل اشتقاقها إليها وهي:**

**١- النبأ، مهموز الأصل:** أي الخبر، فيكون اشتقاق الكلمة من الفعل نَبَأَ، ونَبَّأَ، وأنبأ، أي أخبر، ونبأ مهموز الأصل، ونبأ أصل يدل على الإتيان من مكان إلى مكان، ومنه سُمي النبأ وهو الخبر؛ لأنه يأتي من مكان إلى مكان وبه سمي النبي؛ لأنه أنبأ عن الله، أي: أخبر عنه، وقد أجازوا همزه وترك الهمز تخفيفًا، وترك همزه هو الأجود عند بعض أهل العلم، بل قال سيبويه: الهمز في النبيء لغة رديئة. يعني لقلة استعمالها لا لأن القياس يمنع ذلك.

**وهذا القول في معنى النبي هو الذي عليه أكثر أهل اللغة[١].**

**وهو الصحيح والأضبط لدليلين: شرعي ولغوي:**

**أما الشرعي:** فقد وردت قراءة سبعية متواترة بقراءة «النبيء» مهموزًا، وهي قراءة نافع[٢]، قرأ بها في جميع القرآن.

قال الشاطبي:

**وجمعًا وفردًا في النبيء     وفي النبوءة الهمز كل غير نافع ابدلا**

---

(١) «الصحاح» للجوهري (١٥/ ٤٨٦)، و«لسان العرب» (١/ ١٦٢)، و«اشتقاق أسماء الله» (٢٩٣، ٢٩٤)، و«معجم مقاييس اللغة» (٥/ ٣٨٥)، و«مختار الصحاح» (٦٤٢)، و«النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٣، ٤).

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة، ثقة صالح، انتهت إليه رئاسة القراءة في المدينة وأقرأ الناس نيفًا وسبعين سنة، توفي سنة (١٦٩) بالمدينة. انظر: «غاية النهاية» (٢/ ٣٣٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٣٦).

**وقالون[١] في الأحزاب في للنبي ... مع بيوت النبي الياء شدد مبدلا[٢]**

أي أن نافعًا انفرد بهمز النبي في جميع القرآن، والبقية قرأوا بترك الهمز إبدالًا، وانفرد قالون عن نافع بترك الهمز في سورة الأحزاب موافقًا فيها بقية القراء.

**وأما اللغوي:** فهو جمع «نبيء» على «نبآء» كما في قول عباس بن مرداس[٣] يمدح النبي ﷺ:

**يا خاتم النبآء إنك مرسل ... بالخير كل هدى السبيل هداكا**

فقال: «نبآء» على أن واحدهم «نبيء» مهموز[٤].

وعليه فالنبي مشتق من «نبأ» مهموز الأصل[٥].

النبي في لغة العرب مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢].

وإنّما سُمّي النبي نبيًّا لأنه مُخْبِرٌ مُخْبَر، فهو مُخْبَر، أي أنَّ الله أخبره، وأوحى إليه: ﴿قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

---

(١) هو عيسى بن مينا بن وردان، قارئ المدينة ونحويها، أخذ القراءة عن نافع وقد كان ربيبه وهو الذي سماه قالون وهي رومية بمعنى جيد، (ت٢٢٠)، انظر: «غاية النهاية» (١/ ٦١٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٢٦).

(٢) «الشاطبية».

(٣) صحابي شهد مع النبي ﷺ الفتح وحنينًا، ويقال: إنه ممن حرم الخمر في الجاهلية، وزعم أبو عبيدة أن الخنساء أمه، وكان ينزل البادية ناحية البصرة. «الإصابة» (٢/ ٢٧٢).

(٤) انظر «الصحاح» (١/ ٧٥)، و«اللسان» (١/ ١٦٢).

(٥) «المفاضلة في العقيدة» للدكتور محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الشظيفي (١٠٣، ١٠٤).

وهو مُخْبرٌ عن الله تعالى أمره ووحيه ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]، ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ [الحجر: ٥١].

**٢- النبوة والنَّباوة، غير مهموز:**

* أي العلو والارتفاع، فيكون اشتقاق الكلمة من الفعل «نَبَا» بدون همز، أي: علا وارتفع.

فالنبوة مشتقة من النَّبْوَة، وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلِق العرب لفظ «النبي» على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها.

والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي تكون بأن النبي من النبوة وهي رفعة المنزلة.

وهو مذهب جماعة من أهل اللغة ولم يجيزوا همزه وخطأوه(١).

**٣- الطريق الواضح:**

وسُمي النبي به لأنه طريق إلى الهدى(٢).

ولعل هذا يرجع إلى الذي قبله؛ لأن الطريق إنما سُمي نبيًّا لأنه ظاهر مستبين، من النَّبْوَة.

**وهذه المعاني كلها تصح في حق النبي لأنَّه مُنَبَّأٌ من الله تعالى، ومُنبِئٌ عنه، كما أنه رفيع القدر عالي المنزلة، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله تعالى.**

**قال ابن فارس(٣)**: (النون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى

---

(١) انظر: «الصحاح» (١٥/ ٤٨٦)، و«لسان العرب» (١٥/ ٣٠٢)، و«اشتقاق أسماء الله» (٢٩٤)، و«معجم مقاييس اللغة» (٥/ ٣٨٤).

(٢) انظر: «الصحاح» (١٥/ ٤٨٦)، و«لسان العرب» (١٥/ ٣٠٢)، و«معجم مقاييس اللغة» (٥/ ٣٨٥)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٥١)، و«لوامع الأنوار البهية» (١/ ٤٩)، و«المواقف» (٣٣٧).

(٣) هو أحمد بن زكريا بن محمد القزويني، وُلد سنة (٣٢٩هـ) لغوي، مشارك في =

مكان، . . . ومن هذا القياس النبأ: الخبر لأنَّه يأتي من مكان إلى مكان، والمنبئ المخبِر، ومَنْ هَمَزَ النبيَّ فلأنَّه أخبر عن الله تعالى)[(١)].

**وقال الجوهري**[(٢)]: (النبأ: الخبر، تقول: نَبَأَ، ونَبَّأَ: أي أخبر، ومنه أُخذ النبيء لأنَّه أنبأ عن الله)[(٣)].

**وقال ابن الأثير**[(٤)]: (النبيء: فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ: الخبر لأنَّه أنبأ عن الله، أي أخبر، ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه. ونُقل عن سيبويه[(٥)] قوله: (ليس أحدٌ من العرب إلاَّ ويقول: تنبَّأ مسيلمة، بالهمز، غير

---

= علوم شتّى، من تصانيفه «المجمل في اللغة»، و«حلية الفقهاء»، و«فقه اللغة»، و«مقاييس اللغة» توفي سنة (٣٩٥هـ). انظر ترجمته في «معجم المؤلفين»، (١/ ٤٠، ٤١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٥٥).

(١) «معجم مقاييس اللغة» (ج٥/ ٣٨٥) تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة دار الجيل، بيروت.

(٢) هو إسماعيل بن حماد التركي الجوهري من أشهر أئمة اللغة، وأشهر كتبه «الصحاح» وكتاب في العَروض، توفي في نيسابور سنة (٣٩٨هـ). انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (١/ ٣١٣).

(٣) «الصحاح» (ج٦/ ٢٥٠٠)، بتحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٣، عام ١٤٠٤هـ. وانظر أيضًا: «لسان العرب» لابن منظور (١/ ١٦٢)، وكذلك «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (٤/ ٣٩٣).

(٤) هو المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري أبو السعادات، المحدِّث، اللغوي، الأصولي، له تصانيف كثيرة منها «النهاية في غريب الحديث»، و«جامع الأصول». توفي سنة (٦٠٦هـ) في إحدى قرى الموصل. انظر ترجمته في «طبقات الشافعية» للإسنوي (١/ ٧٠).

(٥) هو عمرو بن عثمان الحارثي، أبو بشر الملقب «بسيبويه» إمام النحاة، وُلد بشيراز، وقدم البصرة، ولزم الخليل بن أحمد ففاقه وصَنَّف كتابه المسمى «كتاب =

أنَّهم تركوا الهمز في النبيء، كما تركوه في الذرية والبرية والخابية... والهمز في النبيء لغة رديئة يعني لقلة استعمالها لا لأنَّ القياس يمنع من ذلك)[1].

ونقل صاحب «القاموس المحيط»[2] الرواية التي فيها (أنّ النبي ﷺ قال للأعرابي الذي ناداه بـ(يا نبيء الله): «**لا تنبر باسمي، فإنّما أنا نبي الله**» أي بغير همز)[3].

**أمَّا بالنسبة للمعنى الثاني وهو النبوة: أي الرفعة؛ فقال ابن فارس:** (نبو بتسكين الباء أصل صحيح يدل على ارتفاع الشيء عن غيره)[4].

**وقال الجوهري:** (النبوة والنباوة: ما ارتفع من الأرض، فإن جعلت النبي

---

= سيبويه» تُوفي عام (١٨٠هـ). انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» للبغدادي (١٢/ ١٩٥).

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (ج٥/ ٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م؛ وانظر أيضًا: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (ص٤٨٢).

(٢) هو محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزآبادي، من أئمة اللغة والأدب، توفي عام (٨١٧هـ) بشيراز، له مؤلفات كثيرة، أشهرها «القاموس المحيط». انظر ترجمته في «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٦٥٧).

(٣) «القاموس المحيط» (٤/ ٣٩٣)، دار المعرفة، بيروت.

وهذه الرواية أخرجها الحاكم في «مستدركه» (٢/ ٢٣١) من حديث أبي ذر، وقال: على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي وقال: بل منكر لم يصح، فيه حمران أحد رواة الحديث ليس بثقة وهو واهٍ. انظر: «المستدرك على الصحيحين» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بالحاكم النيسابوري وفي ذيله «تلخيص المستدرك» لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٢/ ٢٣١)، دار الكتب العلمية.

(٤) «معجم مقاييس اللغة» (٥/ ٣٨٥).

مأخوذًا منه، أي أنَّه شرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز، وهو فعيل بمعنى مفعول، وتصغيره نُبَي، والجمع أنبياء)[١].

**وقال ابن منظور**[٢]: (وقيل النبي: مشتق من النباوة، وهي الشيء المرتفع)[٣].

**وقال الراغب الأصفهاني**[٤]: (وقال بعض العلماء: هو من النبوة، أي الرفعة، وسُمّي نبيًّا لرفعة محله عن سائر الناس، المدلول عليه بقوله: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ [مريم: ٥٧] فالنبي بغير همز أبلغ من النبيء بالهمز)[٥].

**وقال ابن منظور**: (النبي: الطريق الصحيح)[٦].

ورجَّح شيخ الإسلام ابن تيمية كون النبي مشتقًّا من النبأ، أي الخبر، ذلك لأنَّ الإنباء عن الله - تعالى - هو الذي يميّز الأنبياء عليهم السلام عن غيرهم، ومعنى العلو والرفعة داخل فيه؛ لأنَّ من أنبأه اللهُ - تعالى - لا يكون إلا رفيع القدر عاليًا، أمَّا معنى العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة.

---

(١) «الصحاح» (ج٦/ ٢٥٠٠).

(٢) هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، إمام لغوي، وُلد في مصر، وقيل في طرابلس الغرب عام (٦٣٠هـ) توفي في القاهرة عام (٧١١هـ). انظر ترجمته في «معجم المؤلفين» (١٢/ ٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٩٥).

(٣) «لسان العرب» (ج١/ ١٦٣).

(٤) هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب، أديب، ومفسِّر، وُلد في «أصفهان» وسكن بغداد، توفي سنة (٥٠٢هـ)، وله مصنفات كثيرة منها «المفردات في غريب القرآن»، و«جامع التفاسير». انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٢٠).

(٥) «المفردات في غريب القرآن» (ص٤٨٢).

(٦) «لسان العرب» (١/ ١٦٣).

وكذلك فإنَّ قراءة «نافع» - وكان يقرأ «نبيء» - قاطعة بأنَّه مهموز، وهذا بالتالي يرد على «سيبويه» زعمه بأن الهمز في النبي لغة رديئة لقلة استعمالها، فقراءة نافع متواترة.

أمَّا بالنسبة للرواية التي فيها أن النبي ﷺ قال: «**أنا نبيُّ الله، ولست بنبيء الله**» فيقول عنها شيخ الإسلام ابن تيمية: إنها رواية لا يُعتمد عليها. كما أن اللفظين - النبي والنبيء - (مشتركان في الاشتقاق الأكبر، فكلاهما فيه النون والباء، وفي هذا الهمزة، وفي هذا الحرف المعتل، لكن الهمزة أشرف فإنها أقوى)(١).

وأيضًا: (فإن تصريفه: أنبأ ونبَّأ ينبئ، بالهمزة، ولم يستعمل فيه نبا ينبو، وإنما يقال: النبوة، وفي فلان نبوة عنَّا: أي مجانبة)(٢).

ولهذه الأسباب يذهب ابن تيمية إلى أنه (يجب القطع بأن النبي: مأخوذ من الإنباء لا من النَّبْوة)(٣).

وبناءً على ذلك يرى أن النبي بمعنى مفعول، أي: مُنَبَّأ الله، الذي نَبَّأه الله، فهذه الصفة هي التي تميّز بها عن غيره، لا بكونه منبئًا للناس، ذلك لأن الدعاة والصالحين يشاركونه في هذه الصفة، والله أعلم.



(١) «النبوات» لابن تيمية (ج٢/ ٨٨٢-٨٨٣).
(٢) «النبوات» لابن تيمية (ج٢/ ص٦٨٨).
(٣) المصدر السابق.

## المبحث الثاني: تعريف الرسول

**الرسول في اللغة:** الرسول في اللغة مشتق من الإرسال وهو التوجيه.

قال تعالى حاكيًا قول ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٥].

**قال الجوهري:** (أرسلت فلانًا في رسالة فهو مُرسَل ورسُول، والجمع رُسْل ورُسُل)(١).

**وجاء عند ابن منظور:** (الرسول معناه في اللغة: الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذًا من قولهم: «جاءت الإبل رَسَلًا»: أي متتابعة)(٢).

**وقال الراغب:** (أصل الرِّسل: الانبعاث على التؤدة)(٣).

**وهذه المعاني كلها تصح في معنى الرسول، فهو الذي بعثه الله تعالى، ووَجَّهه إلى عباده للدعوة إليه وحده، وهو الذي يتابع الأخبار عن الله تعالى، ويسردها لقومه.**

ومِما يشهد لذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [يونس: ٧٤] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذًا من قول العرب: (جاءت الإبلُ رَسَلًا) أي: متتابعة.

---

(١) «الصحاح» (ج٤/١٧٠٨، ١٧٠٩).

(٢) «لسان العرب» (ج١١/ ٢٨٤).

(٣) «المفردات في غريب القرآن» (ص١٩٥).

وعلى ذلك فالرسل إنما سُمّوا بذلك لأنهم وُجّهوا من قِبل الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وهم مبعوثون برسالة معينة مُكلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها.

## المبحث الثالث: الفرق بين النبي والرسول

- **اختلف العلماء اختلافًا كبيرًا في تعريف النبي والرسول اصطلاحًا، وبيان الفرق بينهما، وانقسموا إلى فريقين:**

**الأول:** يذهب إلى عدم الفرق بينهما.

ويضم هذا الفريق أغلب المعتزلة وبعض الأشاعرة والسلف، مما يدل على أنه ليس للاتجاه المذهبي تأثير فيما ذهب إليه علماء كل فريق[١].

**يقول القاضي عبد الجبار**[٢]: (فاعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين النبي والرسول)[٣].

ومِمن وافقه على ذلك من الأشاعرة الإمام الجويني[٤] حيث قال: (النبوة

---

(١) انظر كتاب «النبي والرسول» للدكتور أحمد بن ناصر الحمد، مكتبة القدس، ط١، عام ١٤١٤هـ، (ص١٥).

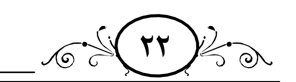
(٢) هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، أحد رؤساء المعتزلة في زمانه، من مؤلفاته «شرح الأصول الخمسة»، و«المغني في أبواب التوحيد والعدل»، و«فضل الاعتزال»، و«طبقات المعتزلة»، توفي سنة (٤١٥هـ). انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٢/ ٢٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٥١).

(٣) «شرح الأصول الخمسة» تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، ط٢، عام ١٤٠٨هـ، (ص٥٦٧).

(٤) هو أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني =

ترجع إلى قول الله تعالى لمن يصطفيه أنت رسولي)[١].

و«الإيجي»[٢]. الذي قال عن النبي: إنه: من قال له الله: أرسلتك، أو: بَلِّغهم عني[٣].

ومن السلف ابن جرير الطبري[٤] حيث قال في تفسير قوله تعالى:  ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ [آل عمران: ٢١]: أي يقتلون رسل الله الذين ابتعثهم لإنباء ما أرسلهم به عنه لمن أُرسلوا إليه[٥].

**الثاني**: يذهب إلى أن هناك فرقًا بين النبي والرسول في المعنى.

وإلى هذا ذهب أغلب علماء السلف وبعض المعتزلة والأشاعرة.

---

= ثم النيسابوري الشافعي، وُلد سنة (٤١٩هـ) إمام مبرز في علم الكلام والفقه، من تصانيفه «النهاية في الفقه»، و«الشامل في أصول الدين»، و«الإرشاد في أصول الدين»، توفي سنة (٤٧٨هـ). انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ١٦)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٥/ ١٦٥).

(١) «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد» (ص٣٥٥).

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي، قاضي قضاة المشرق، كان إمامًا في علوم متعددة، له تصانيف كثيرة في علم الكلام وفي أصول الفقه، واختلف في سنة وفاته: فقال السبكي: مات سنة (٧٥٦هـ)، وقال ابن العماد: سنة (٧٥٣هـ). انظر ترجمته في «طبقات الشافعية» للسبكي (١٠/ ٤٦، ٤٧)، و«شذرات الذهب» (٥/ ١٧٤).

(٣) «المواقف في علم الكلام» (ص٣٣٧).

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام أبو جعفر الطبري صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة، وُلد بآمل طبرستان سنة (٢٢٤هـ)، وتوفي سنة (٣١٠هـ). انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد (١/ ٢٦٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٩١).

(٥) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٦/ ٢٨٢).

**ولكل فريق منهما أدلة استدل بها على رأيه، وفيما يلي أهم هذه الأدلة:**

**أدلة القائلين بالفرق بين النبي والرسول:**

١- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢﴾ [الحج: ٥٢].

قالوا: عطف النبي على الرسول يدل على تغايرهما في المعنى، وهو من باب عطف العام على الخاص[١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١﴾ [مريم: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤﴾ [مريم: ٥٤].

ففي هاتين الآيتين الكريمتين جاءت الكلمتان صفتين لشخص واحد، وهذا يدل على اختلافهما في المعنى، وإلا كان تكرارًا ويخل بالفصاحة.

٣- حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: فقلت: يا رسول كم النبيون؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي**». قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر**».

وفي رواية أبي أمامة: كم وفى عدة الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا**»[٢].

---

(١) «التفسير الكبير» للرازي (ج٢٣/ ٤٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٦٢).
من حديث أبي أمامة في الرواية التي ذكر فيها عدد الرسل وقال عنها: صحيحة =

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الحديث ضعيف لعدم ثقة رواته، ولكن الإمام الألوسي[(١)] ذكر أن هذا الضعف جُبِر بالمتابعة فقال: (وقد أخرج ذلك - كما قال السيوطي - أحمد وابن راهويه في مسنديهما من حديث أبي أمامة، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه من حديث أبي ذر، وزعم ابن الجوزي أنه موضوع، وليس كذلك، نعم، قيل في سنده ضعف جُبِر بالمتابعة)[(٢)].

وهذا الحديث دليل على اختلاف المعنى الاصطلاحي للنبي والرسول إذ لو اتفقا في المعنى لتساوى عددهما.

**أدلة القائلين بعدم الفرق:**

قالوا: إن لفظي النبوة والرسالة يثبتان معًا، ويزولان معًا في الاستعمال، حتى لو أثبت أحدهما ونُفي الآخر لتناقض الكلام، وهذا هو أمارة إثبات كلتا اللفظتين المتفقتين في الفائدة[(٣)].

واستدلوا بالآيات التي يشمل الإرسال فيها كلًّا من النبي والرسول، وقالوا: هذا دليل على أنهما معنى واحد، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢﴾ [الحج: ٥٢] وكذلك

= على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وذكر الحديث صاحب «مشكاة المصابيح»، وصححه الألباني في تحقيقها (٣/ ١٢٢).

(١) هو محمود شكري بن عبد الله الألوسي، مؤرخ، ومفسِّر وأديب، وُلد في بغداد، له مؤلفات كثيرة من أشهرها «روح المعاني في تفسير القرآن الكريم» توفي سنة (١٣٤٢هـ). انظر ترجمته في «الأعلام» (٧/ ١٧٢).

(٢) «روح المعاني» (ج١٧/ ١٧٢).

(٣) «شرح الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار (ص٥٦٨).

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾ [الأعراف: ٩٤].

وقالوا: إن الله تعالى خاطب محمدًا مرة بالنبي ومرة بالرسول، فدل على أنه لا منافاة بين الأمرين.

وقالوا: إن اشتقاق لفظ النبي إما من النبأ وهو الخبر، أو من قولهم: (نبا) إذا ارتفع، والمعنيان لا يحصلان إلا بقبول الرسالة.

**وبالنظر إلى هذه الأدلة يتبين لنا ضعفها:**

فبالنسبة لقولهم: (إنَّ لفظي النبوة والرسالة يثبتان معًا ويزولان معًا، ولو أثبت أحدهما ونُفي الآخر لتناقض الكلام) فهذا ليس على إطلاقه، فإن إثبات الرسول يستلزم إثبات النبي، وذلك لأن الرسول يكون نبيًّا أولًا ثم يرسل، ولكن لا يلزم من إثبات لفظ النبي إثبات الرسول، وذلك لأنه قد يبقى على نبوته فلا يرسل. وهذا يدل على العموم والخصوص المطلق بين النبي والرسول.

أما استدلالهم بالآيات التي تتناول بالإرسال النبي والرسول على أنه لا فرق بينهما في المعنى فغير صحيح، ذلك لأن الإرسال ثبت لأشياء كثيرة جدًّا مِما لا يختلف على عدم صحة تسميتها بالنبوة، ومن ذلك إرسال المطر، والطوفان، والجراد، والقمل.. فلا يقال عن شيء من ذلك إنه رسول الله[1].

وكذلك ادعاؤهم أن خطاب الله تعالى لنبيّنا ﷺ مرة بالنبي وأخرى بالرسول دليل على أنهما بمعنى واحد، فليس بصحيح، ذلك لأن نبيَّنا

---

(١) انظر: «النبوات» (ج٢/ ٧٢)، وكذلك «النبي والرسول» للدكتور ناصر الحمد (ص٤٩).

محمدًا ﷺ اجتمع له الوصفان فهو نبي رسول، ولا يلزم من اجتماعهما للرسول ﷺ أن يكونا بمعنى واحد، والله تعالى خاطب نبيّنا في كل موضع بما يناسب المقام[١].

وبالنسبة لقولهم: (إن اشتقاق النبي إما من النبأ أو من النبوة وهي الرفعة، والمعنيان لا يصلحان إلا بقبول الرسالة) فذلك غير مسلَّم لهم ذلك لأن النبي جمع هذين المعنيين بمجرد إنباء الله تعالى له وإن لم يرسل.

**تعددت وجهات نظر العلماء في التفريق بين النبي والرسول، وذَكر العلماء بعض هذه الأوجه وهي:**

١- قال بعضهم: إن الرسول هو الذي حُدِّث وأُرسل، والنبي هو الذي لم يُرسَل ولكنه أُلهم أو رأى في المنام.

وقد اعترض على هذا الرأي بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]. فدلت الآية على أن حكم الإرسال يعم النبي والرسول.

٢- وقال بعضهم: إن الرسول من الأنبياء مَن جَمَع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي غير الرسول وهو من لم ينزل عليه كتاب إنما أُمر أن يدعو إلى كتاب من قبله.

واعترض على هذا الرأي بما ورد في الحديث من زيادة عدد الرسل على عدد الكتب[٢].

٣- وقال بعضهم: إن من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونَسَخ شرع مَن قبله فهو الرسول، ومن لم يكن مستجمعًا لهذه الخصال فهو النبي غير الرسول.

---

(١) انظر: «النبي والرسول» للدكتور أحمد بن ناصر الحمد (ص٥٠).

(٢) «شرح المقاصد» (ص١٢٨).

واعترض عليه بأنه يلزمهم أن لا يجعلوا إسحاق ويعقوب وأيوب وموسى وهارون وداود وسليمان رسلًا لأنهم ما جاءوا بكتاب ناسخ.

٤- وَفَرَّق بعضهم بينهما بأن النبي من أتاه الوحي من الله ونزل عليه المَلَك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام من قبله[١].

وهذا الرأي قريب من الرأي الذي قبله، واعترض عليه بأن بعض الرسل لم يأتِ بشرع جديد، فمثلًا يوسف كان رسولًا وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة[٢].

٥- وفَرَّق بعضهم بينهما بأن من جاءه المَلَك ظاهرًا وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم كونه رسولًا أو أخبره أحد من الرسل بأنه رسول الله. فهو النبي الذي لا يكون رسولًا.

واعترض على هذا الرأي بأنه يقتضي أن بعض الأنبياء لم يُوحَ إليه إلا منامًا، وهذا بعيد[٣]، ثم كيف يرى النبي أنه رسول وهو نبي؟!

٦- وفرَّق بينهما ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بحَسَب حال المرسَل إليهم:

فالرسول أُمر بتبليغ رسالة إلى قوم كفار خالفوا أمر الله فكفروا به، وعبدوا معه غيره.

أمَّا النبي فيوحى إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين[٤].

وقد اعترض على هذا الرأي بأن كون النبي لا يرسل إلا إلى المؤمنين دون

(١) البغدادي: «أصول الدين» (ص١٥٤).

(٢) «النبوات» (ص١٨٥).

(٣) «روح المعاني» (١٧/ ١٨٢).

(٤) «النبوات» (ص٢٨٤).

الكفار ليس بلازم. إذ قد يدعو النبي الكفار إلى شريعة يعرفونها ولكن لا يؤمنون بها، وكذلك الرسول يدعو كلًّا من الكفار والمؤمنين إلى طاعة الله، يدعو الأولين إلى عبادة الله وحده، ويبين للمؤمنين الأحكام والأوامر والنواهي، فموسى وهارون عليهما السلام كلاهما مرسل إلى فرعون وقومه وهم كفار مع أن الشريعة نزلت أساسًا على موسى عليه السلام[(١)].

**ولعل أقرب الآراء إلى الحقيقة وأرجحها في التفريق بين النبي والرسول هو ما ذكره الألوسي حيث قال:** (وقيل: الرسول ذَكَرٌ حُر بعثه الله تعالى إلى قوم بشرع جديد بالنسبة إليهم وإن لم يكن جديدًا في نفسه، كإسماعيل عليه السلام إذ بُعث لجُرهم أولًا، والنبي يعمه، ومَن بُعث بشرع غير جديد كذلك)[(٢)].

وعلى هذا يكون الرسول مَن بُعِث بشرع جديد في نفسه أو بالنسبة إلى المرسَل إليهم، والنبي يشمله، وينفرد فيمن بُعث وأُرسل بشرع سابق ليس جديدًا لا في نفسه ولا بالنسبة إلى المرسل إليهم[(٣)].

**ويؤيد هذا التفريق بين النبي والرسول ما حكاه القرآن الكريم عن موسى وهارون عليهما السلام في قوله تعالى على لسان موسى:** ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٥ - ٣٦] إلى أن قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ

---

(١) انظر: «العقيدة في ضوء القرآن الكريم» للدكتور/ صلاح عبد العليم (ص٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) «روح المعاني» (١٧/ ١٧٢).

(٣) «العقيدة في ضوء القرآن الكريم» (ص٢٢٧) هامش (١).

طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٢- ٤٨].

فهذه الآيات تدل على أن كلًّا من موسى وهارون منَّبأٌ وموحى إليه من الله، ومرسل ومأمور بتبليغ الوحي إلى فرعون وقومه، مع أن الشريعة موحاة إلى موسى عليه السلام أساسًا، ومهمة هارون كانت مهمة الوزير والمشارك والمعاون في الدعوة إلى الله.

**وعلى ضوء هذه الآيات:** فالرسول على الإطلاق هو: مَن أُوحي إليه بشرع جديد وأمره الله بتبليغه.

والنبي: مَن أُوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه، ويسمى رسولًا باعتباره مبلِّغًا عن الله ومرسَلًا منه، أي لا على الإطلاق، وهذا إذا كان الشرع الذي يدعو إليه تقريرًا لشريعة مَن قبله، وقد يكون جديدًا بالنسبة إلى المرسَل إليهم، وأما إذا كان الشرع الذي يدعو إليه شرعًا جديدًا مطلقًا أُوحي إليه فهو الرسول بالإطلاق(١).

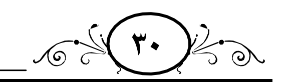
**ولعل تعدد وجهات النظر في التفريق بين النبي والرسول يرجع إلى أنه لم يَرِد نص صريح في ذلك من الكتاب والسنة، فالأمر راجع إلى اجتهادات العلماء. والله أعلم(٢).**

---

(١) «العقيدة في ضوء القرآن الكريم» (ص٢٢٧، ٢٢٨) بتصرف يسير.

(٢) هذا المبحث اقتبسته من موقع جامعة أم القرى الإلكتروني بتصرف يسير.

## المبحث الرابع: الفرق بين النبوة، والمُلك والسلطان



**تختلف النبوة عن المُلْك والسلطان في عدة نقاط جوهرية:**

**النقطة الأولى:**

النبوة لا تكون من طريق الإرث، فهي ليست موروثة بل هي بمحض الفضل الإلهي والاصطفاء الرباني.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢﴾ [الدخان: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣﴾ [آل عمران: ٣٣].

أما المُلْك فتجري فيه عادة الإرث، أي أن الابن يرث عن أبيه المُلْك والحكم في أغلب الأحيان، وهذا ملاحظ في الواقع.

أما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] فمعناه ورث العلم والحكمة لأنه تربى في بيت النبوة، فمن البدهي أن يرث هذا الأمر العظيم. ولو تمت الوراثة في هذا الأمر فهي اصطفاء من الله لهذه السلالة الطاهرة.

**النقطة الثانية:**

النبوة لا تعطى إلا لرجل مؤمن فهي لا تعطى لكافر، أما المُلْك والسلطان فقد يعطيان لغير مؤمن؛ مثل فرعون والنمروذ.

قال الله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ [الزخرف: ٥١].

وقال تعالى في شأن النمروذ الذي ادعى الألوهية في زمن إبراهيم عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ

ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

**النقطة الثالثة:**

النبوة خاصة بالرجال، ولا تكون للنساء أبدًا.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِىٓ إِلَيۡهِمۡ ۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

أما المُلْك فقد يكون للنساء من طريق التسلط أو غيره، قال تعالى في قصة سليمان مع بلقيس على لسان الهدهد: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَىۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل: ٢٣].

**النقطة الرابعة:**

النبوة دعوتها الأساسية الإيمان بالله عز وجل، والإيمان باليوم الآخر، وإيثار الآخرة على الحياة الدنيا الفانية التي يطمع فيها كثير من الناس ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أما المُلْك والسلطان فدعوتهما في الأغلب سياسية، وهذا للتمكن من العرش والسيطرة.

والمُلْك والسلطان عادة يدلان على مظهر من مظاهر العظمة الدنيوية، وهذا يعارض النهج النبوي الذي جاء بالتزهيد في الحياة الدنيا، فإذا كان الأنبياء يعيشون حياة الملوك ثم يأمرون الناس بالزهد فهل يستمع إلى كلامهم أحد أو يتبعهم أحد؟! فالداعي إلى الله إذا لم يكن بسيرته قدوة فلن يكون لكلامه أيُّ تأثير.

**رُبَّ قائل يقول:** هذا سليمان بن داود عليهما السلام قد جمع الله له النبوة والمُلْك،

والنبوة والمُلْك يتعارضان في خطهما.

**الجواب:** لا يمنع اجتماع النبوة والمُلْك في شخص واحد، فإنهما يجتمعان في شخص واحد كما حصل لسليمان بن داود عليهما السلام لكن هذا الأمر قليل ونادر والحكم دائمًا للأغلب والأكثر.

قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: ٣٥- ٣٩].

## المبحث الخامس: الفرق بين النبوات والعبقريات[1]

العبقرية هي حالة فكرية متطورة، والعباقرة مصدر علومهم ونظمهم العقل البشري، والعقل قد يخطئ لتفاوت الناس في مداركهم ومفاهيمهم؛ لذا فالعبقري مهما سما في فكره وابتكاره فهو عرضة للخطأ والسقطات الخلقية، ولو استعرضنا كل العباقرة في العالم لوجدنا لهم زلاتٍ إما فكرية أو خلقية بسبب عدم عصمتهم عن الخطأ، بخلاف الأنبياء عليهم السلام فإن الله تعالى أيدهم بالعصمة وحفظهم عن الزلات الفكرية والخلقية.

أما الأنبياء، فمصدر علومهم ونظمهم الوحي، والوحي لا يتطرق إليه خطأ.

---

(١) عبقر: هي قرية تسكنها الجن فيما زعموا، فكلما رأوا شيئًا عجيبًا فائقًا غريبًا مما يصعب عمله ويَدِقُّ، أو شيئًا عظيمًا في نفسه؛ نسبوه إليها، فقالوا: عبقري.

## المبحث السادس: الفرق بين النبوات والفلسفات

**تعريف لمذهب الفلسفي:** إن المذهب الفلسفي هو عبارة عن مجموعة مفاهيم أساسية عن العالم.

والمتأمل في النظريات الفلسفية حول الكون وتكوين النفس الإنسانية وحول الأمور التي تتصل بما وراء المادة - يجد أكثرها متناقضة متهافتة ومخالفة للواقع، ويرى أن لا وحدة في وجهات النظر الفلسفية بين الفلاسفة.

والمتأمل في طريق الأنبياء عليهم السلام لا يجد اختلافًا بينهم في الأصول الاعتقادية والأسس العلمية، فهو يرى وحدة في المعارف التي أتوا بها والاعتقادات التي نادوا بالإيمان بها من أمور الغيب.

والنظريات الفلسفية تعتمد في أمور الغيب ضروبًا من الظن والحدس والتخمين، ومعظم استدلالتها خطابي وشعري مما يؤثر في العواطف والأحاسيس، ولا يكون بالضرورة صادقًا.

وعلم الأنبياء وما يتعلق بأخبار الغيب وما يرتبط بإصلاح الناس، كالحساب والجنة والنار - لا سبيل إلى إثباته إلا عن طريق المتصلين بعالم الغيب، وهم الرسل والأنبياء عليهم السلام.





# الفصل الثاني: الإيمان بالرسل
# معناه وأهميته والصلة بينه وبين الإيمان بالله

المبحث الأول: أدلة الإيمان بجميع الرسل.

المبحث الثاني: مزايا دعوة الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: الصلة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل.

المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل.

المبحث الخامس: معنى الإيمان بالرسل

المبحث السادس: مقالات قادحة في الإيمان بالرسل

المبحث السابع: خصائص الرسل

المبحث الثامن: ثمرات الإيمان بالرسل.





## المبحث الأول: أدلة الإيمان بجميع الرسل

- **الإيمان برسل الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم من أركان الإيمان.**
**وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.**

**فمن الكتاب:**

١- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَاءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٨٩ - ٩١].

**يقول الإمام ابن جرير:** بِئْسَ مَا أَكْسَبُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَعْيِهِمْ، وَبِئْسَ الْعِوَضُ اعْتَاضُوا مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا، إِذْ كَانُوا قَدْ رَضُوا عِوَضًا مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ لَوْ كَانُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ - بِالنَّارِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِذَلِكَ(١).

**وهذا ابن أبي حاتم يورد في «تفسيره»:** عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: يَقُولُ اللهُ: ﴿فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ يَقُولُ: غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِالإِنْجِيلِ وَعِيسَى. ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ وَبِالْقُرْآنِ(٢).

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ط هجر (٢/ ٢٤٩).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» محققًا (١/ ١٧٣).

**ويتأكد المعنى بكلام الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ﴾ [البقرة: ٩٠] وَلِلْجَاحِدِينَ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ إِمَّا فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿مَّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠] هُوَ الْمُذِلُّ صَاحِبَهُ الْمُخْزِي الْمُلْبِسُهُ هَوَانًا وَذِلَّةً.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَيُّ عَذَابٍ هُوَ غَيْرُ مُهِينٍ صَاحِبَهُ فَيَكُونُ لِلْكَافِرِينَ الْمُهِينُ مِنْهُ؟

قِيلَ: إِنَّ الْمُهِينَ هُوَ الَّذِي قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ الْمُورِثُ صَاحِبَهُ ذِلَّةً وَهَوَانًا الَّذِي يَخْلُدُ فِيهِ صَاحِبُهُ لَا يَنْتَقِلُ مِنْ هَوَانِهِ إِلَى عِزٍّ وَكَرَامَةٍ أَبَدًا، وَهُوَ الَّذِي خَصَّ اللَّهُ بِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ[(١)].

وَهُنَا انْظُرْ إلى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١].

وَالصَّوَابُ فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا أَنَّ اللَّهَ خَاطَبَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بِمَا خَاطَبَهُمْ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ السُّوَرِ، بِمَا سَلَفَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَى أَسْلَافِهِمْ، وَبِمَا سَلَفَ مِنْ كُفْرَانِ أَسْلَافِهِمْ نِعَمَهُ، وَارْتِكَابِهِمْ مَعَاصِيَهُ، وَاجْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى أَنْبِيَائِهِ، وَأَضَافَ ذَلِكَ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ بِهِ[(٢)].

٢- قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ط هجر (٢/ ٢٥٤).

(٢) المصدر السابق.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

**قال ابن أبي حاتم في «تفسيره»:** «لَيْسَ الْبِرَّ» يَعْنِي: التَّقْوَى(١).

**وقال صاحب «زاد المسير»:** المراد بالبر ثلاثة أقوال: أحدها: الإيمان. والثاني: التقوى. والثالث: العمل الذي يقرب إلى الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، فيه قولان: أحدهما: أن معناه: ولكن البرّ برّ من آمن بالله. والثاني: ولكن ذا البر من آمن بالله(٢).

**وقال الإمام ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الصلاة. يقول: ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا غيرَ ذلك. قال ابن جريج: وقال مجاهد: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، يعني السجود، ولكن البر ما ثبت في القلب من طاعة الله. ذُكر لنا أن رجلًا سأل نبي الله ﷺ عن البر فأنزل الله هذه الآية. وذُكر لنا أن نبي الله ﷺ دعا الرجل فتلاها عليه. وقد كان الرجلُ قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ثم مات على ذلك - يُرْجى له ويُطمع له في خير، فأنزل الله: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وكانت اليهود تصلي فتوجِّه قبل المغرب، والنصارى تصلي فتوَجَّه قبل المشرق، فأنزل الله فيهم هذه الآية، يخبرهم فيها أن البرّ غير العمل الذي يعملونه(٣).

**ويقول ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المراد بالكتاب هاهنا قولان:

**أحدهما:** أنه القرآن.

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» محققا (١/ ٢٨٧).

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» (١/ ١٣٦).

(٣) «تفسير الطبري = جامع البيان» ت شاكر، بتصرف (٣/ ٣٣٨).

**والثاني**: أنه بمعنى الكتاب، فيدخل في هذا اليهود؛ لتكذيبهم بعض النبيين وردهم القرآن(١).

**وقال ابن كثير**: وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الْآيَةَ، قَالَ: هَذِهِ أَنْوَاعُ الْبِرِّ كُلُّهَا. وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فَإِنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فَقَدْ دَخَلَ فِي عُرَى الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَصَدَّقَ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ سَفَرَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ يَشْمَلُ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، حَتَّى خُتِمَتْ بِأَشْرَفِهَا، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْمُهَيْمِنُ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، الذِي انْتَهَى إِلَيْهِ كُلُّ خَيْرٍ، وَاشْتَمَلَ عَلَى كُلِّ سَعَادَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَنَسَخَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ قَبْلَهُ، وَآمَنَ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ كُلِّهِمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى خَاتَمِهِمْ مُحَمَّدٍ، صلوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ(٢).

٣- قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فذكر الله تعالى الإيمان بالرسل في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، من أركان الإيمان. وبيَّن أنهم في إيمانهم بالرسل لا يفرقون بينهم فيؤمنوا ببعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعًا.

قال القرطبي: قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] عَلَى مَعْنَى الشُّكْرِ أَيْ صَدَّقَ الرَّسُولُ ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُشَارِكَ أُمَّتَهُ فِي الْكَرَامَةِ وَالْفَضِيلَةِ فَقَالَ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

---

(١) «زاد المسير في علم التفسير» (١/ ١٣٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (١/ ٤٨٦).

وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] يَعْنِي يَقُولُونَ: آمَنَّا بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَلَا نَكْفُرُ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ كَمَا فَرَّقَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: كَيْفَ قَبُولُهُمْ بِآيِي الَّذِي أَنْزَلْتُهَا؟ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] يَعْنِي الْمَرْجِعَ.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] يَعْنِي طَاقَتَهَا: وَيُقَالُ: إِلَّا دُونَ طَاقَتِهَا ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] مِنَ الْخَيْرِ ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] مِنَ الشَّرِّ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عِنْدَ ذَلِكَ: سَلْ تُعْطَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ﴾ [البقرة: ٢٨٦] يَعْنِي إِنْ جَهِلْنَا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] يَعْنِي إِنْ تَعَمَّدْنَا، وَيُقَالُ: إِنْ عَمِلْنَا بِالنِّسْيَانِ[1].

**وفي هذا يقول الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا:** وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا يُفَرِّقُ الْكُلُّ مِنْهُمْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ فَيُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُ بِبَعْضٍ، وَلَكِنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِهِمْ، وَيُقِرُّونَ أَنَّ مَا جَاءُوا بِهِ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهُمْ دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى طَاعَتِهِ، وَيُخَالِفُونَ فِي فِعْلِهِمْ ذَلِكَ الْيَهُودَ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِمُوسَى وَكَذَّبُوا عِيسَى، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ أَقَرُّوا بِمُوسَى وَعِيسَى وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ، وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بَعْضَ رُسُلِ اللَّهِ وَأَقَرُّوا بِبَعْضِهِ[2].

وهنا نورد رواية أخرى وتأويلًا آخر ورد عند ابن أبي حاتم: عن مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ: قَوْلُهُ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فَهَذَا قَوْلٌ، قَالَهُ اللَّهُ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ،

---

(١) «تفسير القرطبي» (٣/ ٤٢٥).

(٢) «تفسير الطبري = جامع البيان» ط هجر (٥/ ١٥٠).

وَقَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ. فَأَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمَّا عَلِمَ مِنْ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ[(١)].

٤- قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

**يقول ابن جرير** رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً - إِنَّمَا كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى الْإِيمَانِ وَدِينِ الْحَقِّ دُونَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالشِّرْكِ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قَالَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يَذْكُرُ فِيهَا يُونُسَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس: ١٩] فَتَوَعَّدَ جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَى الِاخْتِلَافِ لَا عَلَى الِاجْتِمَاعِ، وَلَا عَلَى كَوْنِهِمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَوْ كَانَ اجْتِمَاعُهُمْ قَبْلَ الِاخْتِلَافِ كَانَ عَلَى الْكُفْرِ ثُمَّ كَانَ الِاخْتِلَافُ بَعْدَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِانْتِقَالِ بَعْضِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْوَعْدُ أَوْلَى بِحِكْمَتِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي ذَلِكَ الْحَالِ مِنَ الْوَعِيدِ؛ لِأَنَّهَا حَالُ إِنَابَةِ بَعْضِهِمْ إِلَى طَاعَتِهِ، وَمُحَالٌ أَنْ يَتَوَعَّدَ فِي حَالِ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَيَتْرُكُ ذَلِكَ فِي حَالِ اجْتِمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣] فَإِنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلًا يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ وَكَرِيمِ الْمَآبِ؛ وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣] يُنْذِرُونَ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَكَفَرَ بِهِ، بِشِدَّةِ الْعِقَابِ وَسُوءِ الْحِسَابِ وَالْخُلُودِ فِي النَّارِ ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] يَعْنِي بِذَلِكَ لِيَحْكُمَ الْكِتَابَ وَهُوَ التَّوْرَاةُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفَ الْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَأَضَافَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْحُكْمَ إِلَى الْكِتَابِ، وَأَنَّهُ

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» الأصيل مخرجًا (٢/ ٥٧٦).

الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ دُونَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، إِذْ كَانَ مَنْ حَكَمَ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالْمُرْسَلِينَ بِحُكْمٍ - إِنَّمَا يَحْكُمُ بِمَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ، فَكَانَ الْكِتَابُ بِدَلَالَتِهِ عَلَى مَا دَلَّ وَصَفْهُ عَلَى صِحَّتِهِ مِنَ الْحُكْمِ حَاكِمًا بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي يَفْصِلُ الْقَضَاءَ بَيْنَهُمْ غَيْرُهُ[(١)].

**وفي هذا يقول السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: كان الناس) أي: كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عَشَرة قرون بعد نوح عليه السلام، فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين، وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة عليهم. وقيل: بل كانوا مجتمعين على الكفر والضلال والشقاء، ليس لهم نور ولا إيمان، فرحمهم الله تعالى بإرسال الرسل إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَن أطاع الله بثمرات الطاعات؛ من الرزق، والقوة في البدن والقلب، والحياة الطيبة، وأعلى ذلك الفوز برضوان الله والجنة[(٢)].

٥- قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤].

٦- قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

٧- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ط هجر (٣/ ٦٢٦).

(٢) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩٥).

٨- قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

٩- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فأطلق الكفر على مَن كَذَّب بالرسل أو فَرَّق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم. ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقًّا، أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة.

١٠- كما بين الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان من ذلك فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٢].

فوصفهم بالإيمان بالله ورسله كلهم من غير تفريق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض، وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى.

١١- ومما يدل على أن الإيمان بالرسل جميعًا واجب وأنه لا يجوز أن يؤمن الإنسان ببعض الرسل ويكفر ببعض - أن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

١٢- كما أن الله ﷻ يقول عن قوم نبي واحد أو رسول واحد وهو أول الرسل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥] ونوح هو أول رسول، فكيف كذبت المرسلين وهم لم يُبعثوا؟ لكن لما كذبوا نوحًا ونوح طريقته هي طريقة المرسلين كان هذا تكذيبًا لبقية المرسلين.

وكذا قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣] وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١].

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠].

١٣- قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] قال الطبري: أي: وَمَا مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الدَّائِنَةِ بِمِلَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا مِنْ قَبْلِكَ نَذِيرٌ يُنْذِرُهُمْ بَأْسَنَا عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ[١].

وقال ابن كثير: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أَيْ: وَمَا مِنْ أُمَّةٍ خَلَتْ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا وَقَدْ بَعَثَ الله تعالى إِلَيْهِمُ النُّذُرَ وَأَزَاحَ عَنْهُمُ الْعِلَلَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ﴾ [النحل: ٣٦] الآية، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥] بِالبَيِّنَاتِ وَهِيَ الْمُعْجِزَاتُ الْبَاهِرَاتُ وَالْأَدِلَّةُ الْقَاطِعَاتُ. وَبِالزُّبُرِ وَهِيَ الْكُتُبُ. وَبِالْكِتابِ الْمُنِيرِ أَيِ الْوَاضِحِ الْبَيِّنِ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ﴾ أَيْ وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ كَذَّبَ أُولَئِكَ رُسُلَهُمْ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ، «فَأَخَذْتُهُمْ» أَيْ بِالْعِقَابِ وَالنَّكَالِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أَيْ فَكَيْفَ رَأَيْتَ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ عَظِيمًا شَدِيدًا بَلِيغًا، وَاللهُ أَعْلَمُ[٢].

**وأما السنة فمنها:**

١- حديث جبريل عليه السلام:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان» ط هجر (١٩/ ٣٦٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» ط العلمية (٦/ ٤٨١).

السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**».

قال: ثم انطلق فلبثت مليًّا، ثم قال لي: «**يا عمر، أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»(١).

فذكر الإيمان بالرسل مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجب على المسلم تحقيقها واعتقادها.

٢- وفي دعاء النبي ﷺ في التهجد عند قيام الليل أنه كان يقول: «**اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق...**»(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم برقم (٨) عن عمر رضي الله عنه واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

٣- وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ**[١] **يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ**[٢] **ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**[٣]»[٤].

فشهادة النبي ﷺ أن النبيين حق ضمن ما ذكر من أصول الإيمان العظيمة كالإيمان بالله وبوجود الجنة والنار وقيام الساعة وتقديمه ذلك بين يدي دعائه وقيامه - دليل على أهمية الإيمان بالرسل والأنبياء ومكانته في الدين.

فتقرر وجوب الإيمان بالرسل وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكبر

---

(١) أَيْ: مِمَّنْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي زَمَنِي وَبَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَكُلُّهُمْ يَجِبُ عَلَيْهِ الدُّخُولُ فِي طَاعَتِهِ. «شرح النووي على مسلم» (١/ ٢٧٩).

(٢) ذَكَرَ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ تَنْبِيهًا عَلَى مَنْ سِوَاهُمَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَهُمْ كِتَابٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهُمْ مَعَ أَنَّ لَهُمْ كِتَابًا، فَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُ أَوْلَى. «شرح النووي على مسلم» (١/ ٢٧٩).

(٣) قال الألباني في «الصَّحِيحَة» (ح١٥٧): والحديث صريح في أن مَن سمع بالنبي ﷺ وما أرسل به، وبلغه ذلك على الوجه الذي أنزله الله عليه، ثم لم يؤمن به ﷺ أن مصيره إلى النار، لَا فرق في ذلك بين يهودي أو نصراني أو مجوسي أو لا ديني.
واعتقادي أن كثيرًا من الكفار لو أتيح لهم الاطلاع على الأصول والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام، لسارعوا إلى الدخول فيه أفواجًا، كما وقع ذلك في أول الأمر.
فليت أن بعض الدول الإسلامية ترسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام، ممن هو على علم به على حقيقته، وعلى معرفة بما أُلصِق به من الخرافات والبدع والافتراءات ليُحْسِنَ عرضه على المَدْعُوِّين إليه، وذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسنة الصحيحة، ومعرفة ببعض اللغات الأجنبية الرائجة، وهذا شيء عزيز يكاد يكون مفقودًا، فالقضية تتطلب استعدادات هامة، فلعلهم يفعلون. اهـ.

(٤) مسلم (١٥٣).

خصال الإيمان، وأن مَن كَذَّب بالرسل أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيم كفرًا صريحًا بجحده هذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

## المبحث الثاني: مزايا دعوة الأنبياء عليهم السلام

### المزية الأولى: دعوة الأنبياء عليهم السلام ربانية:

إن أول وأهم ما يمتاز به الأنبياء عليهم السلام العقيدة التي يدعون إليها، ودعوتهم التي يقومون بها، فهي لا تنبع من ذكائهم أو حَمِيتهم، أو تألمهم من الواقع المزري الذي يعيشون فيه، أو من شعورهم الحساس وقلبهم الرقيق الفياض، أو تجاربهم الواسعة الحكيمة - إنما مصدره الوحي والرسالة التي يُصطفَون لها، ويُكرَمون بها.. فلا يقاسون أبدًا على الحكماء أو الزعماء أو المصلحين وجميع أصناف القادة الذين جربتهم البشرية، والذين هم نتيجة بيئتهم وغرس حكمتهم وصدى محيطهم ورَدّ فعل لما كان يجيش به مجتمعهم من فساد وفوضى.

وقد بيَّن القرآن الكريم ذلك على لسان رسول الله ﷺ: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

ويقول القرآن الكريم عن طبيعة الرسالة التي يختار لها الرسل وعن مبدئها ومصدرها: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢].

لذلك لا يخضع الرسول لعوامل نفسية داخلية أو حوادث وقتية خارجية،

ولا يدير رسالته حيث دارت الأحوال والأوضاع وشاء المجتمع، وقد قال الله تعالى عن رسوله الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤].

والنبي لا يستطيع أن يُحْدث تغييرًا أو تبديلًا أو تحويرًا أو تعديلًا في أحكام الله وأوامره، قال الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

وهذه هي السمة الفاصلة الأساسية المميزة بين الأنبياء صلوات الله عليهم وبين القادة والزعماء الذين تكون رسالتهم وكفاحهم نتاج بيئتهم وثقافتهم ومشاعرهم، والذين يلاحظون دائمًا البيئة والمجتمع والظروف والأحوال ويراعون مصالحهم ومنافعهم.

**فدعوة الأنبياء ربانية، أي بوحي وتكليف من الله عز وجل، فليست هي نابعة من نفوسهم وليست نتيجة للعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تكون في عصرهم، وإنما هي اتباع لوحي من الله ﷻ:** ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

### المزية الثانية: دعوة الأنبياء عليهم السلام خالصة لله تعالى:

إن عنصر التجرد عن الغرض الشخصي في دعوة الأنبياء عليهم السلام من أهم المزايا المؤثرة التي تجعل المنصفين يستجيبون لها ويتأثرون بكلام الأنبياء عليهم السلام ونصحهم وتوجيههم.

فالأنبياء عليهم السلام لا يطلبون أجرًا من أحد، ولا يقبلون على تبليغ الرسالة ثمنًا من أي شخص، إنما يطلبون الأجر والثواب من الله الذي فطرهم وخلقهم ومَنَّ عليهم.

وكان شعارهم وإعلانهم وقرارهم بكل وضوح وجلاء وعلانية - أن

دعوتهم لم تكن من أجل الدنيا أو المال أو المنصب أو الجاه، إنما هي لله خالصة، لا يبتغون من غير الله أجرًا، فهم في دعوتهم لا يطلبون ثناء ولا مديحًا إنما يقصدون ثواب الآخرة ورضاء الله تبارك وتعالى.

وانظر إلى خطابهم لقومهم في القرآن الكريم ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود: ٥١]. ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾﴾ [الفرقان: ٥٧].

﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦]. ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء: ١٠٩- ١٢٧-١٤٥-١٦٤-١٨٠]. ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢].

### المزية الثالثة: أول أهدافهم عليهم السلام تصحيح العقيدة وإخلاص الدين وإفراد الله جلَّ وعزّ بالعبادة:

إن الأنبياء عليهم السلام كان أول هدفهم وأول دعوتهم في كل زمان وفي كل مكان وفي كلِّ بيئة - هو تصحيح العقيدة في الله تعالى، وتصحيح الصلة بين العبد وربه والدعوة إلى إخلاص الدين وإفراد الله وحده بالعبادة، وأنه هو النافع والضار المستحق وحده للعبادة والدعاء والالتجاء والتنسك[1].

وكانت حملتهم مُركَّزة وموجهة إلى الوثنية القائمة في عصورهم، الممثلة بصورة واضحة في عبادة الأوثان والأصنام، والصالحين والمقدسين من الأحياء والأموات الذين كان يعتقد أهل الجاهلية أن الله قد خلع عليهم

(١) النسك: العبادة.

لباس الشرف، وجعلهم متصرفين في الأمور.

فلذا أرسل الله جميع الرسل بهذه الدعوة الكريمة، وهي دعوة التوحيد وإخلاص النية والعمل له تعالى عن طريق إفراده بالعبادة.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

### المزية الرابعة: البساطة في الدعوة وعدم التكلف:

إن التعقيد والتكلف بعيدان عن منهج الأنبياء عليهم السلام، والبساطة مزية واضحة في دعوة جميع الأنبياء، فهم يسيرون على منهج الفطرة ويخاطبون الناس على قدر عقولهم، فلا يتكلفون ولا يتشدقون بخطاباتهم ولا يتصنعون.

والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة على لسان رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

فالأسلوب الفطري الذي اتبعه الأنبياء عليهم السلام هو أنجح أسلوب لأنه بعيد عن الأساليب الصناعية والمناهج الكلامية والأمور العويصة.

ومَن تأمل الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية يُجدها لا تشفي العليل ولا تروي الغليل.

وأقرب طريق إلى الحقيقة وخير طريق هو القرآن الكريم؛ لأن أدلته كالماء الذي ينتفع به الصبي والرضيع والرجل القوي والرجل الضعيف، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مَرَّة ويمرضون بها أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلًا.

وأسلوب القرآن خالٍ من التعقيد والتكلف، وكان الله تعالى يأمر النبي ﷺ أن يدعو إلى أفضل أسلوب وأنجح طريق: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

### المزية الخامسة: وضوح الهدف والغاية في دعوة الأنبياء عليهم السلام:

إن الأنبياء عليهم السلام دعوا الناس إلى رسالة ربانية ذات هدف واضح وغاية نبيلة، وهم عليهم السلام في دعوتهم لا يسلكون الطرق الملتوية والأساليب الاحتيالية التي تخفي وراءها الهدف والغرض من تلك الدعوة، كما هو الحال عند بعض الساسة أو القادة أو الزعماء الذين لا يوضحون قصدهم ولا غرضهم ولا هدفهم حيث يبقى غامضًا، أما الأنبياء فدعوتهم لا غموض فيها ولا لبس.

قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[(١)].

### المزية السادسة: الزهد في الدنيا وإيثار الآخرة:

دعوة الرسل عليهم السلام إلى الآخرة وإيثارها على الدنيا، والاستهانة بقيمتها ومتاعها - لم تكن دعوة باللسان فقط، بل كان ذلك مبدأ ومنهاجًا لحياتهم، فكانوا زاهدين في الدنيا، مقبلين على الآخرة، قد زهدوا في المناصب الكبيرة والمراكز الخطيرة، وضَحَّوا بها في سبيل دعوتهم.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٦/٤)، وابن ماجه (١/ ٤٣/ ١٦).

وحياة النبي ﷺ ومعيشته وحياة أهل بيته أنموذج في ذلك، فهي معروفة في التاريخ والسيرة النبوية، فهي تثير العجب، وتسحر النفوس، وتملأ القلوب عظمة ومهابة، وتنصب للدعاة والسائرين على منهاج النبوة منارًا عاليًا من نور.

وكان الشعار الدائم لمعيشة الرسول ﷺ: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**».

والزهد مزية ملازمة لدعوة الأنبياء عليهم السلام، فليس غرضهم الاستمتاع بزينة الحياة الدنيا وزخرفتها.

فكان الأنبياء عليهم السلام يعيشون في شظف من العيش وفي شدة الضيق، مع أنهم كانوا قادرين أن يتنعموا في الدنيا وأن يتلذذوا بها وأن يعيشوا فيها عيشة الأغنياء والزعماء، ولكنهم آثروا الحياة الآخرة الباقية على الحياة الدنيا الفانية ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠] ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وكان الله ﷻ يعلِّم نبيه محمدًا ﷺ عدم الافتتان بالحياة الدنيا فيقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

وحين طلب أزواج رسول الله ﷺ منه ﷺ أن يوسع ويزيد عليهن في النفقة، ويعاملهن كبقية النساء اللواتي يعشن في رغد من الدنيا وفي بحبوحة من النعيم؛ خُيِّرن بين البقاء معه ﷺ على الحالة المعهودة أو الفراق بينه وبينهن.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

## المبحث الثالث: الصلة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل

الإيمان بصدق الرسل وأمانتهم وتبليغهم من الإيمان بالله والعكس تمامًا.

١- فمن الإيمان بالرسل الإيمان بصدقهم، فلا يجوز في حقهم الكذب فيما يبلغونه عن الله، وذلك أن الله ﷻ يستحيل في حقه الكذب، وقد صَدَّقهم بالمعجزات، وتصديق الكاذب كذب، فكذبهم يستلزم نسبة الكذب إلى الله، تعالى الله عن ذلك، فاقتضى هذا نفي الكذب عنهم بالكلية فيما بَلَّغوه عن الله ﷻ فهم معصومون من الكذب.

٢- الأمانة، فالله ﷻ قد اختارهم وائتمنهم على الوحي؛ ولذلك قال خزيمة بن ثابت رضي الله عنه: صَدَّقناك في خبر السماء أفلا نصدقك في خبر الأرض؟! وقال رسول الله ﷺ: «**والله إني لأمين مَن في السماء**».

أي أن الله ﷻ ائتمنه فهو أمينه. وفي السماء معناه: العلي.

٣- التبليغ، أي: تبليغ الرسالات؛ لأن الله توعدهم على ترك التبليغ فوجب أن يكونوا قد بَلَّغوا.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

وهذه من الكلمات التي سبق التنزيل بها، فقد قُرِئَت في السبع (رسالاته) وقُرِئَت (رسالته).

فيستحيل في حقهم أضدادها، وهي الكذب والخيانة والكتمان، لكن في التبليغ لا يجب عليهم أن يبلغوا جميع أممهم؛ لأن الله جعل لهم أعمارًا محددة يموتون فيها، فيجب على الرسول أن يبلغ من تقوم بهم الحجة، سواء كان واحدًا أو أكثر(١).

٤- تلازم الإيمان بالرسل وكفر من بلغته رسالة محمد ﷺ ولم يقر بها.

**قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: وجَعَل الإيمان بهم متلازمًا، وكَفَّر من قال: إنه آمن ببعض وكفر ببعض، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]، وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقد قال لنا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٦ - ١٣٧]، فأَمَرنا أن نقول: آمنا بهذا كله ونحن له مسلمون.

فمَن بلغته رسالة محمد ﷺ فلم يقر بما جاء به، لم يكن مسلمًا ولا مؤمنًا، بل يكون كافرًا وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن.

هذه قاعدة في كل أصول الدين وثوابته وقطعياته، فهي قاعدة في أركان الإيمان وأركان الإسلام، وفي أصول الغيبيات الأخرى، وفي الأحكام

(١) «سلسلة الأسماء والصفات» بتصرف يسير (١١/ ١١، بترقيم الشاملة آليًا).

القطعية، أعني: أن قاعدة التسليم لابد أن تكون مطردة، وأن مَن اختل تسليمه في مسألة من المسائل التي تطرد في قاعدة واحدة فقد هدم دينه.

فمثلًا: أول أركان الإيمان الإيمان بالله ﷻ، فمَن أنكر اسمًا من أسماء الله أو صفة من صفاته لا على سبيل التأويل، فإنه بذلك يكون قد وقع في الكفر، وهكذا فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل.

وكما قرر الشيخ أن من أنكر رسالة رسول أو نبوة نبي واحد، فقد كفر كفرًا مطلقًا مخرجًا من الملة، وكأنه كفر بالجميع؛ لأن تكذيب واحد منهم يعتبر تكذيبًا للكل، ثم كذلك بقية أركان الإيمان بالرسل[١].

٥- (أثبت لهم الإيمان به مع مقارنة الشرك، فإن كان مع هذا الشرك تكذيب لرسله، لم ينفعهم ما معهم من الإيمان بالله. وإن كان معه تصديق لرسله، وهم مرتكبون لأنواع من الشرك لا تخرجهم من الإيمان بالرسل واليوم الآخر، فهؤلاء مستحقون للوعيد أعظم من استحقاق أرباب الكبائر)[٢].

٦- الإيمان بالرسل جميعًا، والتصديق بما أخبر الله به ورسوله من البعث والجنة والنار والحساب والجزاء - كل ذلك داخل في الإيمان بالله.

**فعلى كل مكلف أن يؤمن بالله ورسوله، وأن ينقاد لشرع الله، وأن يخلص لله في العبادة دون ما سواه، وأن يحذر ما نهى الله عنه من قول وفعل وعقيدة، هذا هو دين الله، وهذا هو الإسلام[٣].**

٧- وكذا فالأيمان بالله غايه والإيمان بالرسل وسيلة.

---

(١) «شرح التدمرية» ناصر العقل (٢٣/ ٤، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٢٨٢).

(٣) «مجموع فتاوى ابن باز» (٧/ ٣٠٤).

فلقد كانت هذه الغاية ووسيلتها واضحة تمام الوضوح لدى الموحد، فقد ذكر بعض أهل العلم في الإيمان بالله والإيمان بالرسل أن هاهنا غاية ووسيلة، محمد بن عبد الوهاب فأما الغاية فهي الإيمان بالله، وأما الوسيلة فهي الإيمان بالرسل، وقال الشيخ: «الإيمان بالله مثل الماء، والإيمان بالرسل مثل الدلو والرشاء»[(١)(٢)].

٨- وكذا فمن الإيمان بالله تعالى الإيمان بوحدانيته والإيمان بصفاته، ومن الإيمان بالله الإيمان بتوحيده تعالى وصفاته، أي الإيمان بما أنزل الله في كتبه، ومن الإيمان بالرسل الإيمان بما أخبرت به عن الله تعالى وصفاته[(٣)].

٩- وكذا فإن أركان الإيمان هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. تنقسم إلى قسمين: قواعد عامة أساسية وهي الواضحات التي دلت عليها النصوص الشرعية، ومسائل دقيقة وربما يكون في بعضها غموض.

**فهذه القضايا الستة هي أصول العقيدة، وأما ما يرد من خلافات دقيقة في بعضها فإنه بحَسَبه.**

فمثلًا: في باب الإيمان بالله مثلًا قد يأتي خلاف عند أهل السنة في صفة من الصفات مثل صفة الساق، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لم يختلف أهل السنة والجماعة في أي صفة من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ إلا في صفة الساق؛ لأن الآية الواردة فيها ليس فيها إضافة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: ٤٢]، فكلمة «ساق» هنا منكرة، وليست

(١) «الدرر السنية» بتصرف يسير، ط٢ (جـ١ ص١٠٧).
(٢) «عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي» (٢/ ٧٦٨).
(٣) «شرح الرسالة التدمرية» للبراك (ص: ٢٩).

مضافة إلى الله ﷻ، لكن صفة الساق ثابتة عند أهل السنة والجماعة بدليل حديث أبي سعيد الخدري في «صحيح البخاري» في ذكر أحوال الناس في المحشر، وفي الحديث أن الله ﷻ يكشف عن ساقه، فهنا إضافة الساق إلى الله ﷻ، وهذا يدل على أن المراد بالآية: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القلم: ٤٢] أنها ساق الله ﷻ. وهناك مسائل الإيمان بالرسل مثل الإيمان بعدد الرسل فإنه لم يرد عدد محدد للرسل، لكن ورد حديث في مسند الإمام أحمد عن أبي ذر، والحديث فيه خلاف في صحته؛ ولهذا فمسألة عدد الرسل لا تعتبر من أصول العقيدة، والإيمان بالرسل وبأسماء الرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن يعتبر من أصول العقيدة.

أيضًا: هناك خلاف في بعض أسماء الرسل، مثل: دانيال مثلًا، وهل دانيال رسول أو ليس برسول؟ وقد ورد في بعض الأحاديث أنه رسول، لكن هذا الحديث في صحته خلاف.

ولهذا يجب أن نعلم أن هذه الأركان تحتها مسائل كبيرة جدًّا، ومن هذه المسائل ما هي أصلية أساسية وهي التي جاء عليها النص في القرآن والسنة الصحيحة، ومنها ما هي مسائل دقيقة وغامضة وفيها خلاف، وهذه ليست من أصول العقيدة بل هي من المسائل الاجتهادية التي يحصل فيها الخلاف، وقد سبق أن مثلنا ببعض هذه المسائل(١).

١٠- وكذا فإن الإيمان بالله إيمان بالغيب، والإيمان بالرسل الذين سلفوا إيمان بالغيب، وكذلك كل أركان الايمان، فرجعت حقيقة أركان الإيمان والعقيدة إلى أنها إيمان بالغيب، فمَن آمن ببعض الغيب وبعض الغيب تأوله فإنه خارج عن صراط الصحابة والفرقة الناجية في ذلك.

(١) «أصول العقيدة» لعبد الرحيم السلمي (٩/ ١١، بترقيم الشاملة آليًّا).

## المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسل

### أما الواجب علينا نحو الرسل فهو الآتي:

١- يجب علينا تصديق رسل الله جميعًا، بعد الإيمان بهم وبرسالتهم، وأن لا نفرق بينهم، فمَن فَرَّق بين رسل الله فآمن ببعضهم وكفر بالآخرين، أو صَدَّق بعضهم وكَذَّب بعضًا، كان من الكافرين، بنص القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥١].

٢- كما يجب علينا أن نؤمن أن كل رسول أرسله الله أدى أمانته وبَلَّغ رسالته على الوجه الأكمل، وبَيَّنها بيانًا واضحًا كافيًا.

٣- كما يجب علينا طاعتهم وعدم مخالفتهم؛ لأن ذلك من طاعة الله، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤].

٤- كما يجب علينا أن نعتقد بأنهم أكمل خُلُقًا وعلمًا وعملًا وفضلًا وصدقًا، وأن الله ميزهم بفضائل لا تتوافر لغيرهم، وأنه عصمهم، ونزههم عن الكذب والخيانة والكتمان.

٥- كما يجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله جميعًا كانوا رجالًا من البشر، فلم يكونوا من الملائكة، ولم يبعث الله أنثى، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف: ١٠٩].

٦- كما يجب علينا أن نؤمن أن الله لم يخصهم بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية، وإنما اختارهم سبحانه من الرجال الذين يأكلون ويشربون، ويمشون في الأسواق، وينامون ويجلسون ويضحكون ولهم أزواج وذرية، ويتعرضون للأذى وتمتد إليهم أيدي الظلمة، وينالهم الاضطهاد، وأنهم يموتون، وقد يُقتلون بغير حق، وأنهم يتألمون، ويصيبهم المرض، وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص مراتبهم العالية بين الخلق.

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ [الرعد: ٣٨].

٧- كما يجب علينا أن نؤمن أنهم لا يملكون شيئًا من خصائص الألوهية، فلا يتصرفون في الكون، ولا يملكون النفع أو الضر، ولا يؤثرون في إرادة الله، ولا يعلمون الغيب إلا أن يطلعهم الله عليه.

قال ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٨- كما يجب علينا أن نؤمن بأن الله أيدهم بالمعجزات الباهرات

والآيات الظاهرات؛ الدالة على صدقهم فيما جاءوا به..

٩- كما يجب أن نؤمن أن أفضلهم على الإطلاق هو نبينا محمد ﷺ؛ وأنهم يتفاضلون في المنازل عند الله.

قال تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣](١).

١٠- الصلاة والسلام عليهم، فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائه الثناء الحسن على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم. قال تعالى عن نوح: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٨، ٧٩]. وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الصافات: ١٠٨، ١٠٩]. وقال تعالى عن موسى وهارون: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الصافات: ١١٩ - ١٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: ١٨١].

قال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٩] مفسرًا لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه جميع الطوائف.

وقد نقل الإمام النووي إجماع العلماء على جواز الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابها. قال: أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ. وكذلك أجمع مَن يُعتد به على جوازها على سائر الأنبياء والملائكة

---

(١) بتصرف من كتاب «الإيمان» د. محمد نعيم ياسين، (ص: ٦٣)، وما بعدها.

استقلالًا، وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يُصلَّى عليهم ابتداء(١).

١١- الحذر من تكذيبهم ومعصيتهم:

ومما يجب علينا نحو الأنبياء والمرسلين أن نحذر من تكذيبهم فيما أخبروا به ودعوا إليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وكذلك مخالفة أوامرهم ومعاداتهم.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].

## المبحث الخامس: معنى الإيمان بالرسل

١- التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وحده بلا شريك والكفر بما يُعبد من دونه، أي أن دعوتهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقت فِي أَصل الدِّينِ وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ ﷻ بِإِلَهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَفْيُ مَا يضاد ذلك أو ينافي كماله، وَأَمَّا فُرُوعُ الشَّرَائِعِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فقد تختلف لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ وَغَايَةٍ مَحْمُودَةٍ قَضَاهَا رَبُّنَا ﷻ.

٢- وأنهم هداة الخلق هداية دعوة ودلالة وإرشاد إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

وأما هداية التوفيق وَالتَّسْدِيدِ وَالتَّثْبِيتِ فَلَيْسَتْ إِلَّا بِيَدِ اللَّهِ ﷻ، هُوَ مُقَلِّبُ

---

(١) «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (ص: ١٦٦).

الْقُلُوبِ وَمُصَرِّفُ الْأُمُورِ، لَيْسَ لملك مقرب ولا لنبي مرسل تصرف في شيء منها فضلًا عمن دونهما؛ ولذا قال تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

٣- وأن جميعهم صادقون مصدقون، أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة مؤيدة، وأنهم بَلَّغُوا جَمِيعَ مَا أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ، لم يكتموا منه حرفًا ولم يغيروا وَلَمْ يَزِيدُوا فِيهِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ حَرْفًا ولم ينقصوه.

٤- وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَاتَّخَذَ مُحَمَّدًا ﷺ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا وَرَفَعَ إِدْرِيسَ مَكَانًا عَلِيًّا وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

٥- ثُمَّ الإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَجِبُ إِجْمَالًا فِيمَا أَجْمَلَ وَتَفْصِيلًا فِيمَا فَصَّلَ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْهُمْ آدَمَ وَنُوحًا وَإِدْرِيسَ وَهُودًا وَصَالِحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَشُعَيْبًا وَيُونُسَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَإِلْيَاسَ وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ، وَذَكَرَ الْأَسْبَاطَ[١] جُمْلَةً وَعِيسَى وَمُحَمَّدًا، صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَنْبَائِهِمْ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤][٢].

---

(١) هم أولاد يعقوب، وقد كانوا اثني عشر رجلًا عرفنا القرآن بواحد منهم وهو يوسف والباقي عددهم أحد عشر رجلًا لم يعرفنا الله بأسمائهم، ولكنه أخبرنا بأنه أوحى إليهم، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦].

«الرسل والرسالات» للدكتور عمر الأشقر (ص١٩).

(٢) «مختصر معارج القبول» (ص: ١٩٧).

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلًا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأتِ في عددهم نص.

وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾ [غافر: ٧٨].

وعلينا الإيمان بأنهم بَلَّغوا جميع ما أُرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانًا لا يسع أحدًا ممن أُرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ [النحل: ٨٢]. ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن: ١٢].

ومنهم أولو العزم من الرسل. وقد قيل فيهم أقوال، أحسنها ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم. قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ﴾ [الأحزاب: ٧].

وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣][1].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٧/ ٢٧٢).

وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالًا وتفصيلًا[(١)].

٦- الإيمان برسل الله ﷻ متلازم، مَن كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام.

كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾ [الصف: ٦، ٧].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٤٢٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

## المبحث السادس: مقالات قادحة في الإيمان بالرسل

### عرض المقالات الباطلة في هذا الباب:

**١- القول بجواز أن يكون في البشر مَن يوازي الأنبياء، وجواز أن يكون فيهم من هو أفضل من الأنبياء:**

حكى ابن حزم القول بجواز أن يكون في البشر مَن يوازي الأنبياء عن الجُبائي[(١)]، وحكى القول بجواز أن يكون فيهم من هو أفضل من الأنبياء عن الباقلاني[(٢)] فقال: «إن الجبائي قال: جائز إن طال عمر امرئ أن يعمل ما يوازي عمل نبي من الأنبياء. وقال الباقلاني: جائز أن يكون في الناس من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حيث بُعث بالنبوة إلى أن مات»[(٣)].

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، أحد أئمة المعتزلة، ورأس الطائفة الجبائية، (ت٣٠٣). انظر «البداية والنهاية» (١١/ ١٢٥).

(٢) هو محمد بن الطيب، أبو بكر القاضي، رئيس الأشاعرة في عصره، كان ذكيًّا حسن الجواب، (ت٤٠٣هـ). انظر «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٩٧).

(٣) «الفصل» (٤/ ١١٤)، ولم أجد فيما بين يدي من مراجع قول الجبائي ولا أستبعده منه، فإن له شنعًا أشد من مثل هذا كثيرًا، وكذا لم أقف على قول الباقلاني هذا فيما بين يدي من كتبه أو من المراجع غيرها، وإنما نقل ابن حزم كلامه بواسطة ولم يقف عليه كما صرح به في (٤/ ١٦٤، ٢٢٥) في «الفصل».

وهذا قول مرذول مردود على من يقول به، وليس مورد المفاضلة بين الأنبياء والبشر ما ذُكر، فإنه إن وقع أن عاش أحد أكثر من النبي وعمل عملًا أكثر منه في مجموع حياته، فأنَّى له أن يدرك فضل النبوة ومنزلتها، وكذا إن كان عمله أكثر في صورته فأنى له أن يدرك فضل أصل عمل النبي، فعمل النبي طاعة لله وتشريع لأمته، وعمل غيره طاعة لله ومتابعة للنبي، ثم إن ركعة من النبي بل مع نبي - خير من ركعة من غيره، فأنى لعامل أن يدرك فضل عمل النبي؟!

وقد قال ﷺ لصحابته: «**قد علمتم أنى أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم**»[١].

وقال: «**أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له**»[٢] وقال: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**»[٣] فالنبي أعلم بالله من سواه وأتقى لله وأخشى له وأصدق وأبر، وما أساس التفاضل في الأعمال إلا هذا، لا مجرد صورة العمل.

ولقد قال ﷺ: «**إنما أجلكم في أجل مَن خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالًا فقال: مَن يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: مَن يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا**

---

(١) **متفق عليه من حديث جابر:** انظر: البخاري مع الفتح (١٣/ ٣٣٧)، ومسلم (٢/ ٨٨٣).

(٢) **أخرجه البخاري عن أنس:** انظره مع الفتح (٩/ ١٠٤)، ومسلم عن عمر بن سلمة (٢/ ٧٧٩).

(٣) أخرجه البخاري، انظر الصحيح مع الفتح (١/ ٧٠).

**فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء!! قال الله: هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فإنه فضلي أعطيه من شئت»**[(١)].

في هذا الحديث بيان ظاهر على أن تفضيل الله أحدًا من خلقه على غيره لا يكون بمجرد كثرة العمل.

وكذا الحديث الوارد في الصحابة رضوان الله عليهم، وهو قوله ﷺ: «**لو أن أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[(٢)] ففيه أن غير الصحابي لو أنفق من الذهب - وهو أثمن ما ينفق - قدر جبل أُحد - وهو شيء كثير جدًّا - ما أدرك ثواب نفقة الصحابي مُدًّا - وهو ثلاثة أصواع، أي سبعة كيلو غرام ونصف تقريبًا - بل ونصف المد من أي مال كان، ذهبًا أو أقل منه.

وكان سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة من صحابة رسول الله ﷺ قد أقسم فقال لأهل الكوفة في صحابة رسول الله ﷺ: «والله لمشهد شهده الرجل منهم يومًا واحدًا في سبيل الله مع رسول الله ﷺ - أفضل من عمل أحدكم ولو عُمِّر عمر نوح»[(٣)] فهذا قول مَن يُعتد بقوله

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح (٦/ ٤٩٥، ٤٩٦).

(٢) **متفق عليه:** البخاري مع الفتح (٧/ ٢١)، ومسلم (٤/ ١٩٦٧).

(٣) أخرجه ابن شيبة في «المصنف» (١٢/ ١٣)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٨٧)، وقال أحمد شاكر في ترتيبه (١٠٨/٣): إسناده صحيح. وأبو داود في «السنن» (٤/ ٢١٢)، وقال المنذري في «مختصر سنن أبي داود» في السنن (٧/ ٢٩): وأخرجه النسائي وابن ماجه، ولم أعثر عليه فيهما بعد البحث. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٩٥).

ويؤخذ به في العمل مع النبي ﷺ فكيف بالعمل من النبي نفسه؟!

**وقال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال غير واحد من الأئمة: إن مَن صحب النبي ﷺ أفضل ممن لم يصحبه مطلقًا، وعينوا ذلك في مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز مع أنهم معترفون بأن سيرة عمر بن عبد العزيز أعدل من سيرة معاوية. قالوا: لكن ما حصل لهم بالصحبة من الدرجة أمر لا يساويه ما حصل لغيرهم بعلمه[1].

فهذا فيمن صحب النبي فكيف بالنبي نفسه؟!

ثم قد ثبت أن مَن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، فمَن عاش أكثر من النبي وعمل أكثر منه فإن للنبي من جميع عمله مثل أجره، فأنى يبلغ منزلة النبي؟!

وذلك التجويز من أولئك المتكلمين وأمثالهم إنما مبناه عندهم الجواز العقلي لا الشرعي، بناء على ما أصلوه من أن الله يجوز أن يفعل كل ممكن، وإلا فهم متفقون على أن الأنبياء أفضل الخلق لكن يقولون: «هذا لم يُعلم بالعقل بل عُلم بالسماع»[2].

**٢- مقالة تفضيل الولي على النبي:**

**لقد كان أول من تكلم بهذه المقالة غالطًا: الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن،** أحد الأئمة الحفاظ المحدثين، فقد كان يفضل الولاية على النبوة فأُنكر عليه ذلك وأُخرج من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر[3].

---

(١) «الفتاوى» (٤/ ٥٢٧).

(٢) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٤١٩).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٤١)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٤٥)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٠)، و«لسان الميزان» (٥/ ٣٠٨)، و«الصفدية» (١/ ٢٤٨).

وإنما أُتي - غفر الله له - فيما يبدو، من جهة الاستنباط الخاطئ وسوء الفهم، فقد قال في قوله ﷺ في المتحابين في الله: «**يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**» وفي رواية بزيادة: «**بمكانهم من الله**» وفي رواية: «**يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون**» وفي رواية: «**ليسوا بأنبياء ولا شهداء**»[1].

قال الحكيم الترمذي: لو لم يكونوا أفضل منهم لم يغبطوهم[2].

وهذا بُعد فهم، ووهم في الاستنباط، فإنه لا يلزم من غبطة الأنبياء والصديقين والشهداء لهم أن يكونوا أفضل منهم، فإنه قد يقع للمفضول من الفضل ما لا يكون للفاضل، فإذا غبط الفاضل للمفضول تلك الفضيلة، فلا يُنقِص ذلك من منزلته، بل هو دال على تمام فضله، وهذا الشهيد قد كتب

---

(١) انظر روايات هذا الحديث عن معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وأبي مالك الأشعري.

أخرجه عن معاذ: الترمذي في «سننه» (٤/ ٤١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والحاكم في «مستدركه» (٤/ ٤٢٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: صحيح.

وأخرجه عن معاذ وعبادة أحمد في المسند (٥/ ٣٢٨، ٣٢٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٧٩): رجاله رجال الصحيح. وابن حبان في «صحيحه»، انظر «الإحسان» (١/ ٣٩٠) و«موارد الظمآن» (٦٢١)، وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٢٠): رواه النسائي. ولم أعثر عليه في السنن. والبزار انظر «كشف الأستار» (٤/ ٢٢٨).

وأخرج حديث أبي مالك: أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤١-٣٤٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٧٧): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير حوشب، وقد وثقه غير واحد.

(٢) **متفق عليه:** انظر البخاري مع الفتح (٦/ ١٥)، وصحيح مسلم (٣/ ١٤٩٨).

الله له من النعيم ما خصه به دون سائر المؤمنين وفيهم من هو أفضل منه وهم الأنبياء والصديقون، وقد قال ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى**»[١] وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرَ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ**»[٢].

ففي حصر النبي ﷺ هذا التمني في الشهداء من بين سائر الموتى من المؤمنين - دليل مجمل[٣] على اختصاص الشهيد ببعض النعيم، مع أن فيهم من هو أفضل منه، ولقد تمنى النبي ﷺ الشهادة فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثم أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثم أُقْتَلُ**»[٤].

ومن ذا يقول: إن الشهيد أفضل من النبي ﷺ لأن النبي تمنى الشهادة؟!!

والحكيم الترمذي كان قد صَنَّف مصنفًا غلط فيه في مواضع كما قال ابن

---

(١) **متفق عليه:** انظر البخاري مع الفتح (٦/ ٢٢)، وصحيح مسلم ١٤٩٨).

(٢) وقد وردت أحاديث فيها شيء من التفصيل لبعض ما اختص به الشهيد؛ كالحديث الصحيح الذي فيه أرواح الشهداء في جوف طير خضر وأن لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل. وفي الحديث الصحيح الآخر أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة. فخص الشهيد بأن روحه في جوف طير في حين أن أرواح سائر المؤمنين تطير بأنفسها.

(٣) **متفق عليه:** انظر البخاري مع الفتح (٦/ ١٦)، وصحيح مسلم (٣/ ١٤٩٦، ١٤٩٧).

(٤) انظر: «الفتاوى» (١/ ٢٢٣).

تيمية[١]، وهو كتابه «ختم الولاية» الذي نُفي من ترمذ وأُخرج منها وشهد عليه أهلها بالكفر بسبب تصنيفه[٢].

وقد قال الترمذي الحكيم عن نفسه: ما صنفت شيئًا عن تدبير ولا لأن ينسب إليَّ شيء منه، ولكن كان إذا اشتد عليَّ وقتي كنت أتسلى بمصنفاتي[٣].

وهذا كافٍ في توهين مقالاته في هذه المسألة وأنها منه نزغة اصطادها

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٤١)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٤٥)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٠)، و«لسان الميزان» (٥/ ٣٠٨)، وكتاب «ختم الولاية» أو «الأولياء» لا يوجد منه سوى عناوين فصوله وشرح لبعض فصوله، كتبه مجهول- كما في «تاريخ الأدب العربي» (٤/ ٧٠).

وقال محقق الجزء الثالث عشر من كتاب «سير أعلام النبلاء» (ص٤٤١): لم ينقل إلينا مستقلًّا إلا أن ابن عربي الحاتمي حفظ لنا صورة عنه في كتابه «الفتوحات المكية» في مجموعه المائة والخمس والخمسين سؤالًا، ولكن ابن عربي لم ينص على كتاب الحكيم هذا بل قال: اعلم أن الدعاوى لما استطال لسانها في هذا الطريق من غير المحققين قديمًا وحديثًا، جرد الإمام صاحب الذوق التا محمد بن علي الترمذي الحكيم مسائل تمحيص واختبار، وعددها مائة وخمسة وخمسون سؤالًا، لا يعرف الجواب عنها إلا من عملها ذوقًا وشربًا. إلى أن قال: فجعلت هذا الباب مجلاها. وسرد الأسئلة وأجاب عنها في مائة صفحة. «الفتوحات المكية» (٢/ ٣٩، ١٣٩).

وزعم الشعراني كما في «بغية المستفيد» (ص١٩٣) أن الحكيم ألقى كتابيه في «الختم» وفي «علل الشريعة» لما شنعوا عليه بما فيهما من تفضيل الولاية على النبوة ألقاها في البحر فابتلعتها سمكة ثم لفظتها وانتفع بهما.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٤١، ٤٤٢)، و«لسان الميزان» (٥/ ٣٠٨).

(٣) «بغية المرتاد» (ص٣٩٢).

قلمه عن غير فقه ولا تدبر.

وقد زعم في كتابه ذلك أن للأولياء خاتم كما أن للأنبياء خاتمًا، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بمثل ما تكلم به، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وخاتم الأولياء كلمة لا حقيقة لفضلها ومرتبتها، وإنما تكلم أبو عبد الله الترمذي بشيء من ذلك غلطًا، لم يُسبق إليه ولم يتابع عليه ولم يستند فيه إلى شيء[1].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو من غلطاته فإن الغالب على كلامه الصحة[2].

وكما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لم يتابع الترمذي الحكيم على مقالتيه، فانتهتا حيث ابتدأهما، كلمات في مصنف تسلى بها صاحبه، ما كانت عن تدبر، ولا يريد هو أن ينسب إليه شيء منها.

حتى جاءت طائفة من المتأخرين منحلي التصوف فطاروا بالمقالتين، وسعوا بهما في الناس بخيلهم ورجلهم، ونادوا بها ودعوا إليها وصنفوا فيها.

فصار تفضيل الولي على النبي، ودعوى أن للأولياء خاتمًا هو أفضلهم كما أن للأنبياء خاتمًا هو أفضلهم، صار ذلك عقيدة عند طائفة من المتصوفة وبخاصة غلاتهم أهل وحدة الوجود.

**وكان ممن تولى كِبْر هذه العقيدة ابن عربي الحاتمي أحد رءوس الاتحادية**، وقد صرح في مواضع من كتبه بأن الولاية أعظم من النبوة، ثم النبوة أعظم من الرسالة، فجعل الولي أفضل من الرسول والنبي، وفَضْله على الرسول أعظم من فضله على النبي، وكان مما قاله في ذلك:

---

(١) «الفتاوى» (١١/ ٣٦٣)، وانظر «الصفدية» (١/ ٢٤٨).

(٢) «لطائف الأسرار» (ص٤٩).

**سماء النبوة في برزخ     فويق الرسول ودون الولي**[١]

ولذلك قدم في فتوحاته الكلام في معرفة مقام الولاية ثم مقام النبوة ثم مقام الرسالة[٢]، وقال في مقام الولاية: من صورة الحق لنا من ولايته جميعها قلنا في الحرب إقدام لنا الخلافة في الدنيا محققة ومالها في جنان الخلد أحكام[٣].

فالأولياء عنده - وقد جعل نفسه منهم - نالوا جميع ولاية الله ولهم الخلافة على الخلق محققة.

وقال: فالحق لأصحاب المقامات من الأولياء مطيع، ولكلامهم سميع، لهم جميع المقامات والأحوال، وهم ذُكْران الرجال لا يلحقهم عيب ولا يقول بهم فيما هم فيه ريب، لهم الآخرة مخلصة كما هي لله، ولهم الدنيا ممتزجة كما هي لسيدهم، فهم بصفات الحق ظاهرون ولذلك جُهلوا [٤].

وقال: للأولياء التفريع والإقبال ولهم الستور والحجاب، إذا قربهم صانهم وسترهم وخباهم فجهلوا، وإذا عاقبهم وليسوا بأنبياء أظهر عليهم خَرْق العوائد فعُرفوا، فحجبوا الخلق عن الله[٥].

فعقاب الله للأولياء عنده بأن يُجري لهم الخوارق، وغَمَز الأنبياء بقوله: وليسوا بأنبياء. فهذا عقاب خاص للأولياء عنده لا يدركه الأنبياء.

ثم لما تكلم بعد مقام الولاية عن مقام النبوة افتتح بقوله:

---

(١) «الفتوحات المكية» (٢/٢٤٨-٢٥٢- ٢٥٦).

(٢) «الفتوحات المكية» (٢/٢٤٨).

(٣) «الفتوحات المكية» (٢/١٤٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥) «الفتوحات المكية» (٢/٢٥٢).

بين الولاية والرسالة برزخ     فيه النبوة حكمها لا يُجهل[١]

فصرح بأن النبوة منزلة متوسطة بين الولاية قبلها والرسالة بعدها.

ويقول في فصوصه: اعلم أن الولاية هي الفلك المحيط بالعالم؛ ولهذا لم تنقطع، ولها الإنباء العام، وأما التشريع والرسالة فمنقطعة[٢].

ويقول عن إخبار النبي ﷺ بأنه لا نبي بعده: وهذا الحديث قَصَم ظهور أولياء الله لأنه يتضمن انقطاع ذوق العبودية الكاملة التامة، فلا ينطلق عليها اسمها الخاص بها[٣].

يقول: والله لم يَتَسَمَّ بنبي ولا رسول، وتسمى بالولي واتصف بهذا الاسم فقال: «الله ولي الذين آمنوا» وقال: وهو الولي الحميد[٤].

ويقول معقبًا على كون الرسالة منقطعة: «والولاية ليست كذلك، إذ لو انقطعت من حيث هي كما انقطعت الرسالة من حيث هي لم يَبْقَ لها اسم، والولي اسم باقٍ لله[٥].

**فمن حماقات هؤلاء الاتحادية** أن الولاية أفضل من النبوة لأنها لا تنقطع كالنبوة ولأن الله سمى نفسه «الولي» ولم يُسَمِّ نفسه «النبي» فهي شنع مفتراة وجرأة على الله ورسوله.

ولما كانت الولاية أفضل من النبوة عند هؤلاء، كانت ولاية النبي عندهم أفضل من نبوته، يقول ابن عربي: إن الرسول من حيث هو ولي أتم من

---

(١) «فصوص الحكم بشرح القاشاني» (ص٢٠٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) «فصوص الحكم بشرح القاشاني» (ص٢٠٤).

(٥) المصدر السابق نفسه.

حيث هو نبي ورسول[١].

**ثم الولاية عندهم متفاضلة، وأفضلها منزلة خاتم الأولياء، فإن للأولياء في اعتقادهم خاتمًا كما أن للأنبياء خاتمًا، ولا يقدح عندهم في مقام خاتم النبوة كونه تابعًا لخاتم الرسل في التشريع.**

يقول ابن عربي: وإن كان خاتم الأولياء تابعًا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا إليه، فإنه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى[٢].

وعَلَّق على حديث النبي ﷺ الذي مَثَّل فيه حاله مع الأنبياء بالقَصْر الذي تُرك فيه موضع لبنة فكان هو ﷺ تلك اللبنة، فقال ابن عربي: ولما مثل النبي ﷺ بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة، فكان ﷺ تلك اللبنة، غير أنه ﷺ لا يراها إلا كما قال لبنة واحدة، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مَثَّله به رسول الله ﷺ، ويرى في الحائط موضع لبنتين، واللبن من ذهب وفضة، فيرى اللبنتين اللتين ينقص الحائط عنهما ويكمل بهما لبنة فضة ولبنة ذهب، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تيك اللبنتين فيكون خاتم الأولياء تيك اللبنتين، فيكمل الحائط بهما[٣].

وهذا صريح في رد إخبار النبي ﷺ بانقطاع الوحي وإكمال الرسالات به ﷺ.

ولقد غمز ابن عربي في مقام النبي ﷺ بقوله: غير أنه لا يراها إلا كما قال

---

(١) «الفصوص بشرح القاشاني» (ص٤٢).

(٢) «الفصوص بشرح القاشاني» (ص٤٣).

(٣) المصدر السابق.

لبنة واحدة، وأما خاتم الأولياء فيراها لبنتين!!

فأي فجور بعد هذا فلكأنه يصرح بأن قول النبي ﷺ بحسب علمه ورؤيته المحدودة ليست كرؤية خاتم الأولياء وعلمه!! فنعوذ بالله من الزيغ والشنائع.

وزاد ابن عربي الأمر إيضاحًا مبينًا وجه كون خاتم الأولياء يراها لبنتين وزاعمًا أن متابعة خاتم الأولياء لخاتم الرسل في التشريع إنما هي في الظاهر فقط فيقول: والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابعٌ لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضية، وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلا بد أن يراه هكذا، واللبنة الذهبية في الباطن فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسل[1].

فخاتم النبوة عند هؤلاء الاتحادية تبع للنبي ﷺ في الظاهر فقط، ولكنه في الباطن وعلى التحقيق يأخذ من المصدر نفسه الذي يأخذ منه النبي ﷺ فهو مستغنٍ عنه، بل هو أفضل منه - تنزه ﷺ عما يقول الكافرون - فإن النبي يأخذ عن المَلِك، أي عن الله مباشرة، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا!

ويقول ابن العربي: الولي لا يأخذ النبوة من النبي إلا بعد أن يرثها الحق منهم ثم يلقيها إلى الولي ليكون ذلك أتم في حقه حتى ينتسب في إلى الله لا إلى غيره[2].

---

(١) «الفتوحات المكية» (٢/ ٣٥٣).

(٢) «الفصوص بشرح القاشاني» (ص٤٣).

وأهل وحدة الوجود عندما يتكلمون بخاتم الأولياء ويفضلونه على الأنبياء ويَدَّعون أنه يأخذ عن الله بغير واسطة المَلَك - إنما يريدون بذلك تمرير مذهبهم في وحدة الوجود واتخاذ الوسيلة لدفع الناس للإيمان بوحدة الوجود.

ولذلك يقول ابن عربي في الولي ومذهب وحدة الوجود: وهذا هو أعلى علم بالله، وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأنبياء، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الوالي الخاتم(١).

بل يزعم أن الرسل إنما تأخذ العلم بالله ومعرفته سبحانه من مشكاة الولي فيقول: حتى إن الرسل لا يرونه متى رأوه إلا من مشكاة خاتم الأولياء. ويعلل ذلك فيقول: فإن الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالته - تنقطعان والولاية لا تنقطع أبدًا، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف مَن دونهم من الأولياء(٢) بل وخاتم الرسل أيضًا يأخذ عن خاتم الأولياء عندهم لأن نسبته إليه نسبة الأنبياء، يقول ابن عربي: فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه؛ فإنه الولي والرسول والنبي، وخاتم الأولياء الولي الوارث الآخذ عن الأصل المُشاهد للمراتب(٣).

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) «الفصوص بشرح القاشاني» (ص ٤٤).

(٣) هو (سيدي محمد العربي السائح الشرفي العمري التيجاني) وكتابه هذا شرح لمنظومة «منية المريد» في معتقد التيجانية وإن ثبات التيجاني هو القطب الأكبر. وهو صاحب منزلة خاتم الأولياء، وهذا المؤلف كان شيخ الطريقة التيجانية. انظر ترجمته في «الأعلام» (٦/ ٢٦٥).

فإذا استقر في عقيدة شخص أن الأنبياء والرسل يأخذون معرفة الله من مشكاة الأولياء، سَلَّم نفسه ومعتقده لهذا الخاتم يأخذ عنه ما يقوله في الله، فإذا قال له: إن الله هو كل شيء تقع عليه عينك ويدركه حسك - تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا - آمَن وسَلَّم؛ فإن هذا كلام المشكاة التي يأخذ منها الأنبياء فكيف لا يأخذ به هو؟!

وهكذا يدرك أهل وحدة الوجود غايتهم ليجد مذهبهم في الناس قَبولًا إذ بغير هذا قد استيقنت أنفسهم سفالة مذهبهم عند الناس وأنه غير مقبول ولا مسموع.

ولقد ادعى جماعة من هؤلاء الاتحادية القائلين بوحدة الوجود كل واحد منهم أنه هو خاتم الأولياء.

يقول أحد هؤلاء الصوفية صاحب بغية المستفيد[1]: وقد ادعى هذا المقام - أعني مقام الختم الأكبر - جماعة من الصادقين في الأحوال، قاله الشعراني رضي الله عنه، وممن ادعاه وظن أنه له حين رآه الشيخ محيي الدين[2] رضي الله عنه وادعاه له أيضًا بعد وفاته جماعة لما رأوا له نثرًا ونظمًا من الكلام الحائم حول ذلك المقام. قال: وممن ادعاها أيضًا الأستاذ سيدي علي وفا لوالده الأستاذ سيدي محمد وفا رضي الله عنهما حسبما نقله الشعراني رضي الله عنه قال: وادعاها أيضًا الإمام الجليل سيدي محمد بن سليمان الجزولي مؤلف دلائل الخيرات، وكذلك الشيخ العارف بالله الصفي القشاشي حسبما حكاه في

(١) يعني ابن عربي.

(٢) «بغية المستفيد» (ص١٩٣، ١٩٤). وإذا علمت أن ابن عربي توفي سنة (٦٣٨هـ) وأن التيجاني توفي سنة (١٢٣٠هـ) عرفت فشو هذه العقيدة وتداولها في «طبقات الصوفية» باتصال. انظر ترجمة التيجاني واسمه أحمد بن محمد في «الأعلام» (١/ ٢٤٥).

الرحلة العياشية، ثم قال: وقد تقدم لنا مما في طي رمز أول الكلام على أبيات هذه المنظومة أن الخاتم الأكبر المحمدي هو شيخنا وسيدنا وأستاذنا وإمامنا الشيخ الكامل والقطب الشامل مولانا أبو العباس التجاني رضي الله عنه فقد ثبت عنه رضي الله عنه من طريق الإثبات من ملازميه وخاصته أنه أخبر تصريحًا على الوجه الذي لا يحتمل التأويل أن سيد الوجود ﷺ أخبره يقظة بأنه هو الخاتم المحمدي المعروف عند جميع الأقطاب والصديقين، وبأن مقامه لا مقام فوقه في بساط المعرفة بالله(١).

**ولما ذكر ابن تيمية رحمه الله تكلم طائفة من الصوفية في خاتم الأولياء وتعظيمهم أمره قال** رحمه الله: وادعى جماعة كل واحد أنه هو كابن عربي.

**قال ابن تيمية:** وربما قيده بأنه ختم الولاية المحمدية أو الكاملة أو نحو ذلك لئلا يلزمه أن لا يُخلق بعده لله ولي(٢).

**والحاصل أن غلط الحكيم الترمذي كان مقدمة لضلال هؤلاء الصوفية وفتح لهم الكلام في تفضيل الولي على النبي وفي خاتم الأولياء فتعلقوا به واستندوا إليه(٣).**

وأتوا - كما يقول ابن تيمية - بالعظائم التي لم يُسبق إليها الترمذي ولا غيره(٤) ولكن متكلمة الصوفية هؤلاء كابن عربي وغيره وإن اعتمدوا على كلام الترمذي في الظاهر إلا أنهم في الحقيقة سلكوا مسلك ملاحدة الفلاسفة ووافقوهم في قولهم بتفضيل الفيلسوف الكبير على النبي(٥).

---

(١) «الفتاوى» (١١/ ٣٦٣)، وانظر (ص٤٤٤).

(٢) انظر «بغية المستفيد» (ص١٩٢، ١٩٣).

(٣) «الصفدية» (١/ ٢٤٨).

(٤) انظر «الفتاوى» (١١/ ٣٢٧، ٣٦٣)، و«الصفدية» (١/ ٢٤٩).

(٥) انظر «الفتاوى» (١١/ ٣٦٤)، ولم أجد لهذه الطائفة بهذا الاسم ذكرًا في كتب المقالات.

وقد ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن طائفة من السعدية يُفضلون الولي على النبي أيضًا[١].

**قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ **في رد هذه الضلالات:** فأما الغلو في ولي غير النبي حتى يفضل على النبي - سواء سُمي وليًّا أو إمامًا أو فيلسوفًا - وانتظارهم للمنتظر الذي هو محمد بن الحسن أو إسماعيل بن جعفر، نظير ارتباط الصوفية على الغوث وعلى خاتم الأولياء، فبطلانه ظاهر بما عُلم من نصوص الكتاب والسنة وما عليه إجماع الأمة، فإن الله جعل الذين أنعم عليهم أربعين: النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

فغاية مَن بعد النبي أن يكون صديقًا كما كان خير هذه الأمة بعد نبيها صِديقًا؛ ولهذا كانت غاية مريم في قوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥][٢].

**ورد** رَحِمَهُ اللَّهُ **على دعوى خاتم الأولياء قائلًا:** هذه تسمية باطلة لا أصل لها في كتاب ولا سنة ولا كلام مأثور عمن هو مقبول عند الأمة قبولًا عامًّا، ولكن يُعلم من حيث الجملة أن آخر من بقي من المؤمنين المتقين في العالم فهو آخر أولياء الله[٣].

**وأجاب** رَحِمَهُ اللَّهُ **عن دعواهم أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء، فقال:** وليس آخر الأولياء أفضلهم كما أن آخر الأنبياء أفضلهم؛ فإن فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك[٤].

---

(١) «الفتاوى» (١١/ ٣٦٤).

(٢) «الفتاوى» (١١/ ٣٦٥).

(٣) «الفتاوى» (١١/ ٢٢٤).

(٤) «الفتاوى» (١١/ ٣٦٥، ٣٦٦).

**وقال** رَحِمَهُ اللَّهُ: إن آخر الأولياء أو خاتمهم سواء كان المحقق أو فرض مقدر، ليس يجب أن يكون أفضل من غيره من الأولياء فضلًا عن أن يكون أفضلهم، وإنما نشأ هذا من مجرد القياس على خاتم الأنبياء، لما رأوا خاتم الأنبياء هو سيدهم توهموا من ذلك قياسًا بمجرد الاشتراك في لفظ خاتم فقالوا: «خاتم الأولياء أفضلهم» وهذا خطأ في الاستدلال، فإن فضل خاتم الأنبياء عليهم لم يكن لمجرد كونه خاتمًا، بل لأدلة أخرى دلت على ذلك، ثم نقول: بل أول الأولياء في هذه الأمة وسابقهم إلى خاتم الأنبياء، وذلك لأن الولي مستفيد من النبي وتابع له. فكلما قرب من النبي كان أفضل وكلما بعد عنه كان بالعكس. بخلاف خاتم الأنبياء فإن استفادته إنما هي من الله، فليس في تأخره زمانًا ما يوجب تأخر مرتبته، بل قد يجمع الله له ما فرقه في غيره من الأنبياء.

فهذا الأمر الذي ذكرناه من أن السابقين من الأولياء هم خيرهم هو الذي دل عليه الكتاب والسنن المتواترة وإجماع السلف[1].

وسيأتي في فصل قادم بيان دلالة الأدلة على أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**وذكر** رَحِمَهُ اللَّهُ **شبههم العقلية والذوقية والنقلية وفندها بالتفصيل بما لا مزيد عليه**[2]

**وأجاب** رَحِمَهُ اللَّهُ **عن دعواهم أن الرسل يأخذون من مشكاة خاتم الأولياء، فقال:** هذا مناقض للعقل والدين كما يقال في قول القائل: «فخر عليهم السقف من تحتهم»: لا عقل ولا قرآن فإنه من المعلوم بالعقل أن المتأخر يستفيد من المتقدم دون العكس، ومن المعلوم في الدين أن أفضل الأولياء يستفيدون

(١) انظر «الفتاوى» (١١/ ٣٦٦- ٣٧٢).

(٢) «الصفدية» (١/ ٢٤٧).

من الأنبياء.

**وأجاب** رَحِمَهُ اللَّهُ **عن دعواهم أن خاتم الأولياء يأخذ عن الله من غير حاجة للنبي فقال:** ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ مَن له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد - فهذا كافر ملحد، وإذا قال: (أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن. أو: في علم الشريعة دون علم الحقيقة) فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمدًا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فكانوا كفارًا بذلك. وكذلك هذا الذي يقول: (إن محمدًا بُعث بعلم الظاهر دون علم الباطن) آمن ببعض ما جاء به، وكفر ببعض، فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن - الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها - هو علم بحقائق الايمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة. كفر من يدعي أن محمدًا ﷺ علم من الأمور ظاهرها وإن الأولياء علموا باطنها.

فإذا ادعى المدعي أن محمدًا ﷺ إنما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الايمان، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر، وهذا شر ممن يقول: أُومن ببعض وأكفر ببعض، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين[(١)].

**٣- مقالة الرافضة في تفضيل أئمتهم على الأنبياء:**

**للرافضة في أئمتهم ثلاثة أقوال:**

---

(١) «الفتاوى» (١١/ ٢٢٥، ٢٢٦).

١- أن الأئمة يساوون الأنبياء في المنزلة.

٢- أن الأئمة أفضل من الأنبياء إلا أولي العزم.

٣- أن الأئمة أفضل من جميع الأنبياء وأولي العزم وغيرهم.

هذه مقالتهم في جميع الأنبياء عدا النبي محمد ﷺ فهم متفقون على أفضليته على سائر الخلق لأنه عندهم جد الأئمة، فقولهم فيه ﷺ تبع لقولهم في الأئمة، والثالث هو الذي عليه المتأخرون من الرافضة، وهذا باطل والرد عليه يطول وليس هنا محله، والله المستعان[١].

## المبحث السابع: خصائص الرسل

**خص الله الأنبياء والرسل بخصائص، أهمها:**

**١- أن الله اصطفاهم بالوحي والرسالة.**

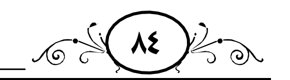
قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج: ٧٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

**٢- أنهم معصومون فيما يُبلِّغونه للناس من الدين.**

قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النجم: ١- ٥].

(١) «المفاضلة في العقيدة» للدكتور محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الشظيفي (١٨٦ - ٢٠٣).




**٣- أنهم لا يورثون بعد موتهم.**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّه - أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُثْمَانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلْنَهُ مِيرَاثَهُنَّ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ الله: «**لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»(١).

**٤- أنهما تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم.**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قصة الإسراء وفيه: وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ(٢).

**٥- أنهم يخيرون عند الموت بين الدنيا والآخرة.**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»(٣).

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في (كتاب المغازي، باب حديث بني النضير) (٥/ ٢٠٨ رقم الحديث/ ٧٩). و(كتاب الفرائض، باب قول النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا نُوَرَّثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**» (٨/ ٢٦٦ ورقمه/ ٣).

ورواه أيضًا في الموضع الثاني نفسه (٨/ ٢٦٦ ورقمه/ ٤) عن إسماعيل بن أبان عن ابن المبارك عن يونس (هو: ابن يزيد)، و: (٨/ ٢٦٨ ورقمه/ ٧) عن عبد الله بن مسلمة عن مالك، كلاهما عن الزُّهريّ به.

و: (٨/ ٢٦٦- ٢٦٧ ورقمه/ ٥) عن يحيى بن بكير عن اللّيث عن عُقيل.

في الموضع نفسه من كتاب «المغازي» (٥/ ٢٠٦- ٢٠٨ ورقمه/ ٧٨) عن أبي اليمان عن شعيب، كلاهما (عقيل، وشعيب) عن الزُّهريّ عن مالك بن أوس عن عمر بن الخطّاب به، في حديث فيه طول. وأخرجه مسلم (١٧٥٩) (٥٣).

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري برقم (٣٥٧٠)، ومسلم برقم (١٦٢).

(٣) **متفق عليه:** أخرجه البخاري برقم (٤٥٨٦)، ومسلم برقم (٢٤٤٤).

**٦- أنهم يُقبرون حيث يموتون.**

عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ: «**لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلاَّ حَيْثُ يَمُوتُ**»(١).

**٧- أنهم أحياء في قبورهم يصلون.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ - قال: - فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ**

---

(١) **يقوى بطرقه:** أخرجه أحمد (١/ ٧، رقم ٢٧) بسند منقطع أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ٤٢٧، رقم ٣٧٠٢٢)، وأحمد (١/ ٧، رقم ٢٧). وأخرجه أيضًا: إسحاق بن راهويه (٣/ ٧٣٩، رقم ١٣٤٨) وأخرجه عبد الرزاق (٣/ ٥١٦، رقم ٦٥٣٤).. وذكره ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» (١/ ٢٣١).

فقد خرجه المروزي (٢٦، ٢٧)، وأبو يعلى (٢٢، ٢٣)، وابن ماجه (١٦٢٨) من طريق حسين بن عبد الله الهاشمي، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبي بكر.

وحسين بن عبد الله ضعيف.

وأخرجه الترمذي (١٠١٨)، وفي «الشمائل» (٣٧١)، والمروزي (٤٣)، وأبو يعلى (٤٥) من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، عن أبي بكر. وعبد الرحمن بن أبي بكر ضعيف.

وأخرجه المروزي (١٣٦) من طريق محمد بن إسحاق، عمن حدثه، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، عن أبي بكر. وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن ابن إسحاق.

وأخرج الترمذي في «الشمائل» (٣٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٦٣٦٦) بإسناد صحيح عن سالم بن عبيد الأشجعي - وكانت له صحبة -: أن الناس قالوا لأبي بكر: أين يُدفن رسول الله ﷺ؟ قال: في المكان الذي قَبض الله فيه رُوحَه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب. فعلموا أن قد صدق.

فهذه الطرق يشد بعضها بعضًا، فيتقوَّى الحديثُ.

**بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ ابْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ (يَعْنِي نَفْسَهُ) فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قال قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ»**[1].

**٨- أن أزواجهم لا تُنكح من بعدهم.**

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

**٩- أن الله يرسل الأنبياء والرسل من الرجال لا من النساء.**

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

## المبحث الثامن: ثمرات الإيمان بالرسل

إيمان المؤمن بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام له آثار عظيمة وثمرات كثيرة يجنيها المؤمن، نذكر منها:

**١- معرفة رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده:**

حيث أرسل إليهم الرسل لهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، وليبينوا لهم كيف يعبدون الله.

فالإيمان بالرسل الكرام يعرّف الإنسان رحمة الله ﷻ بخلقة وعنايته

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب «الإيمان» (٧٤) بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلّم، الحديث (٢٧٢)، (ص١ : ١٥٤).

سبحانه بهم حيث أرسل الرسل إليهم ليهدوهم إلى الطريق الصحيح، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ﷻ عبادة يرضاها ويقبلها.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

**قال ابن كثير:** يُذَكِّر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثه الرسول محمدًا ﷺ إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبينات، وذم من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، قال ابن عباس: يعني بنعمة الله محمدًا ﷺ، ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره(١).

عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه، قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعطِ الأنصار شيئًا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلالًا فهداكم الله بي؟! وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟! وعالة فأغناكم الله بي؟!**» كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ(٢).

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في «المغازي»، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان (٤٣٣٠)، واللفظ له. ومسلم في «الزكاة» (١٠٦١).

**قال ابن حجر:** قوله: «**ألم أجدكم ضُلالًا**» بالضم والتشديد جمع ضال، والمراد: هنا ضلالة الشرك. وبالهداية الإيمان، وقد رتب ﷺ ما مَنَّ الله عليهم على يده من النعم ترتيبًا بالغًا، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنَّى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال؛ لأن الأموال تُبذل في تحصيلها وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بعاث وغيرها، فزال ذلك كله بالإسلام كما قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣][(١)].

**٢- شكر الله تعالى على هذه النعمة:**

فإرسال الرسل نعمة أنعم الله بها على الناس، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١].

ففي هذه الآية يُذكر الله -تبارك وتعالى- عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد ﷺ إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبينات وَيُزَكِّيهم... فالناس قبل إرسال الرسول الكريم محمد ﷺ كانوا في جاهلية جهلاء فانتقلوا ببركة رسالته ويُمن سفارته إلى حال الأولياء وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علمًا، وأبرهم قلوبًا، وأقلهم تكلفًا، وأصدقهم لهجة...[(٢)].

**٣- محبة الرسل الكرام:**

ومن ثمرات الإيمان بالرسل محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام

(١) «فتح الباري» (٨/ ٥٠).

(٢) بتصرف من «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٦٤).

وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم قاموا بعبادة الله وتبليغ رسالته والنصح لعباده، قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين**»[(١)].

**يقول ابن حجر:** وفي هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر؛ فإن الأحبية المذكورة تُعرف به، وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه وإما غيرها: أما نفسه فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات، هذا هو حقيقة المطلوب. وأما غيرها فإذا حقق الأمر فيه فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة حالًا ومآلًا، فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان إما بالمباشرة وإما بالسبب، علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره[(٢)].

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار**»[(٣)].

**قال في «عمدة القاري»:** قال النووي: هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام. قلت: كيف لا وفيه محبة الله ورسوله التي هي أصل الإيمان بل عينه...[(٤)].

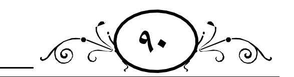
---

(١) رواه البخاري (١/ ١٤، برقم: ١٥).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٥٩).

(٣) رواه البخاري (١/ ١٤، برقم: ١٦)، ومسلم (١/ ٦٦، برقم: ٤٣).

(٤) (١/ ١٤٨).



فمحبة النبي الكريم ﷺ هي من أعظم الثمار التي يحصل عليها المؤمن لعظيم النفع الذي حصل له من بعث النبي محمد ﷺ، فكل مَن آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أن الناس تتفاوت في ذلك، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى(١).

**٤- اتباع الهدى الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام:**

من الثمار التي يجنيها المؤمن من خلال إيمانه بالرسل الكرام اتباع الهدى الذي جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيتحقق للمؤمن الخير والهدى والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

**يقول ابن كثير:** ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤] أي: خالف أمري وما أنزلته على رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه. اهـ.

فاتباع هدى الله ﷻ الذي جاء به الرسل الكرام يجنب الإنسان الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة.

٤- العمل لله تعالى على بصيرة عملًا بالكتاب المنزل وتأسيًا بالنبي المرسل(٢).

٥- التأسِّي بهم في الدعوة إلى الله تعالى في حسن بيانهم وعظم حلمهم وكمال صبرهم على أذى قومهم ونصحهم لهم في سائر الأحوال(٣).

---

(١) قاله القرطبي: انظر «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٦٠).

(٢) «أركان الإيمان» (ص: ٤٠).

(٣) المصدر السابق.

٦ - اليقين بحسن العاقبة للمتقين وجزيل المثوبة للصابرين المحسنين، كما تبيّن ذلك من قصص دعوتهم وما آل إليه أمرُهم وأتباعهم وأمر خصومهم(١).

٧ - بيانُ عظيم عناية الله تعالى بعبادهِ حيث أرسل إليهم رسلًا من أنفسهِم يبينون لهم آياتهِ وشريعته، ويبشرونهم بجزيل الثواب لمن آمنَ بهم، وينذرون مَن كفرَ بهم سوءَ العقاب.

٨ - بيانُ إمكان بلوغِ البشر درجاتٍ عاليةٍ في القرب من الله تعالى بالطاعة؛ لأن المرسلينَ إليهم هم من جنسهِم، قال الله تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يبينَ ذلك للناس: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ [فصلت: ٦].



(١) المصدر السابق.



# الباب الثاني
# عدد الأنبياء والرسل والسبيل لمعرفتهم

الفصل الأول: هل صح في عدد الأنبياء والرسل شيء؟

الفصل الثاني: الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن.

الفصل الثالث: أنبياء مذكورون في السنة.

الفصل الرابع: المختلف في نبوتهم.

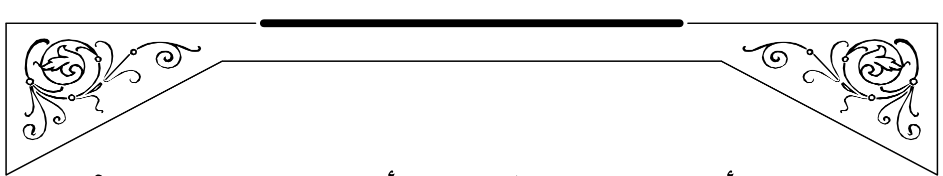
الفصل الخامس: كيف تَثبت النبوة؟

الفصل السادس: النبوة منحة إلهية وليست مكتسبة.

الفصل السابع: تفاضل الأنبياء.







## الفصل الأول: هل صح في عدد الأنبياء والرسل شيء؟

ذَكَر الله تعالى في القرآن الكريم أسماء عدد من الأنبياء والرسل، وعددهم خمسة وعشرون.

وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣- ٨٦].

وورد ذكر الآخرين في مواضع من القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾ [الأعراف: ٦٥، هود: ٥٠]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ﴾ [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤، العنكبوت: ٣٦]. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]. وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

**فهؤلاء الرسل والأنبياء** الذين يجب علينا الإيمان برسالتهم ونبوتهم تفصيلًا، بمعنى أن الإنسان لو عرض عليه واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته إن كان رسولًا؛ لأن من أنكر نبوّة واحد منهم أو أنكر رسالة مَن بُعث منهم برسالة، كَفَر.

وأمَّا الأنبياء والرسل الذين لم يقصهم القرآن علينا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا

مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤].

وقوله: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤] أي: خلقًا آخرين لم يُذكروا في القرآن(١).

فقد أَمَرَنا الله تعالى أن نؤمن بهم إجمالًا، وليس لنا أن نقول برسالة أحد من البشر أو نبوته ما دام القرآن لم يذكره في عداد الأنبياء والرسل ولم يخبرنا به رسول الله ﷺ، لكن في الآيات دلالة على أنه ما من أمة من الأمم السابقة إلا سبق أن أرسل الله فيها رسولًا ينذرها، فلم يدعها الله منعزلة من أمم الأرض تتيه في ضلالها وغيها دون أن يتداركها بالتنبيه على لسان بعض رسله.

ومن هؤلاء الرسل مَن قص الله علينا قصصهم وذكر لنا أسماءهم، ومنهم من لم يذكرهم ولم يقصص قصصهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

ولذلك فنحن اتباعًا للنصوص القاطعة من قرآن وسنة يجب علينا أن نؤمن إجمالًا بجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، مَنْ عرفنا منهم ومن لم نعرف، وَفق الحقيقة المعلن عنها في القرآن الكريم(٢).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٦٩).

(٢) «المباحث العقدية في كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروز آبادي (ص: ٤٩٥) بتصرف.

وقد ذكر الله تعالى أنهم متتابعون، الرسول يتبعه الرسول، قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤].

وقد اختلف أهل العلم في عدد الأنبياء والمرسلين، وذلك بحسَب ما ثبت عندهم من الأحاديث الوارد فيها ذِكر عددهم، فمَن حسَّنها أو صححها فقد قال بمقتضاها، ومَن ضَعَّفها فقد قال بأن العدد لا يُعرف إلا بالوحي فيُتوقف في إثبات العدد.

**الأحاديث الواردة في ذِكر العدد:**

١- عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا**»، قلت: يا رسول الله، كم الرسل منهم؟ قال: «**ثلاث مئة وثلاثة عشر جَمّ غَفِير**»، قلت: يا رسول الله، مَن كان أولهم؟ قال: «**آدم...**»[١].

والحديث ضعيف جدًّا، فيه إبراهيم بن هشام الغسَّاني، قال الذهبي عنه: متروك. بل قال أبو حاتم: كذّاب، ومن هنا فقد حكم ابن الجوزي على الحديث بأنه موضوع مكذوب.

**قال ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: قد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم ابن حبان البُستي في كتابه: «الأنواع والتقاسيم»، وقد وَسَمَه بالصحة، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات»، واتهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث[٢].

---

(١) رواه ابن حبان (٣٦١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٠).

وهذا إسناده ضعيف جدًّا.

٢- ورُوي الحديث بذلك العدد - مائة وأربعة وعشرون ألفًا - من وجه آخر:

عن أبي أُمَامة قال: قلت: يا نبي الله، كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، من ذلك ثلاث مئة وخمسة عشر جمًّا غَفِيرًا**»(١).

**قال ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: مُعَان بن رفاعة السَّلامي ضعيف، وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضًا(٢).

٣- ورُوي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من وجه آخر، وليس فيه ذكر عدد الأنبياء، وإنما ذُكر عدد المرسلين، قال: قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: «**ثلاث مئة وبضعة عشر جمًّا غفيرًا**»(٣).

وفي رواية أخرى: «**ثلاث مئة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا**»(٤).

وهذا إسناده ضعيف جدًّا؛ لجهالة عبيد بن الخشخاش، ولضعف أبي عمر الدمشقي، وقال الدارقطني: المسعودي عن أبي عمر الدمشقي: متروك. المسعودي: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة(٥).

٤- عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بعث الله ثمانية آلاف نبي: أربعة آلاف إلى بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس**»(٦).

---

(١) رواه أبو حاتم في «تفسيره» (٩٦٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٠).

(٣) رواه أحمد (٣٥/ ٤٣١).

(٤) رواه أحمد (٣٥/ ٤٣٨).

(٥) تحقيق مسند أحمد (٣٥/ ٤٣٢).

(٦) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ١٦٠).

والحديث ضعيف جدًّا.

**قال الهيثمي** رَحِمَهُ اللهُ: رواه أبو يعلى، وفيه: موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف جدًّا[١].

**وقال ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: وهذا أيضًا إسناد ضعيف؛ فيه الربذي: ضعيف، وشيخه الرَّقَاشي أضعف منه أيضًا[٢].

٥- عَنْ أَبِى الْوَدَّاكِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو سَعِيدٍ: هَلْ يُقِرُّ الْخَوَارِجُ بِالدَّجَّالِ؟ فَقُلْتُ: لاَ. فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي خَاتَمُ أَلْفِ نَبِيٍّ، أَوْ أَكْثَرَ، مَا بُعِثَ نَبِيٌّ يُتَّبَعُ إِلاَّ قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ...**»[٣].

والحديث ضعيف؛ لضعف مجالد بن سعيد.

**قال الهيثمي** رَحِمَهُ اللهُ: رواه أحمد، وفيه مجالد بن سعيد، وثقه النسائي في رواية، وقال في أخرى: ليس بالقوي. وضَعَّفه جماعة[٤].

وهذا أيضًا ضعيف.

٦- ورُوي هذا الحديث من رواية جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رواه البزار في «مسنده كشف الأستار»[٥]. وفيه مجالد بن سعيد، وسبق أنه ضعيف.

**قال الهيثمي** رَحِمَهُ اللهُ: رواه البزار، وفيه مجالد بن سعيد، وقد ضعفه الجمهور، فيه ثوثيق[٦].

---

(١) «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١٠).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٠).
(٣) رواه أحمد (١٨/ ٢٧٥).
(٤) «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٦).
(٥) (٣٣٨٠).
(٦) «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٧).

وبما سبق من الأحاديث - ويوجد غيرها تركناها خشية التطويل وكلها ضعيفة - يتبين أنه قد اختلفت الروايات بذكر عدد الأنبياء والمرسلين، فقال كل قوم بمقتضى ما صح عنده، والأشهر فيما سبق هو حديث أبي ذر رضي الله عنه، وأن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل منهم: ثلاث مئة وخمسة عشر، حتى قال بعض العلماء: إن عدد الأنبياء كعدد أصحاب النبي ﷺ، وعدد الرسل كعدد أصحاب بدر.

لكن بالنظر في أسانيد تلك الروايات لا يتبين لنا صحة تلك الأحاديث، لا بمفردها ولا بمجموع طرقها.

**وهذه أقوال بعض الأئمة الذين يقولون بعدم صحة تلك الأحاديث وما تحويها من عدد:**

**١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: وهذا الذي ذكره أحمد وذكره محمد ابن نصر وغيرهما - يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل، وأن حديث أبي ذر في ذلك لم يَثبت عندهم[(١)].

ففي هذا النقل عن الإمامين أحمد بن حنبل ومحمد بن نصر المروزي - بيان تضعيف الأحاديث الواردة في ذكر العدد، والظاهر أن شيخ الإسلام رحمه الله يؤيدهما في ذلك، وقد أشار إلى حديث أبي ذر بصيغة التضعيف فقال: «وقد رُوي في حديث أبي ذر أن عددهم ثلاث مئة وثلاثة عشر»، ولم يستدل به، بل استدل بالآيات الدالة على كثرتهم.

**٢- وقال ابن عطية** رحمه الله **في تفسير آية النساء:** وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤] يقتضي كثرة الأنبياء دون تحديد بعدد، وقد قال

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٠٩).

تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]، وما يُذكر من عدد الأنبياء فغير صحيح، الله أعلم بعدتهم، صلى الله عليهم. انتهى.

**٣- وسئل علماء اللجنة الدائمة: كم عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؟**

**فأجابوا:** لا يعلم عددهم إلا الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، والمعروف منهم مَن ذُكروا في القرآن أو صحت بخبره السنة.

الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الشيخ عبد الله بن غديان، الشيخ عبد الله بن قعود[١].

**٤- وقال الشيخ عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ اللهُ: وجاء في حديث أبي ذر عند أبي حاتم بن حبان وغيره أنه سأل النبي ﷺ عن الرسل وعن الأنبياء، فقال النبي ﷺ: «**الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل ثلاث مئة وثلاثة عشر**» وفي رواية أبي أمامة: «**ثلاث مئة وخمسة عشر**» ولكنهما حديثان ضعيفان عند أهل العلم، ولهما شواهد ولكنها ضعيفة أيضًا، كما ذكرنا آنفًا، وفي بعضها أنه قال عليه الصلاة والسلام: «**ألف نبي فأكثر**» وفي بعضها أن الأنبياء ثلاثة آلاف.

وجميع الأحاديث في هذا الباب ضعيفة، بل عد ابن الجوزي حديث أبي ذر من الموضوعات.

والمقصود أنه ليس في عدد الأنبياء والرسل خبر يُعتمد عليه، فلا يعلم

---

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٣/ ٢٥٦).

عددهم إلا الله ﷻ، لكنهم جم غفير، قص الله علينا أخبار بعضهم ولم يقص علينا أخبار البعض الآخر لحكمته البالغة جل وعلا[١].

**٥- وسئل الشيخ عبد الله بن جبرين - حفظه الله -:** كم عدد الأنبياء والمرسلين؟ وهل عدم الإيمان ببعضهم (لجهلنا بهم) يعتبر كفرًا؟

**فأجاب:** ورد في عدة أحاديث أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، وأن عدد الرسل منهم: ثلاث مئة وثلاثة عشر، كما ورد أيضًا أن عددهم ثمانية آلاف نبي، والأحاديث في ذلك مذكورة في كتاب ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» في آخر سورة النساء على قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، ولكن الأحاديث في الباب لا تخلو من ضعف على كثرتها، والأَوْلى في ذلك التوقف.

والواجب على المسلم الإيمان بمن سَمَّى الله ورسوله منهم بالتفصيل والإيمان بالبقية إجمالًا؛ فقد ذم الله اليهود على التفريق بينهم بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠].

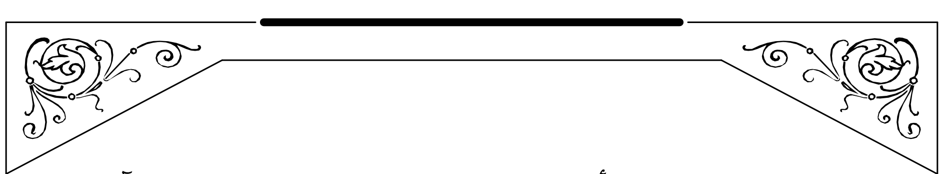
فنحن نؤمن بكل نبي وكل رسول أرسله الله في زمن من الأزمان، ولكن شريعته لأهل زمانه وكتابه لأمته وقومه[٢].



---

(١) «مجموع فتاوى الشيخ ابن باز» (٢/٦٦، ٦٧).

(٢) بتصرف يسير من موقع سؤال وجواب للشيخ محمد بن صالح المنجد.



## الفصل الثاني: الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أسماء عدد من الأنبياء والرسل، وعددهم خمسة وعشرون وهم: آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد، صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣- ٨٦].

(إبراهيم – موسى – عيسى– نوح – إسحاق – يعقوب– داود – سليمان – أيوب – يوسف– هارون – زكريا – يحيى – إلياس – إسماعيل – اليسع – يونس – لوط).

ويبقى بعدهم سبعة وهم مذكورون في آيات متفرقة في القرآن الكريم وهم:

(إدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم وخاتم النبيين محمد،

صلى الله عليهم وسلم أجمعين).

وورد ذكر الآخرين كالتالي في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥، هود: ٥٠]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤، العنكبوت: ٣٦].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩](١).

**تنبيه:** الإيمان بالرسل والأنبياء أصل من أصول الدين، ولا يتمّ إيمانُ أحدٍ إلاّ بالإيمان بجميعهم على سبيل الإجمال، وبمن عرفنا اسمه منهم على وجه التفصيل.

**قال محمّد خليل هرّاس:** وعلينا أن نؤمن تفصيلًا بمن سَمَّى الله في كتابه منهم، وهم خمسة وعشرون، ذكرهم الشاعر في قوله:

**في ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ منهم ثمانية … من بعد عشرٍ ويبقى سبعة وهمُ**

**إدريسُ هودُ شعيبٌ صالحٌ وكذا … ذو الكفلِ آدمُ بالمختارِ قد خُتِمُوا**

❊ ❊ ❊

---

(١) «المباحث العقدية في كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروزآبادي (ص: ٤٩٥) بتصرف.



## الفصل الثالث: أنبياء مذكورون في السنة

**١- شيث:**

**قال ابن كثير:** «وكان نبيًّا بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبِي ذرّ مرفوعًا أنّه أُنزل عليه خمسون صحيفة»[١].

**٢- يوشع بن نون:**

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بِها ولَمَّا يبْنِ، ولا آخر قد بنى بنيانًا ولم يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنمًا أو خلِفاتٍ، وهو ينتظر أولادها. فغزا فدنا من القرية حين صلي العصر أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: أنتِ مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليَّ شيئًا**»[٢].

والدليل على أن هذا يوشع بن نون قوله ﷺ: «**إن الشمس لم تُحبس إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس**»[٣][٤].

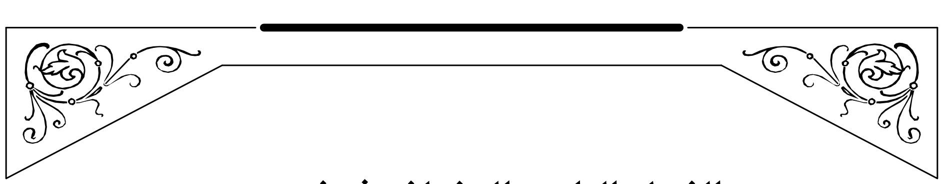
---

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٩٩).

(٢) رواه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧) واللفظ له.

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٢٥) (٨٢٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الذهبي في «ترتيب الموضوعات» (١٠٦): صحيح. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٢٨٦): إسناده على شرط البخاري. وحسنه ابن الملقن في «الإعلام» (٢/ ٢٨١)، وصححه ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٢٥٥).

(٤) «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص ٢١).



## الفصل الرابع: المختلف في نبوتهم

**١- إخوة يوسف عليهم وعليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:**

ادعى البعض نبوتهم فجاء الرد من ابن كثير بالنفي، وإليك قوله:

**قال ابن كثير:** اعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف.

وذلك لأنه لا يمكن للأنبياء أن يرتكبوا هذه الكبائر الموبقة؛ لأن الأنبياء معصومون من مثل هذا.

ثم يقول: وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك.

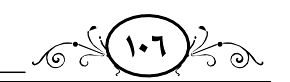
ومن الناس من يزعم أنه أُوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل، ولم يذكروا سوى قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦] وهذا فيه احتمال؛ لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم الأسباط، كما يقال للعرب قبائل، وللعجم شعوب: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات: ١٣].

فيذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالًا؛ لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أُوحي إليهم، والله تعالى أعلم[١].

**٢- ذو الكفل:**

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم (٨٦/ ١٦، بترقيم الشاملة آليًّا).

 مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥، ٨٦].

**قال ابن كثير:** وَأَمَّا ذُو الْكِفْلِ فَالظَّاهِرُ مِنَ السِّيَاقِ أَنَّهُ مَا قُرِنَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَهُوَ نَبِيٌّ. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا كَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَكَانَ مَلِكًا عَادِلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا. وَتَوَقَّفَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي ذَلِكَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ قَالَ: رَجُلٌ صَالِحٌ غَيْرُ نَبِيٍّ، تَكَفَّلَ لِنَبِيِّ قَوْمِهِ أَنْ يَكْفِيَهُ أَمْرَ قَوْمِهِ وَيُقِيمَهُمْ لَهُ وَيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَسُمِّيَ ذَا الْكِفْلِ. وَكَذَا رَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا[١].

**٣- لقمان الحكيم:**

**قال النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه لقمان الحكيم، واختلف العلماء في نبوته: قال الإمام أبو إسحاق الثعلبي: اتفق العلماء على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًّا، إلا عكرمة فإنه قال: كان نبيًّا. وتفرد بهذا القول[٢].

**والقول الصحيح الفصل أنه ليس بنبي، ومما يدل على ذلك:**

أ- أن القرآن لم ينص على نبوته، وليس في ثابت السنة ما يدل على نبوته.

ب- أن في وصفه بإيتائه الحكمة ما يدل على عدم نبوته، فقد مدح الله لقمان بالحكمة، ولو كان نبيًّا لنص على صفة النبوة لأنها أعلى مقامًا.

ج- أن الله ذكر الأنبياء تارة بأسمائهم مجموعة، وتارة بذكر أخبارهم مفرقة، ولم يذكر لقمان لا مع ذكر المفرق ولا مع ذكر أسمائهم مجموعة.

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٥/ ٣٦٣).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٤٤).

د- أنه قد كثر كلام المفسرين وكثرت نقولاتهم بأن لقمان كان رقيقًا، والأنبياء تُبعث في أعلى نسب قومها.

**وأما ما ورد عن بعض أهل العلم في نبوته فيمكن أن يقسم على قسمين:**

منهم من يقال: إن هذا اجتهاد منه وخالف الصواب.

ومنهم من يقال: لم يَثبت السند عنه.

ولعل أشهر مَن رُوي عنه القول بنبوته هو عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما، ولكن ذكروا أن الإسناد إلى عكرمة لا يصح، وذكروا أن في إسناده رجلًا اسمه جابر بن يزيد الجُعْفي، وكان سفيان ينهى أصحابه وتلاميذه عن الرواية عن جابر.

**٤- أصحاب الكهف:**

أصحاب الكهف: الصحيح الذي لا خلاف فيه أنهم ليسوا بأنبياء، بل قد نُقل الإجماع على عدم نبوتهم، إنما هم فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى، وليس هناك وصف لهم بالنبوة، بل لو كانوا أنبياء لخرجوا وبَلَّغوا دعوة الله ونصحوا وجاهدوا في سبيل الله.

**٥- مريم عليها السلام:**

قال أبو حيان محمد بن حيان أثير الدين الأندلسي في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء: ٩١] وَدَلَّ ذِكْرُ مَرْيَمَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ نَبِيَّةً إِذْ قُرِنَتْ مَعَهُمْ فِي الذِّكْرِ، وَمَنْ مَنَعَ تَنَبُّؤَ النِّسَاءِ قَالَ: ذُكِرَتْ لِأَجْلِ عِيسَى(١).

(١) «البحر المحيط في التفسير» (٧/ ٤٦٤).

وكذا وجدت أن معظم المفسرين عند ذكرهم السيدة مريم يقولون : (عليها السلام) وقد انتصر بشدة لنبوتها بعض العلماء، ومنهم العلامة القرطبي، ذلك أثناء تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: ٤٢].

الخلاف في المسألة قديم، وليس للمثبتين دليل صريح، وإنما هي أمور محتملة.

وأيضًا ليس للنافين دليل صريح يمنع من نبوة النساء، وإنما الدليل الصريح في النفي هو في خصوص الرسالة لا النبوة.

وأما قول: (عليها السلام) فليس بدليل فكثير من كتب المتأخرين إذا ذكرت أمير المؤمنين عليًّا، أعقبت اسمه بـ (عليه السلام)، فهذه عادات تنتشر بين الناس، وقد تكون من المؤلف أو من الناسخ أو الطابع ونحو ذلك.

**وهذا نص كلام الحافظ ابن حجر في الفتح أسوقه للفائدة:**

«واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران: ٤٢] على أنها كانت نبية، وليس بصريح في ذلك، وأيد بذكرها مع الأنبياء في سورة مريم، ولا يمنع وصفها بأنها صِديقة فقد وُصف يوسف بذلك.

وقد نقل عن الأشعري أن في النساء عدة نبيات ، وحصرهن ابن حزم في ست: حواء وسارة وهاجر وأم موسى وآسية ومريم.

وأسقط القرطبي سارة وهاجر، ونقله في «التمهيد» عن أكثر الفقهاء.

وقال القرطبي: الصحيح أن مريم نبية.

وقال عياض: الجمهور على خلافه.

ونقل النووي في «الأذكار» أن الإمام نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية.

وعن الحسن: ليس في النساء نبية ولا في الجن.

وهنا لا يتردد المسلم في الإيمان بعظيم حكمة الله تعالى في أفعاله، فمن أسمائه ﷻ «الحكيم»، ومن صفاته «الحكمة».

وقد حكم الله تعالى بأن من صفات المرسَلين الذكورة، وقد نقل بعض أهل العلم الإجماعَ على ذلك، وله تعالى في ذلك أعظم الحِكَم.

**قال الشيخ عمر الأشقر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن الكمال الذي حباهم به: أنه اختار جميع الرسل الذين أرسلهم من الرجال، ولم يبعث الله رسولًا من النساء، يدل على ذلك صيغة الحصر التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ [الأنبياء: ٧].

**الحكمة من كون الرسل رجالًا:**

كان الرسل من الرجال دون النساء لحِكَم يقتضيها المقام، فمن ذلك:

أ- أن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، ومخاطبة الرجال والنساء، ومقابلة الناس في السر والعلانية، والتنقل في فجاج الأرض، ومواجهة المكذبين ومحاججتهم ومخاصمتهم، وإعداد الجيوش وقيادتها والاصطلاء بنارها، وكل هذا يناسب الرجال دون النساء.

ب- الرسالة تقتضي قوامة الرسول على من يتابعه، فهو في أتباعه الآمر الناهي، وهو فيهم الحاكم والقاضي، ولو كانت الموكلة بذلك امرأة، لَمْ يتم ذلك لها على الوجه الأكمل، ولاستنكف أقوام من الاتباع والطاعة.

ج- الذكورة أكمل؛ ولذلك جعل الله القوامة للرجال على النساء ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]، وأخبر الرسول ﷺ أن النساء (ناقصات عقل ودين).

د- المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات،

كالحيض والحمل والولادة والنفاس، وتصاحب ذلك اضطرابات نفسية وآلام وأوجاع، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها). انتهى[١].

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:** ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ [المائدة: ٧٥] ليس هو إلهًا ولا أمه إلهة، بل غايته أن يكون رسولًا كما غاية محمد أن يكون رسولًا، وغاية مريم أن تكون صديقة. وهذا مما استدل به على بطلان قول بعض المتأخرين: إنها نبية. وقد حكى الإجماع على عدم نبوة أحد من النساء القاضي أبو بكر ابن الطيب والقاضي أبو يعلى والأستاذ أبو المعالي الجويني وغيرهم[٢].

**الترجيح:** هو عدم ثبوت النبوة في حقها.

**٦- طالوت:**

قال القرطبي: اسْتَدَلَّ مَنْ قَالَ: (إِنَّ طَالُوتَ كَانَ نَبِيًّا) بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم﴾ [البقرة: ٢٤٩] وَأَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ بِذَلِكَ وَأَلْهَمَهُ، وَجَعَلَ الْإِلْهَامَ ابْتِلَاءً مِنَ اللَّهِ لَهُمْ. وَمَنْ قَالَ: (لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا) قَالَ: أَخْبَرَهُ نَبِيُّهُمْ شَمْوِيلُ بِالْوَحْيِ حِينَ أَخْبَرَ طَالُوتُ قَوْمَهُ بِهَذَا[٣].

**والراجح:** أنه كان ملكًا، وإنما النبوة كانت لداود عليه السلام فكان من جنود طالوت في ذلك الوقت ولم يكن هو الملك، وإنما آل إليه الأمر بعد طالوت.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ

(١) «الرسل والرسالات» (ص: ٨٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢٦٧).

(٣) «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٥١).

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وبهذا تعلم أن طالوت هو الملك الذي عينه النبي بأمر من الله تعالى، وأن داود كان من جنوده وليس هو الملك المعين. والله أعلم.

٧- **الخضر: ملك أو ولي أو نبي**[1]:

**اخْتلف الْمُفَسِّرُونَ والمؤرخون فِي الْخضر عليه السلام بِهَذَا الصدد على ثَلَاثَة أَقْوَال مشهورة:**

**القَوْل الأول:** إِنَّه مَلَك من الْمَلَائِكَة، يتَصَوَّر فِي صور الْآدَمِيّين مغيرًا ذاتًا.

قَالَ النَّوَوِيّ: (هَذَا غَرِيب بَاطِل).

وَقَالَ ابْن كثير: (هَذَا غَرِيب جدًّا).

**القَوْل الثَّانِي:** أَنه ولي. ذهب إِلَيْهِ جمَاعَة من الصُّوفِيَّة وَغَيرهم. وَقَالَ بِهِ أَبُو عَليّ بن أبي مُوسَى من الْحَنَابِلَة، وَأَبُو بكر الْأَنْبَارِي، وَأَبُو الْقَاسِم الْقشيرِي.

وَمِمَّنْ يُفضِّل بعض الْأَوْلِيَاء أَمْثَال الْخضر عليه السلام على الْأَنْبِيَاء: الْحَكِيم التِّرْمِذِيّ فِي كتاب «ختم الْأَوْلِيَاء».

قَالَ: (يكون فِي آخر الْأَوْلِيَاء من هُوَ أفضل من الصَّحَابَة) وَرُبمَا لَوَّحَ بِشَيْء من ذكر الأنبياء، فَقَامَ عَلَيْهِ الْمُسلمُونَ، وأنكروا ذَلِك عَلَيْهِ، ونفوه من الْبَلَد بِسَبَب ذَلِك.

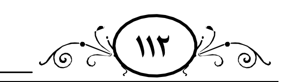
وَمِنْهُم: سعد الدّين بن حمويه

وَابْن عَرَبِيّ صَاحب الفصوص والفتوحات المكية الْقَائِل:

**مقَام النُّبُوَّة فِي برزخ ... فويق الرَّسُول وَدون الْوَلِيّ**

---

(١) «الزهر النضر في حال الخضر» (ص: ٣٢).



**الرّد على تَفْضِيل الْولَايَة على النُّبُوَّة والرسالة:**

**وَقد رَدَّ شيخ الْإِسْلَام ابْن تَيْمِية رَحِمَهُ اللَّهُ على خزعبلات الصُّوفِيَّة فِي تَفْضِيل الْوَلِيّ على النَّبِي – ردًّا جميلًا، وحلل النواحي الْمُتَعَلّقَة بذلك تحليلًا دَقِيقًا حَيْثُ قَالَ:**

(قد أجمع الْمُسلمُونَ على أَن مُوسَى أفضل من الْخضر. فَمَن قَالَ: إِن الْخضر أفضل فقد كفر، وَسَوَاء قيل: إِن الْخضر نَبِي أَو ولي.

وَالْجُمْهُور على أَنه لَيْسَ بِنَبِي، بل أَنْبيَاء بني إِسْرَائِيل الَّذين اتبعُوا التَّوْرَاة وَذكرهمْ الله تَعَالَى كداود وَسليمَان – أفضل من الْخضر.

بل على قَول الْجُمْهُور: إِنَّه لَيْسَ بِنَبِي، فَأَبُو بكر وَعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أفضل مِنْهُ.

وَكَونه يعلم مسَائِل لَا يعلمهَا مُوسَى لَا يُوجب أَن يكون أفضل مِنْهُ مُطلقًا، كَمَا أَن الهدهد قَالَ لِسُلَيْمَان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] لم يكن أفضل من سُلَيْمَان.

وكما أَن الَّذين كَانُوا يُلَقِّحُونَ النّخل، لما كَانُوا أعلم بتلقيحه من النَّبِي – لم يجب من ذَلِك أَن يَكُونُوا أفضل مِنْهُ –، وَقد قَالَ لَهُم: «**وَأَنْتُم أعلم بِأَمْر دنياكم، وَأما مَا كَانَ من أَمر دينكُمْ فَإِلَيَّ**».

وَأَبُو بكر وَعمر وَعُثْمَان وَعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يتعلمون مِمَّن هم دونهم علم الدّين الَّذِي هُوَ عِنْدهم.

وَقد قَالَ: «**لم يبْق بعدِي من النُّبُوَّة إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَة**» وَمَعْلُوم أَن ذُرِّيتهمْ فِي الْعلم أفضل مِمَّن حصلت لَهُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَة.

وَغَايَة الْخضر أَن يكون عِنْده من الْكَشْف مَا هُوَ جُزْء من أَجزَاء النُّبُوَّة، فَكيف يكون أفضل من نَبِي؟ فَكيف بالرسول؟ فَكيف بِأُولي الْعَزْم)؟!

**وَقَالَ** رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَول الْقَائِل: (إِنَّه نقيب الْأَوْلِيَاء)، فَيُقَال لَهُ: من ولاه النقابة؟! وَأفضل الْأَوْلِيَاء أَصْحَاب مُحَمَّد، وَلَيْسَ فيهم الْخضر).

**وَقَالَ:** (وَمن قَالَ: إِنَّه نقيب الْأَوْلِيَاء، أَو إِنَّه يُعلِّمهُمْ كلهم. فقد قَالَ الْبَاطِل).

**وَقَالَ بعد ذكر كَلَام الصُّوفِيَّة فِي تَفْضِيل الْولَايَة على النُّبُوَّة:** (وكل هَذِه المقالات من أعظم الجهالات والضلالات، بل من أعظم أَنْوَاع النِّفَاق والإلحاد وَالْكفْر).

**وَقَالَ:** (وَقد يحْتَج بَعضهم بِقصَّة مُوسَى وَالْخضر، ويظنون أَن الْخضر خرج عَن الشَّرِيعَة، وهم فِي هَذَا ضالون من وَجْهَيْن:

أَحدهمَا: أَن الْخضر لم يخرج عَن الشَّرِيعَة، بل الَّذِي فعله كَانَ جَائِزًا فِي شَرِيعَة مُوسَى؛ وَلِهَذَا لما بَيَّنَ لَهُ الْأَسْبَاب أقره على ذَلِك. وَلَو لم يكن جَائِزًا لما أقره، وَلَكِن لم يكن مُوسَى يعلم الْأَسْبَاب الَّتِي بهَا أبيحت تِلْكَ، فَظن أَن الْخضر كالملك الظَّالِم، فَذكر ذَلِك لَهُ الْخضر.

وَالثَّانِي: أَن الْخضر لم يكن من أمة مُوسَى وَلَا كَانَ يجب عَلَيْهِ مُتَابَعَته، بل قَالَ لَهُ: إِنِّي على علم من علم الله علمنيه الله لَا تعلمه، وَأَنت على علم من علم الله علمكه الله لَا أعلمهُ. وَذَلِكَ أَن دَعْوَة مُوسَى لم تكن عَامَّة؛ فَإِن النَّبِي كَانَ يُبْعَث إِلَى قومه خَاصَّة، وَمُحَمّد ﷺ بُعث إِلَى النَّاس كَافَّة. بل بُعث إِلَى الْإِنْس وَالْجِنّ بَاطِنًا وظاهرًا؛ فَلَيْسَ لأحد أَن يخرج عَن طَاعَته ومتابعته، لَا فِي الْبَاطِن وَلَا فِي الظَّاهِر، لَا من الْخَواص وَلَا من الْعَوام).

**وها هو كَلَام نَفِيس لشارح العقيدة الطحاوية، قَالَ** رَحِمَهُ اللهُ: (وَأما من يتَعَلَّق بِقصَّة مُوسَى مَعَ الْخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي تَجْوِيز الِاسْتِغْنَاء عَن الْوَحْي بِالْعلمِ اللدني الَّذِي يَدعِيهِ بعض مَن عُدم التَّوْفِيق، فَهُوَ ملحد زنديق، فَإِن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن مَبْعُوثًا إِلَى الْخضر وَلم يكن الْخضر مَأْمُورًا بمتابعته وَلِهَذَا قَالَ لَهُ: أَنْت مُوسَى بني إِسْرَائِيل؟ قَالَ: نعم.

وَمُحَمّد ﷺ مَبْعُوث إِلَى جَمِيع الثقلَيْن، وَلَو كَانَا مُوسَى وَعِيسَى حيين

لكانا من أَتْبَاعه، وَإِذا نزل عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الأَرْض إِنَّمَا يحكم بشريعة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَمن ادّعى أَنه مَعَ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالخضر مَعَ مُوسَى، أَو جوز ذَلِك لأحد من الْأمة، فليجدد إِسْلَامه، وليشهد شَهَادَة الْحق، فَإِنَّهُ مفارق لدين الْإِسْلَام بِالْكُلِّيَّةِ، فضلًا عَن أَن يكون من أَوْلِيَاء الله، وَإِنَّمَا هُوَ من أَوْلِيَاء الشَّيْطَان.

وَهَذَا الْموضع مفرق بَين زنادقة الْقَوْم وَأهل الاسْتقَامَة.

**القَوْل الثَّالِث:** أَنه نَبِي. قَالَه جُمْهُور الْعلمَاء الْمُحَقِّقين.

قَالَ الثَّعْلَبِيّ: هُوَ نَبِي فِي جَمِيع الْأَقْوَال.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: الْخضر نَبِي عِنْد الْجُمْهُور.

وَقَالَ الْحبرِي الْمُفَسّر وَأَبُو عمر: هُوَ نَبِي. وَذكر الآلوسي نبوته عِنْد الْجُمْهُور.

وَقد رجح الْحَافِظ ابْن حجر رَحِمَهُ اللهُ أَيْضًا أَنه نَبِي، وَقَالَ: (وَكَانَ بعض أكَابِر الْعلمَاء يَقُول: أول عقدَة تُحَل من الزندقة اعْتِقَاد كَون الْخضر نَبيًّا؛ لِأَن الزَّنَادِقَة يتذرعون بِكَوْنِهِ غير نَبِي إِلَى أَن الْوَلِيّ أفضل من النَّبِي كَمَا قَالَ قَائِلهمْ:

**مقَام النُّبُوَّة فِي برزخ فويق الرَّسُول وَدون الْوَلِيّ**

**الْأَدِلَّة على نبوة الْخضر** عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذا تَأمل الْقَارِئ فِي أَمر الْخضر، وجد أَدِلَّة عديدة من الْكتاب وَالسّنة على نبوته.

**من الْكتاب:** يدل سِيَاق قصَّة الْخضر مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الْوَارِدَة فِي سُورَة الْكَهْف من الْقُرْآن الْكَرِيم – على نبوته من وُجُوه: قَوْله تَعَالَى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥].

ذكر الآلوسي فِي تَفْسِير ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ ثَلَاثَة أَقْوَال، أَشَارَ إِلَى

تضعيفها كلهَا. ثمَّ قَالَ: (وَالْجُمْهُور على أَنَّهَا الْوَحْي والنبوة، وَقد أطلقت على ذَلِك فِي مَوَاضِع من الْقُرْآن، وَأخرج ذَلِك ابْن أبي حَاتِم عَن ابْن عَبَّاس... والمنصور مَا عَلَيْهِ الْجُمْهُور، وشواهده من الْآيَات وَالْأَخْبَار كَثِيرَة، بمجموعها يكَاد يحصل الْيَقِين).

قَول مُوسَى لَهُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٦٦ - ٧٠].

فَلَو كَانَ وليًّا وَلَيْسَ بِنَبِي، لم يخاطبه مُوسَى بِهَذِهِ المخاطبة، وَلم يَرُد على مُوسَى هَذَا الرَّد، بل مُوسَى إِنَّمَا سَأَلَ صحبته لينال مَا عِنْده من الْعلم الَّذِي اخْتصه الله بِهِ دونه، فَلَو كَانَ غير نَبِي لم يكن مَعْصُومًا، وَلم تكن لمُوسَى وَهُوَ نَبِي عَظِيم وَرَسُول كريم وَاجِب الْعِصْمَة كَبِير رَغْبَة وَلَا عَظِيم طلبة فِي علم وليّ غير وَاجِب الْعِصْمَة.. إِن الْخضر أقدم على قتل ذَلِك الْغُلَام، وَمَا ذَلِك إِلَّا للوحي إِلَيْهِ من الله عز وَجل، وَهَذَا دَلِيل مُسْتَقل على نبوته، وبرهان ظَاهر على عصمته؛ لِأَن الْوَلِيّ لَا يجوز لَهُ الْإِقْدَام على قتل النُّفُوس بِمُجَرَّد مَا يُلْقَى فِي خَلَده؛ لِأَن خاطره لَيْسَ بِوَاجِب الْعِصْمَة، إِذْ يجوز عَلَيْهِ الْخَطَأ بالِاتِّفَاقِ.

لما فسر الْخضر تَأْوِيل تِلْكَ الأفاعيل لمُوسَى، ووضح لَهُ عَن حَقِيقَة أمره قَالَ بعد ذَلِك كُله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]. يَعْنِي مَا فعلته من تِلْقَاء نَفسِي، بل أُمرت بِهِ، وأُوحي إِليَّ فِيهِ، قَالَ الله عز وَجل: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾.

وَقد دلّت قصَّة الْخضر مَعَ مُوسَى أَنه كَانَ مُظْهرًا على الْغَيْب، وَلَيْسَ ذَلِك لأحد من الْأَوْلِيَاء.

**من السّنة:**

١ - قَوْله ﷺ: «**وددت أَن مُوسَى صَبر حَتَّى يقص علينا من أَمرهمَا**»(١).

فِي تمني النَّبِي ﷺ هَذَا للاطلاع على مَا يَقع بَينهمَا دَلِيل على أَن الْخضر كَانَ موحى إِلَيْهِ، وَلَو لم يكن كَذَلِك لما جَازَ هَذَا التَّمَنِّي بِأَن ينْتَظر النَّبِي ﷺ أمرًا غير موحى من إِنْسَان غير موحى إِلَيْهِ.

٢ - تَأْوِيل الْخضر عليه السلام فِي قتل الْغُلَام كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «**وَأما الْغُلَام فطُبع يَوْم طُبع كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قد عطفا عَلَيْهِ، فَلَو أَنه أدْرك أرهقهما طغيانًا وَكفرًا. فأردنا أَن يبدلهما ربهما خيرًا مِنْهُ زَكَاة وَأقرب رحمًا**»(٢).

وَزَاد فِي رِوَايَة: «**وَوَقع أَبوهُ على أمه، فَحملت فَولدت مِنْهُ خيرًا مِنْهُ زَكَاة وَأقرب رحمًا**».

إن إخْبَاره عليه السلام أَن الْغُلَام طُبع كَافِرًا وَأَن أَبَاهُ وَقع على أمه فَحملت وَولدت خيرًا مِنْهُ لَهو من الْأُمُور الغيبية الْمَحْضَة الَّتِي لَا مجَال للاطلاع عَلَيْهَا إِلَّا من طَرِيق النُّبُوَّة وَالْوَحي، فَذَلِك من أقوى الْأَدِلَّة على أَنه كَانَ نَبيًّا، إِن لم يكن رَسُولًا.

٣ - وَمن ذَلِك قَول نبي الله ﷺ: «**لما لقي مُوسَى الْخضر عَلَيْهِمَا السَّلَام، جَاءَ طير فَأَلْقى منقاره فِي المَاء. فَقَالَ الْخضر لمُوسَى: تَدْرِي مَا يَقُول هَذَا الطير؟ قَالَ: وَمَا**

(١) صحيح البخاري (١/ ٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨٠) (١٧١) و (١٧٢)، والترمذي كما في «تحفة الأشراف» (١/ ٢٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٠٧)، وابن خزيمة في التوكل كما في «إتحاف المهرة» (١/ ٢٢٦)، وأبو عوانة في المناقب كما في «إتحاف المهرة» (١/ ٢٢٦) من طرق عن معتمر بن سليمان، بهذا الإسناد. ورواية مسلم والنسائي أتم مما هنا. ورواية الطحاوي مختصرة.

**يَقُول؟ قَالَ: يَقُول: مَا عِلمك وَعلم مُوسَى فِي علم الله إِلَّا كَمَا أَخذ منقاري من المَاء»**

فَهَذَا صَرِيح فِي أَن الْخضر قد علم منطق الطير، وَهُوَ من الْغَيْب الَّذِي لَا يُعلمهُ الْبشر، فَهُوَ فِي هَذَا على نَحْو النَّبِي سُلَيْمَان ﷺ الَّذِي حكى الله عَنهُ فِي الْقُرْآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦].

٤ - حَدِيث أُبي بْن كَعْب الَّذِي ورد فِيهِ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلأ من بني إسرائيل إِذْ جَاءَهُ رجل، فَقَالَ: هَل تعلم أحدًا أعلم مِنْك؟

قَالَ مُوسَى: لَا. فَأوحى الله إِلَى مُوسَى: بلَى، عَبدنَا خضر»(١).

إِن تَخْصِيص الله عز وَجل بتِلْكَ الْأُمُور الغيبية بالخضر دون مُوسَى ﷺ مَعَ أَنه من أولي الْعَزْم من الرُّسُل - يدل على نبوة الْخضر، وَيُؤَيِّدهُ سِيَاق هَذَا الحَدِيث حَيْثُ قَالَ الله عز وَجل: «بلَى عَبدنَا خضر». وَالله تَعَالَى أعلم.

**الترجيح:** أنه نبي.

**٨- ذو القرنين:**

**اختلفوا في ذي القرنين هل كان من الأنبياء أم لا؟**

**منهم من قال: إنه كان نبيًّا واحتجوا بوجوه:**

**الأول:** ظاهر النص يدل على أنه كان مكلفًا بذلك من غير تحديد وسيلة التكليف كما قال بذلك الرازي.

وإن شئت طالع قوله تعالى في الآيات الآتية:

**الآية الأولى:** قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤] والأَوْلى حمله على التمكين في الدين، والتمكين الكامل في الدين هو النبوة.

**الثانية:** قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤] ومن جملة الأشياء

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٥٤).

النبوة فمقتضى العموم في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ هو أنه تعالى آتاه في النبوة سببًا.

**الثالثة:** قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦] والذي يتكلم الله معه لا بد وأن يكون نبيًّا.

**ومنهم من قال: إنه كان عبدًا صالحًا وما كان نبيًّا.**

**قال الرازي:** يدل قوله تعالى: «قلنا يا ذا القرنين» على أنه تعالى تكلم معه من غير واسطة، وذلك يدل على أنه كان نبيًّا، وحمل هذا اللفظ على أن المراد أنه خاطبه على ألسنة بعض الأنبياء عدول عن الظاهر(١).

فَكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ بِأَنَّ هَذَا أَنْبَأَهُ بِهِ اللَّهُ، وَمِثْلُ هَذَا الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ.

**واستدلوا بأدلة، منها:**

**الأول:** أثر عن أبي الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر، فقال: سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي.

فقام إليه ابن الكوّاء فقال: ما كان ذو القرنين؟! أملكٌ كان أو نبيٌّ؟

قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لم يكن نبيًّا ولا ملكًا، ولكنه كان عبدًا صالحًا، أحب الله فأحبّه، وناصح الله فنصحه، ضُرِبَ على قرنه الأيمن فمات، ثم بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم ضُرِبَ على قرنه الأيسر فمات، وفيكم مثله)(٢).

---

(١) «تفسير القاسمي محاسن التأويل» (٧/ ٧٢).

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه ابن إسحاق في «المغازي» (ص ١٨٥/ رقم ٢٦١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٥١٣ رقم١١٩٦٢) - وعنه ابن أبي عاصم في «السنة» (رقم ١٣١٨) و«الآحاد والمثاني» (١/ ١٤١ رقم ١٦٨) - والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٣٥٠ ط الهندية أو ٥/ ١٢١ ط مؤسسة الرسالة) وابن عساكر في «تاريخ =

**الثاني:** أثر آخر، قال علي: (رجل بعثه الله إلى قوم كفرة من أهل الكتاب، كان أوائلهم على حق، فأشركوا بربِّهم، وابتدعوا في دينهم، فأحدثوا على أنفسهم، فهم اليوم يجتهدون في الباطل ويحسبون أنهم على حق). اهـ(١).

**الثالث:** ما نقله العيني في عمدة القاري: وَذُو القرنين عبد صَالح مَلَك الأَرْض شرقًا وغربًا، حَتَّى ذهب جمَاعَة إِلَى نبوته، مِنْهُم: الضَّحَّاك وَعبد الله بن عمر، وَقيل: كَانَ رَسُولًا، وَقَالَ الثَّعْلَبِيّ: وَالصَّحِيح، إِن شَاءَ الله، كَانَ نَبيًّا غير مُرْسل، ووزيره الْخضر، عَلَيْهِ الصلاة وَالسَّلَام، فأنَّى يتساويان(٢).

**الرابع:** وهذا قول عبد اللَّهِ بن عَمْرو بن سعيد بن الْمسيب وَالضَّحَّاك بن مُزَاحم: كَانَ نَبيًّا.

**الذين أنكروا كونه نبيًا ردوا عليهم بردود هي:**

**الأول:** رد القاسمي على الاستدلال بالآيات: ولا يخفى ضعف الاستدلال بهذه الأدلة على نبوته. يعني: التمسك بمثل هذه العمومات لا يكفي في إثبات النبوة؛ لأن الأدلة في عامتها يضعف وجه دلالتها على كونه كان نبيًا؛ لأن قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الكهف: ٨٤] ما المانع من أن يكون المقصود

---

= دمشق» (١٤/ ٣٣٤) من طريق بسام الطفيلي عن أبي الطفيل، وهذا لفظ الطحاوي، قاله الشيخ مشهور حفظه الله في تعليقه على كتاب الشيخ الطباخ «ذو القرنين» (ص ١١٤، ١١٥).

(١) **إسناده صحيح**، وذكر بعضه الدارقطني في «العلل» (٣/ ٢٠٨ - ٢٠٩)، وورد هذا المعنى عن جماعة من التابعين. قاله الشيخ مشهور حفظه الله.

(٢) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٥/ ٢٣٣).

به المُلْك والتمكين الدنيوي والصفوة وتوسع النفوذ والسلطان؟ وليس شرطًا أن يكون التمكين بالنبوة، والظاهر أنه كان ملكًا عظيمًا.

**الثاني:** قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤] لا يستلزم أن يؤتى النبوة أيضًا، باعتبارها سببًا من الأسباب، كما في قوله تعالى في شأن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، وهي إنما أوتيت من كل شيء مما يؤتاه الملوك، كذلك هذا آتاه الله من كل شيء سببًا، ولا يشترط أن تشتمل على معنى النبوة.

**يقول القاسمي:** ولا يخفى ضعف الاستدلال بهذه الأدلة على نبوته؛ لأن مقام إثباتها يحتاج إلى تنصيص وتخصيص، وأما الاعتماد على العمومات لاستفادة مثل ذلك فغير مقنع، وأما قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٦]، فقد قلنا: إنه كناية عن تمكينه تعالى له منهم، لا أنه قول مشافهة، وإلا لو كان ذلك لكان مخيرًا منه تعالى وملقنًا ما يفعل بهم، فأنى يسوغ له نقضه باجتهاد آخر؟!

**يقصد القاسمي:** أن قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦] كناية عن تمكينه له تعالى من هؤلاء القوم، لا أنه قال له ذلك مشافهة، وإلا لو كان ذلك لكان مخيرًا منه تعالى، كأن الله هو الذي خيره ولقنه ما يفعل بهم، فأنى يسوغ له نقضه باجتهاد آخر، ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦] فإذا كان الله مكنه منهم، وكان من قبل قد قال له: أنت مخير أن تفعل هذا أو ذاك، فكيف يسوغ له بعد ذلك أن يجتهد اجتهادًا ينقض هذا الحكم؟

**قال:** ولا يقال: إن الأصل في الإطلاق الحقيقة؛ لأنا نقول به ما لم يمنع منه مانع، وللتنزيل الكريم أسلوب خاص عرفه من أمعن النظر في بديع بيانه.

نعم، لو كان مراد القائل بنبوته: إنه من الملهمين، ذهابًا في النبوة إلى المعنى الأعم من الإيحاء بشرع لكان قريبًا.

**الثالث:** قول علي رَضِيَٰلِلَّهُعَنْهُ لا يرفع الخلاف فيها؛ لأن قوله: (لم يكن نبيًّا ولا ملكًا) ليس مما لا يعرف من قبيل الرأي، بل يحتمل أن يكون هذا مقتضى نظره رَضِيَٰلِلَّهُعَنْهُ.

**الرابع:** والأثر الثاني مشكل على الأول، والحافظ استشكله في الفتح؛ لأن فيه أن الله بعثه إلى قوم، وأجاب عنه أنه يحتمل أن يكون بعثًا غير بعث الأنبياء، وهذا يكون محل بحث.

**الخامس:** وقوله: (لم يكن نبيًّا ولا مَلكًا) هل يريد بالمَلَك هنا واحد الملائكة أم واحد الملوك؟ الظاهر الثاني لأنه قابله بأنه عبد صالح، والمتبادر المقابلة بين الملك والعبد كما في الحديث المعروف، وبذلك فهو مخالف من الجهتين، فقد قيل بنبوته وهو ظاهر القرآن، وقيل إنه ملِك، وقيل إنه ملَك. وهو أضعف الأقوال. وقيل بالتوقف، ويختاره من يقبل حديث (لا أدري ذو القرنين كان نبيًّا أو لا).

**والسادس:** قول علي رَضِيَٰلِلَّهُعَنْهُ لما سئل:

قال أبو الطفيل: سئل علي رَضِيَٰلِلَّهُعَنْهُ عن ذى القرنين: أكان نبيًّا أم ملكًا؟ قال: لم يكن نبيًّا ولا ملكًا ولكن كان عبدًا أحب الله وأحبه الله، وناصح الله، فناصحه الله[1].

---

(١) أخرجه البغوى وسفيان بن عيينة في جامعه بسند صحيح وفي «معالم التنزيل» (٥/ ٣٢٢). و«فتح البارى» (٦/ ٢٤٠). وعن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب عن ذي القرنين. أنبيًّا كان أم ملكًا؟ قال: لم يكن نبيًّا ولا ملكًا ولكن كان عبدًا صالحًا، أحب الله فأحبه الله ونصح الله فنصحه الله بعثه الله إلى قومه فضربوه =

**الترجيح**: الأفضل أن يُتوقف في إثبات النبوة له؛ لأنه صحّ عن الرسول ﷺ أنه قال: «**ما أدري أتُبّع نبيًّا أم لا، وما أدري ذا القرنين نبيًّا أم لا**»[١]. فإذا كان الرسول ﷺ لا يدري، فنحن أحرى بأن لا ندري.

**٩- عزير:**

اختلف في نبوته، والصحيح أنه غير نبي، وأما حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**لا أدري عزير كان نبيًّا أم لا**» فهو ضعيف لأن في سنده محمد بن كريب القرشي أخو رشدين وهو ضعيف، وقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أيضًا، ولكنه ضعيف لأن في سنده محمد بن إسحاق السجزي وهو ضعيف، وما جاء من أحاديث وآثار أن عزيرًا كان نبيًّا ثم مُحي اسمه من النبوة بسبب مسائلته لله في القدر فلم يثبت منها شيء[٢].

**الترجيح**: والحاصل أننا لم نجد دليلًا يثبت أن عزيرًا نبي، وخلاصة ما قاله أصحاب كتب التفسير المعتمدة ترجح أنه حبر من أحبار اليهود وعلمائها فقط.

وعليه فلا ينبغي إطلاق النبوة عليه لعدم وجود نص صريح ثابت يدل على ذلك. والله أعلم.

---

= على قرنه فمات ثم أحياه الله لجهادهم وبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر فمات فأحياه الله لجهادهم، فلذلك سُمي ذا القرنين. أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه (٣/ ٢٩٩) تفسير الشوكانى وقيل: لُقب بذلك لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها. وقيل: لأنه كان له ذؤابتان حسنتان.

(١) رواه الحاكم (١/ ٩٢)، والبيهقي (٨/ ٣٢٩) (١٨٠٥٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٢١٧).

(٢) «تحذير المسلمين من القبوريين» (ص: ١٠٥).

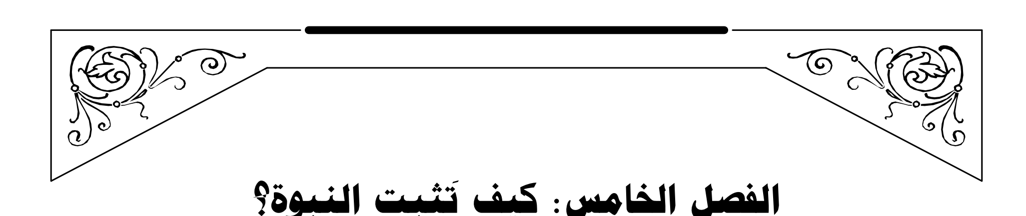
**١٠- تُبع:**

ورد ذكر تبع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الدخان: ٣٧]، وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٢-١٤]، فهل كان نبيًّا مرسلًا إلى قومه فكذبوه فأهلكهم الله؟ الله أعلم بذلك[١].

**الراجح:** التوقف.

❃ ❃ ❃

(١) «الرسل والرسالات» (ص: ٢٢).



## الفصل الخامس: كيف تَثبت النبوة؟

من أهم الموضوعات التي يجب على طالب العلم أن يلم ولو بقدر منها - حقيقة نبوة محمد ﷺ ونبوة غيره من الأنبياء؛ لأن من أركان الإيمان الإيمان بأنبياء الله تبارك وتعالى.

فلا بد من معرفة النبوة وما حقيقتها ومدى حاجة الناس إليها وأمثال ذلك مما يجب أن يعلمه المسلم ولو إلى حد ما.

ويتبين لنا عظمة النبوة وأهميتها إذا عرفنا أن كل شيء من الدين يعتبر فرعًا عن إثبات النبوة، فالإيمان بالقرآن الذي هو كلام الله - تبارك وتعالى - متفرع عن الإيمان بنبوة محمد ﷺ، ولهذا كان كفار قريش يجادلون النبي ﷺ بأنه ليس بنبي؛ ليتوصلوا بذلك إلى الطعن في القرآن؛ لأن مَن أنكر نبوة محمد ﷺ أو طعن فيها فقد طعن في القرآن وطعن في الإسلام.

### أساس الدين إثبات النبوة:

أساس الدين هو إثبات النبوة لنبينا محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء؛ ولهذا قال كفار قريش: إنما أنت مفترٍ. وقالوا: ساحر، وشاعر، ومجنون. وقالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] وقالوا غير ذلك من السباب كقولهم: إنما يعلمه بعض الأعجميين، وقالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

ويجب أن يُعلم أن كل أنواع الافتراءات التي تنكر القرآن تعتبر تكذيبًا لدعوى النبوة، وإذا كذبوا النبي في دعوى نبوته ﷺ فبعد ذلك ينكروا ما شاءوا.

**لهذا كان مبحث النبوة مبحثًا عظيمًا ومهمًّا في أبواب العقائد، وقد ضل كثير من المتكلمين في هذا الموضوع، إما ضلالاً جزئيًّا، وإما ضلالاً كليًّا:**

**الضلال الجزئي:** لم يعرفوا حقيقة النبوة، ولم يدركوا معناها ولا غايتها؛ ولذلك فإنهم لما أرادوا أن يُثبتوا نبوة النبي ﷺ بالطرق الكلامية العقلية أوهنوا دين الإسلام؛ لأن ما قرروه من الطرق والوسائل لإثبات النبوة ليس بالقوة التي يمكن أن يؤمن بها كل عقل؛ لأنها منحرفة عن منهج القرآن والسنة في إثبات نبوة النبي ﷺ، فلما أرادوا إثباتها بطرق محصورة معدودة -كما سنبين إن شاء الله بالتفصيل- كان ذلك مما أوهن بل سَهَّل لأعداء الإسلام أن يطعنوا في دين الإسلام؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هؤلاء الناس: (إنهم لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا) ومع دلائل النبوة التي لا تحصى، فقد أنكرها بعض من استهوتهم الشياطين.

**الضلال الكلي:** ينكرون النبوة.

من الذين ينكرون النبوة الفلاسفة ومنهم كما يقال البرهمية -الذين هم في الهند عباد الأبقار- والفلاسفة ينكرون النبوات ويقولون: لا حاجة لوجود نبي، والعقول تغني عن الشرائع، والأنبياء ما هم إلا أناس عباقرةٌ عظماء نابغون، تعلموا أنواعًا من الحيل مثل حيل السحر، وجاءوا إلى قومهم وقالوا: نحن أنبياء. واستخفوا بعقولهم بهذه الخوارق للعادة فتبعتهم أقوامهم.

وليس لهم أي دليل من العقل، فلما جاء أهل الكلام، وأرادوا أن يردوا عليهم، ولم يسلكوا منهج القرآن والسنة في إثبات نبوة محمد ﷺ والرد

على منكريها، مع كثرة ما جاء في القرآن من الحديث عنها، ومع أنها قضية كبرى، ومعركة كبرى دارت بين الأنبياء وأقوامهم بل سلكوا منهجًا عقلانيًّا مجردًا يتوقف كله على إثبات ما أسموه (المعجزة) وأنه لا دليل لثبوت النبوة غير المعجزة، وحصروا الدلائل في المعجزة وحدها، وهذا فعل كثير منهم، فلما فعل أهل الكلام ذلك، جاء الفلاسفة وأبطلوا - أيضًا - تأثير المعجزة فكان ذلك مما هيأ لأن يطعن الطاعنون في دين الإسلام.

إلا أن الإنسَان الذي ينتهج في عقيدته منهج أهْل السُّنّةِ وَالجماعة فيقرأ كتاب الله تبارك وتعالى ويأخذ ويستقي منه كل ما يعتقد - يجد إثبات النبوة أجلى من الشمس في رابعة النهار، ولسنا في حاجة إلى أن نتعلم من الطرق العقلية ما نرد به على منكري النبوة وهنا قد نأتي بأدلة كثيرة من الأدلة العامة التي -هي أدلة متواترة مستفيضة- تدل على إثبات النبوة في الجملة، وإثبات نبوته ﷺ خاصة[1].

**إن النبوة تثبت بستة سبل، كل سبيل يؤدي إلى إقامة الحجة:**

١- معجزاته.

٢- أخلاقه.

٣- كمال شريعته.

٤- انتصاره.

٥- حاجة الناس إليه وإلى شريعته.

٦- تبشير الأنبياء السابقين عليه بنبوته عليه الصلاة والسلام[2].

---

(١) «شرح الطحاوية» لسفر الحوالي بتصرف (ص: ١٥٦٥، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٢) «الرسول صلى الله عليه وسلم» لسعيد حوى، بتصرف (٢١/ ١٩).

**ومما يقرر إثبات النبوة ما يلي:**

**١- تضمن الوحي لأدلة ثبوته من عدة جهات:**

أ- من جهة التحدي بالإتيان بمثل القرآن أو سورة من سوره في بيانه وبلاغته.

ب- ومن جهة ما ورد فيه من الأخبار الغيبية التي لا يمكن أن يعلمها النبي ﷺ بأي وسيلة بشرية؛ مثل: حفظ القرآن، وظهور الإسلام على جميع الأديان ونحوهما من الغيبيات.

ج- ومن جهة مطابقته للكشوف العلمية في جميع المجالات؛ مثل الطب والفلك والطبيعة.

**٢- دلالة المعجزات على النبوة:**

دلالة أحوال النبي وصفاته على نبوته ﷺ.

وأبرز مثال له حديث هرقل الطويل وسؤاله عن أحوال النبي ﷺ ودلائل نبوته.

وكل قضية عقدية فإنه يمكن الاستدلال العقلي عليها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، ويكون ذلك بإثبات النبوة عقلًا، وهي بدورها تدل على صدق ما يخبر به النبي من قضايا العقائد والأعمال.

**وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾** [العنكبوت: ٤٦] **فائدتان في موضوع المجادلة لأهل الأديان عمومًا وأهل الكتاب خصوصًا:**

**الأولى:** استعمال الأدب الحسن والخلق الرفيع قولًا وفعلًا أثناء المناقشة؛ لأن ذلك أدعى للقبول والتأثير، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.

**والثانية:** الإعراض عن مجادلة المعاند الذي لا يريد الوصول إلى الحق أو المقاتل المحارب الذي يتحين الفرصة لإلحاق الأذى بالمسلمين.

**٣- مرتبة المباهلة:**

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

قوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي: نتداعى باللعن، يقال: عليه بَهْلة الله وبُهْلَته، أي لعنته[١]، والابتهال هنا أي: التضرع في الدعاء باللعن[٢].

وهذه الرتبة في الحوار مع أهل الأديان إنما تكون لمن يجادل بالباطل، أو اتضح له الحق وقامت عليه الحجة وأعرض عنها.

**يقول ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ **في فقه قصة وفد نجران:** ومنها: أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا بل أصروا على العناد - أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك[٣].

**وهذه درجة متقدمة في حوار أهل الكتاب ولها فائدة عظيمة من جهتين:**

١- إظهار التحدي، والثقة التامة بأن الداعي إلى المباهلة على الحق.

٢- تخويف المعاند بتعريضه للعنة الله تعالى، فربما كان ذلك سببًا في رجوعه[٤].

---

(١) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص/١٠٦).

(٢) انظر: «تفسير الجلالين» (ص/١٢٧).

(٣) «زاد المعاد» (٣/ ٦٢٣).

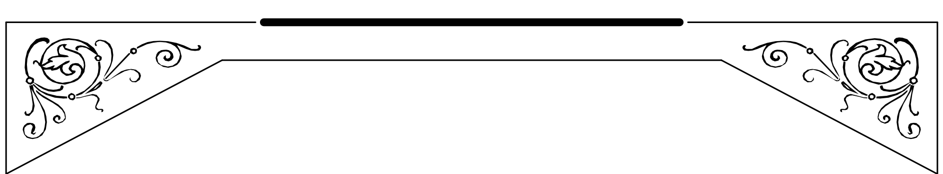
(٤) «دعوة التقريب بين الأديان» (٤/ ١٥٧٦).

**٤- مرتبة المفاصلة والبراءة:**

المفاصلة والبراءة بين المسلمين والكفار بكل أصنافهم ثابتة قبل الحوار، ولكن المراد بها هنا نوع خاص هو بمنزلة البيان الختامي للحوار الذي يتولى ويُعرض فيه المحاور عن الحق، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧][(١)].



(١) الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه) (ص: ١٥).



## الفصل السادس: النبوة منحة إلهية وليست مكتسبة

لقد أجمع أهل القبلة على أن النبوة اصطفاء من الله ﷻ يصطفي به عبدًا من عباده، ولم يقل بكون النبوة مكتسبة إلا الفلاسفة الملاحدة، كما قرر ذلك ابن سينا وأمثاله من الفلاسفة، ويجعلون لها ثلاث قوى: قوة التعبير، وقوة التصوير، وقوة التخييل. وهذا قول لا أصل له في دين المسلمين[(١)].

**قال الشربيني:** من نفى الرسل، بأن قال لهم: لم يرسلهم الله، أو نفى نبوة نبي، أو ادّعى النبوة بعد نبينا محمد ﷺ، أو صدّق مدعيها، أو قال: النبوة مكتسبة، أو تُنال رتبتها بصفاء القلوب، أو أوحي إليه ولم يَدَّعِ النبوة... فقد كفر[(٢)].

فالله تبارك وتعالى هو الحكيم الخبير، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، فلا يختار للنبوة إلا أصلح الناس لها وأليقهم بها.

**قال السعدي في تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]: أي: يختار ويجتبي من الملائكة رسلًا، ومن الناس رسلًا، يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم

---

(١) شرح الطحاوية - يوسف الغفيص (٥/ ٤، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٢) «مغني المحتاج» (٤/ ١٣٥) بتصرف، وانظر: «نهاية المحتاج» للرملي (٧/ ٣٩٥)، و«قليوبي وعميرة» (٤/ ١٧٥).

واصطفاهم ليس جاهلًا بحقائق الأشياء أو يعلم شيئًا دون شيء، وإنما المصطفي لهم السميع البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم عن علم منه أنهم أهل لذلك وأن الوحي يصلح فيهم، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤] اهـ[١].

أو كما قال القائل:

**وَلَا تُـنَـالُ رُتْـبَـةُ الـنُّـبُـوَّةِ ... بِالْكَسْبِ وَالتَّهْذِيبِ وَالْفُتُوَّةِ**
**لَكِنَّهَا فَضْلٌ مِنَ الْمَوْلَى الْأَجَل ... لِمَنْ يَشَا مِنْ خَلْقِهِ إِلَى الْأَجَلْ**

فَمَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ النُّبُوَّةَ لَا تُنَالُ بِمُجَرَّدِ الْكَسْبِ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ، وَتَكَلُّفِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، وَاقْتِحَامِ أَشَقِّ الطَّاعَاتِ، وَتَدَأُّبٍ فِي تَهْذِيبِ نَفْسِهِ، وَتَنْقِيَةِ خَوَاطِرِهِ وَتَطْهِيرِ أَخْلَاقِهِ، وَرِيَاضَةِ نَفْسِهِ وَبَدَنِهِ، وَتَهْذِيبِ ذَلِكَ.

(لَكِنَّهَا) أَيِ: النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ (فَضْلٌ مِنَ الْمَوْلَى الْأَجَل) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ شَاءَ مِمَّنْ سَبَقَ عِلْمُهُ وَإِرَادَتُهُ الْأَزَلِيَّانِ بِاصْطِفَائِهِ لَهَا، فَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.

وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ الْفَلَاسِفَةِ الْمَشَّائِينَ الْمُجَوِّزِينَ اكْتِسَابَ النُّبُوَّةِ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ مَنْ لَازَمَ الْخَلْوَةَ وَالْعِبَادَةَ وَدَوَامَ الْمُرَاقَبَةِ وَتَنَاوُلَ الْحَلَالِ وَإِخْلَاءَ نَفْسِهِ مِنَ الشَّوَاغِلِ الْعَائِقَةِ عَنِ الْمُشَاهَدَةِ بَعْدَ كَمَالِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ بِالتَّهْذِيبِ وَالرِّيَاضَةِ - انْصَقَلَتْ مِرْآةُ بَاطِنِهِ وَفُتِحَتْ بَصِيرَةُ لُبِّهِ، وَتَهَيَّأَ لِمَا لَا يَتَهَيَّأُ لَهُ غَيْرُهُ مِنَ التَّحَلِّي بِالنُّبُوَّةِ؛ لِأَنَّ النُّبُوَّةَ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنِ اجْتِمَاعِ ثَلَاثِ خَوَاصَّ فِي الْإِنْسَانِ:

إِحْدَاهَا: الِاطِّلَاعُ عَلَى الْمُغَيَّبَاتِ لِصَفَاءِ جَوْهَرِ نَفْسِهِ وَشِدَّةِ اتِّصَالِهِ بِالرُّوحَانِيَّاتِ الْعَالِيَةِ مِنْ غَيْرِ سَابِقَةِ كَسْبٍ وَلَا تَعَلُّمٍ وَلَا تَعْلِيمٍ.

---

(١) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٥٤٦).

الثَّانِيَةُ: ظُهُورُ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ بِحَيْثُ تُعْطِيهِ الْهَيُولَى الْعُنْصُرِيَّةَ الْقَابِلَةَ لِلصُّوَرِ الْمُفَارِقَةَ إِلَى بَدَنٍ.

الثَّالِثَةُ: مُشَاهَدَةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُوَرٍ مُتَخَيَّلَةٍ، وَيَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى.

هَذَا مُحَصل مَذْهَبِهِمُ الْفَاسِدِ وَمُلَخَّصُ مَسْلَكِهِمُ الْبَاطِلِ، فَيَجْعَلُونَ كَلَامَ اللَّهِ مَا يَفِيضُ عَلَى نَفْسِ النَّبِيِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُثْبِتُوا لِلَّهِ كَلَامًا خَارِجًا عَمَّا فِي نَفْسِ النَّبِيِّ، وَعِنْدَ التَّحْقِيقِ فَلَا فَرْقَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ الْفَيْضِ عَلَى نَفْسِ النَّبِيِّ وَسَائِرِ النُّفُوسِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ كَوْنِهَا أَصْفَى وَأَكْمَلَ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ النَّبِيِّ. وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرِ.

**قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ:** وَهَؤُلَاءِ عِنْدَهُمُ النُّبُوَّةُ مُكْتَسَبَةٌ، وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ زَنَادِقَةِ الْإِسْلَامِ يَطْلُبُونَ أَنْ يَصِيرُوا أَنْبِيَاءَ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ النُّبُوَّةَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَمَوْهِبَةٌ، وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَمُنُّ بِهَا سُبْحَانَهُ وَيُعْطِيهَا لِمَنْ يَشَاءُ أَنْ يُكْرِمَهُ بِالنُّبُوَّةِ، فَلَا يَبْلُغُهَا أَحَدٌ بِعِلْمِهِ، وَلَا يَسْتَحِقُّهَا بِكَسْبِهِ، وَلَا يَنَالُهَا عَنِ اسْتِعْدَادِ وِلَايَتِهِ، بَلْ يَخُصُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا مُكْتَسَبَةٌ فَهُوَ زِنْدِيقٌ يَجِبُ قَتْلُهُ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي كَلَامُهُ وَاعْتِقَادُهُ أَنْ لَا تَنْقَطِعَ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، وَالْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ بِأَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: (إِلَى الْأَجَل) يَعْنِي أَنَّ النُّبُوَّةَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةٌ يَمُنُّ بِهَا الرَّبُّ الْحَكِيمُ وَالْعَلِيمُ الْكَرِيمُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيُرِيدُ إِكْرَامَهُ بِهَا، وَكَانَ ذَلِكَ مُمْتَدًّا مَنْ عَهِدَ الْأَبِ الْأَوَّلِ الصَّفِيِّ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى أَنْ بُعِثَ الْخَاتَمُ النَّبِيُّ الْحَبِيبُ مُحَمَّدٌ ﷺ[1].

---

(١) «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية» (٢/ ٢٦٨).

إذًا النبوة غير مكتسبة، لكن الفلاسفة زعمت بأن النبوة مكتسبة، أي: يمكن للإنسان أن يتزهد وأن يصوم النهار ويقوم الليل، ثم يخلو بربه الساعات الطوال، ويترك الدنيا وما فيها وما عليها؛ وبذلك يأتيه جبريل فيوحي إليه بوحي، على زعم الفلاسفة في كون النبوة مكتسبة.

وهذا كلام باطل، بل هو أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان، بل النبوة مِنة ومحض فضل ورحمة من الله جل وعلا، قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥] وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦] ولما قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ردّ الله عليهم: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ [مريم: ٥٨].

يعني أن النبوة هي محض رحمة ونعمة من الله جل وعلا، قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ﴾ [القصص: ٨٦] أي: هي رحمة من الله جل وعلا، لا مكتسبة.

وإذا كانت النبوة محض فضل، فهل يمكن أن يضعها الله في أي أحد؟ حاشى لله، بل هي نابعة عن علم وحكمة، فقد اختار الله إبراهيم ليكون أبا الأنبياء على حكمة وعلم، واختار الله جل وعلا النبي محمدًا ﷺ أيضًا بحكمة وبعلم[(١)].

**وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية:** قد تولى الله سبحانه الجواب عنه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي» تحقيق محمد حسن عبد الغفار (٥/ ٣٦، بترقيم الشاملة آليًا).

وقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد: ٢٩].

وليس في الحكمة إطلاع كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد حتى أبصر جزءًا يسيرًا من حكمته في خلقه، وأمره وثوابه وعقابه، وتخصيصه وحرمانه، وتأمل أحوال محال ذلك؛ استدل بما علمه على ما لم يعلمه.

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص، قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾ [الأنعام: ٥٣] قال تعالى مجيبًا لهم: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]؟ فتأمل هذا الجواب، ترى في ضمنه أنه سبحانه أعلم بالمحل الذي يصلح لغرس شجرة النعمة فتثمر بالشكر، من المحل الذي لا يصلح لغرسها، فلو غُرست فيه لم تثمر، فكان غرسها هناك ضائعًا لا يليق بالحكمة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. اهـ[١].

أما من قالوا: (إنها مكتسبة) فقد أدى بهم قولهم باكتساب النبوة للغي ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم!! فقد كان أكابر هؤلاء يطمعون في النبوة، فكان السهروردي المقتول يقول: لا أموت حتى يقال لي: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ٢] وكان ابن سبعين يقول: لقد زَرَب ابن آمنة حيث قال: «لا نبي بعدي»، ولما جعل خلع النعلين إشارة إلى ذلك، أخذ ذلك ابن قسي ونحوه ووضع كتابه في: «خلع النعلين، واقتباس النور من موضع القدمين» من مثل هذا الكلام. ومن هنا دخل أهل الإلحاد من أهل الحلول والوحدة والاتحاد، حتى آل الأمر بهم إلى أن جعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق ﷻ، كما فعل صاحب «الفصوص» ابن عربي وابن سبعين وأمثالهما

---

(١) «شرح الطحاوية» - ط الأوقاف السعودية (ص: ٤٤٧).

من الملاحدة المنتسبين إلى التصوف والتحقيق[١].

فالنبوة فضل واختيار إلهي، وهي هبة ربانية يهبها لمن يشاء من عباده ويخص بها من يشاء من خلقه، وهي لا تُنال بالجهد والتعب والرياضة، ولا تدرك بكثرة المجاهدة والطاعات والعبادات؛ وإنما هي بمحض الفضل الإلهي: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وهي اصطفاء واختيار من الله تبارك وتعالى لأفضل خلقه وصفوة عباده، فيختارهم الله لحمل الرسالة ويصطفيهم من بين سائر البشر.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: ٤٧].

ومما يدل على أن النبوة فضل وهبة من الله ﷻ قصة رسولنا محمد ﷺ مع المشركين، حيث اعترض المشركون من قريش على رسالة محمد ﷺ واستغربوا نزولها على يتيم فقير لا يملك أسباب القوة والغنى وليس له من مظاهر السلطان والملك ما يجعله عظيمًا في نظرهم، ورأوا بنظرهم القاصر أن النبوة ينبغي أن تكون لغني عظيم شريف من الكبراء والسادة والعظماء ومن الوجهاء.

ولكن الله ردّ عليهم بأسلوب مفحم فقال جل ثناؤه: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا

---

(١) «موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية» (٨/ ٤٦).

ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢].

فمن حكمة الله أنه قد قسم لكل إنسان رزقه ولكل مخلوق حظَّه من المال، والمال بالنسبة إلى النبوة أمر حقير، فكيف يُترك الأمر الجليل العظيم وهو الرسالة والنبوة إلى أهواء الناس ونزعاتهم ورغباتهم؟! فهذا الأمر متروك لله ﷻ وهو يفعل ما يشاء، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].







## الفصل السابع: تفاضل الأنبياء[(١)]



### المبحث الأول: التفاضل بين الأنبياء ثابت بأدلة الشرع، من كتاب وسنة ومن وجوه عديدة

**من الكتاب:**

قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] والآيتان نص في التفاضل بين الأنبياء.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥] ففي قولهما: (كثير) تنبيه إلى أن المفضل عليهما قليل.

ووجه دلالة الآية أنهما عليهما السلام جعلا تفضيل الله لهما على كثير من المؤمنين دون جميع المؤمنين مع كونهما أفضل أهل زمانهما لأنهما أرادا بالبعض المستثنى من المؤمنين من ثبت له ما ثبت لهم من النبوة في الماضين كموسى وهارون، فهو في التفاضل بين الأنبياء.

---

(١) هذا المبحث مقتبس بتصرف يسير من الكتاب الماتع «المفاضلة في العقيدة» للدكتور محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الشظيفي (١١٦ -١٦٦).

**قال ابن سعدي في تفسير الآية:** (فحَمِدا الله على جعلهما من المؤمنين أهل السعادة وأنهما كانا من خواصهم).

**وقال:** (ولا شك أن المؤمنين أربع درجات: الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصِّديقون، ثم فوقهم الأنبياء. وداود وسليمان من خواص الرسل وإن كانا دون درجة أولي العزم الخمسة لكنهما من جملة الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذكرهم ومَدَحهم في كتابه مدحًا عظيمًا، فحَمِدا الله على بلوغ هذه المنزلة)[١].

وأول ما يدخل في قولهما: (فُضلنا) تفضيلهما بالنبوة، وهي أفضل مراتب المؤمنين فلا يكون من يفضلهما إلا من الأنبياء.

**ومن السنة:**

ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضلت على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون**»[٢].

فقوله ﷺ: «**فُضلت على الأنبياء**» دليل وقوع التفاضل بينهم.

وفي حديث المعراج دليل على تفاضل الأنبياء، فإنه عليه الصلاة والسلام مر بأنبياء اختلفت الروايات في تعيين منازلهم في السماوات، فمر على آدم وعيسى ويحيى وإدريس ويوسف وهارون وإبراهيم وموسى، في كل سماء، متفاضلون.

ويدل على أن تفاوتهم في منازلهم من السماوات الوارد في حديث

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٧١).

المعراج هو من التفاضل بينهم ما جاء في رواية عند البخاري: (وموسى في السابعة بفضل كلام الله فقال موسى: رب لم أظن أن ترفع عليَّ أحدًا. ثم علا (يعني جبريل) به (يعني النبي ﷺ) فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله»[(١)].

والأمة مجمعة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض[(٢)].

**وقد قال الخازن[(٣)] في قوله سبحانه:** ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (فيه دليل على زوال الشبهة لمن أوجب التسوية بين الأنبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة)[(٤)].

**ولم أجد من قال بعدم التفاضل بين الأنبياء إلا ما نقله البغدادي إذ قال:** (وزعم ضرار[(٥)] أنه لم يكن بعض الأنبياء أفضل من بعض)[(٦)] **إلا أنه قال في موضع آخر:** (كان ضرار بن عمرو يقول: لا يجوز تفضيل بعضهم على بعض بعينه)[(٧)].

---

(١) «صحيح البخاري» مع «الفتح» (١٣/ ٤٧٨)، وانظر: روايات الحديث فيه في (١/ ٤٥٨)، و(٦/ ٣٠٢، ٣٧٤، ٤٦٧)، و(٧/ ٢٠١)، وفي «صحيح مسلم» (١/ ١٤٥) وما بعدها.

(٢) «تفسير الرازي» (٦/ ١٩٥)، و«تفسير الخازن» (١/ ٢٦٥).

(٣) هو علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي، من علماء التفسير والحديث، أحد فقهاء الشافعية، كان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية بدمشق، توفي ٧٤١ هـ، انظر: «الدرر الكامنة» (٣/ ٩٧)، و«الأعلام» (٥/ ٣).

(٤) «تفسير الخازن» (١/ ٢٦٥).

(٥) هو ضرار بن عمرو الغطفاني، معتزلي جلد، له مقالات خبيثة. انظر: «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٢٨)، و«لسان الميزان» (٣/ ٢٠٣).

(٦) «أصول الدين» (ص١٦٥).

(٧) «أصول الدين» (ص٢٩٧).

وليس هذا نفيًا للتفاضل بل لتعيين الفاضل.

ونسب القسطلاني[١] نفي تفاضل الأنبياء إلى مذهب المعتزلة[٢]، ولم أجده فيما بين يدي من كتب المقالات وكتب المعتزلة غير المذكور عن ضرار، ورأيت الزمخشري نص على تفاضل الأنبياء في تفسيره لآيتي البقرة والإسراء من الكشاف وهو معتزلي، فالله أعلم.

وهم مظنة أن يقولوا ذلك؛ لما تقدم من أنهم لا يفرقون بين النبي والرسول.

وقولهم غير قادح في الإجماع فإنه قولُ مَن لا يُعتد بقوله ولا يُلتفت إليه.

## المبحث الثاني: وجوه التفاضل بين الأنبياء على وجه الإجمال

**أسباب التفاضل بين الأنبياء لا يعلمها إلا الذي فاضل بينهم وهو الله ﷻ إلا أنه نبهنا سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله إلى شيء من وجوه التفاضل بينهم.**

عرفنا من النصوص السابقة أن معنى التفاضل بينهم في الجملة هو اختصاص بعضهم بما ليس للآخر منهم، فهم اشتركوا في صفة خير لا تخلو من أحدهم تساووا فيها فُضلوا بها على سائر البشر. كما سيأتي بيانه ووقع التفاضل بينهم في الأمور الزائدة على المشترك بينهم، فهم اشتركوا في النبوة ثم تباينوا في الفضائل بما منحهم الله منها، هذا جملة، وقد ورد في النصوص السابقة بيان بعض المتفاضلين والوجوه التي فُضلوا بها، فبعد أن

(١) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر المصري، من علماء الحديث، له شرح الصحيحين، وكتب في القراءات والتجويد والسيرة. (ت٩٢٣هـ). انظر: «الأعلام» (١/ ٢٣٢)، و«معجم المؤلفين» (٢/ ٨٥).

(٢) «المواهب اللدنية» (٢/ ٤٢).

ذكر سبحانه تفاضلهم على وجه الإجمال في قوله: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ قال سبحانه في الآية الأولى على وجه الالتفات بتخصيص بعض الفضائل بالذكر: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال في الثانية: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾.

أما قوله: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ فالمراد به موسى عليه السلام إذ هو المشتهر بين الأنبياء بالتكليم، وقد قال له سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾.

وأما قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ المراد به محمد ﷺ كما سيأتي بيانه.

**ووجوه التفاضل كما بينتها النصوص السابقة:**

* التفضيل بالتخصيص بمنقبة، كتكليم الله موسى، فمَن خُص بمنقبة عظيمة من الأنبياء أفضل ممن لم يخص.

* والتفضيل بالبينات والآيات كما قال سبحانه: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة: ٨٧] وقال ﷺ: «**أُعطيت جوامع الكلم ونُصرت بالرعب**»، فمن كان من الأنبياء أعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل.

* والتفضيل بالتأييد بالملائكة، كما قال سبحانه في عيسى: ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ [البقرة: ٨٧] وروح القدس هو جبريل عليه السلام في أظهر الأقوال[(١)]، فمَن كان تأييد الله له من الأنبياء بالملائكة أكثر وأظهر كان أفضل.

**قال ابن سعدي في الآية:** «وأيده بروح القدس، أي بروح الإيمان فجعل روحانيته فائقة روحانية غيره، فحصل له بذلك القوة، والتأييد بهذه الروح

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٢٠)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٢٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٢٣)، و«روح المعاني» (١/ ٣١٧)، و«أضواء البيان» (١/ ٦٩) وغيرها.

عام لكل مؤمن بحسب إيمانه كما قال: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ لكن ما لعيسى أعظم مما لغيره لهذا خصه بالذكر»[١].

وعليه فكل من كان تأييد الله له من الأنبياء بالإيمان أعظم وأقوى كان أفضل.

* والتفضيل بالشرائع كما قال ﷺ: «**وأُحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» وكما قال سبحانه عن محمد ﷺ في شأن اليهود: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وكما حكى الله قول عيسى لليهود: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

فكل من أوتي شريعة جديدة من الأنبياء فهو أفضل، ثم كل من كانت شريعته أتم وأيسر فهو أفضل.

* والتفضيل بإنزال كتاب، كما قال سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ فمن أُنزل عليه كتاب أفضل ممن لم ينزل عليه كتاب.

ثم التفضيل بما في الكتاب من الشرائع ونحوها بين من أنزل إليهم كتاب.

* التفضيل بالدرجات كما قال سبحانه: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ يعني مراتب متباعدة ووجوهًا متعددة[٢].

* التفضيل بالمراتب في السماء كما في حديث المعراج.

* التفضيل بكثرة الأتباع كما في حديث الصحيحين أن النبي ﷺ عرضت عليه الأمم، فرأى النبي وليس معه أحد والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ومعه الخمسة والنبي ومعه الرهط والنفر والنبي ومعه العشرة والنبي ومعه

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١/ ١٥٠).

(٢) «روح المعاني» (٣/ ٢).

السواد العظيم[١].

**قال القاضي عياض في آية البقرة وآية الإسراء:** (قال بعض أهل العلم: والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا، وذلك بثلاثة أحوال: أن تكون آيته ومعجزاته أبهر وأشهر. أو تكون أمته أزكى وأكثر. أو يكون في ذاته أفضل وأظهر، وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام أو خُلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه)[٢].

**وقال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ: (الرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم يكون أكمل من غيره من جهة تأييد الله له بالعلم والهدى وبالنصر والقهر، كما كان نوح وإبراهيم)[٣].

**فهذه جملة من وجوه تفاضل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.**

## المبحث الثالث: التفاضل بين الرسل والأنبياء

تقرر لدينا أن بين النبي والرسول فرقًا لدلالة النصوص على ذلك.

وهذه المسألة ثمرة لتلك، فإن التفاضل إنما يكون في الفوارق بين المتفاضلين لا فيما تساووا فيه من كل وجه.

وفي التفاضل بين الأنبياء والرسل اتفاق على أن الرسول أفضل من النبي.

**يقول ابن كثير:** (لا خلاف أن الرسول أفضل من بقية الأنبياء)[٤].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري مع الفتح» (١١/ ٤٠٥)، و«صحيح مسلم» (١/ ١٩٩).

(٢) «الشفا» (١/ ٢٢٧، ٢٢٨).

(٣) «الفتاوى» (١٥/ ١٣١).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧).

**وقال السفاريني:** (الرسول أفضل من النبي إجماعًا لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة)(١).

وقد بدأ الله بذكر الرسول قبل النبي في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الحج: ٥٢] وَقَدَّم سبحانه الوصف بالرسالة على الوصف بالنبوة في قوله في كل من موسى وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ فلعل في هذا دلالة على فضل الرسول على النبي؛ إذ الترتيب كان قاضيًا بتقديم النبي على الرسول؛ لأن النبوة تكون أولًا ثم الرسالة، ففي تقديمها على النبوة إفادة معنى.

**ودلل الماوردي(٢) على فضل الرسول فقال:** (الرسول أعلى منزلة من النبي ولذلك سميت الملائكة رسلًا ولم يسموا أنبياء)(٣).

ولكن هذا الاستدلال على القول بتفضيل الملائكة على الأنبياء مرجوح. كما سيأتي بيانه إن شاء الله.



---

(١) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٥٠).

(٢) هو علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، من قضاة عصره البارزين، ولي القضاء في بلدان كثيرة ثم جُعل «قاضي القضاة» كان يميل إلى مذهب الاعتزال في مسائل، توفي (٤٥٠ هـ). انظر: «طبقات الشافعية» (٣/ ٣٠٣)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٢٨٥، ٢٨٦).

(٣) «أعلام النبوة» (ص٣٨).

## المبحث الرابع: أوجه فضل الرسل على الأنبياء

**ومن أوجه فضل الرسل على الأنبياء:**

* أن الرسالة في أصلها قدر زائد على النبوة، فهي نبوة وزيادة، فالرسل ساووا الأنبياء في النبوة، وفُضلوا عليهم بالرسالة، صلوات الله وسلامه على الجميع.

**يقول القرطبي:** (معلوم أن مَن أُرسل أفضل ممن لم يرسل، فإن مَن أُرسل فُضل على غيره في الرسالة، واستووا في النبوة).

**قال:** (إلى ما يلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم، وهذا مما لا خفاء فيه)(١).

وفي قول القرطبي هذا وجه آخر من وجوه فضل الرسول على النبي، وهو ما يلقاه الرسل دون الأنبياء من المنازعة مع أقوامهم.

وذكر ابن القيم طبقات المكلفين فجعل الطبقة الأولى مرتبة أولي العزم من الرسل، ثم الطبقة الثانية مَن عداهم من الرسل ثم قال:

(الطبقة الثالثة: الذين لم يرسلوا إلى أممهم وإنما كانت لهم النبوة دون الرسالة، فاختصوا عن الأُمة بإيحاء الله إليهم، وإرساله ملائكته إليهم واختصت الرسل عنهم بإرسالهم إلى الأُمة بدعوتهم إلى الله بشريعته وأمره، واشتركوا في الوحي ونزول الملائكة عليهم)(٢).

* ومن وجوه فضل الرسول على النبي: أن الرسالة تثمر هداية الكافرين

---

(١) «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٦٣).

(٢) «طريق الهجرتين» (ص٣٥٠).

وإزالة الشرك، أما النبوة فتثمر توجيه المؤمنين وصيانة أحكام الله فيهم.

وهذا مستفاد مما ذُكر من الفرق بين النبي والرسول أن النبي يُبعث في مؤمنين والرسول في كافرين، ولا شك أن هداية الكافر خير من تعليم المؤمن وفي كلٍّ خير، قال ﷺ لعلي رضي الله عنه لما أمره بدعوة أهل خيبر إلى الإسلام: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النَّعَم**»[١].

**وهذا الإجماع المذكور على فضل الرسول على النبوة واقع خلافًا للعز ابن عبد السلام كما يقول السفاريني**[٢] **فإن العز قال:** (إن قيل: أيهما أفضل؟ النبوة أم الإرسال؟ فنقول: النبوة أفضل لأن النبوة إخبار عما يستحقه الرب من صفات الجمال ونعوت الكمال، وهي متعلقة بالله من طرفيها. والإرسال دونها، أمر بالإبلاغ إلى العباد، فهو متعلق بالله من أحد طرفيه وبالعباد من الطرف الآخر، ولا شك أن ما يتعلق بالله من طرفيه أفضل مما يتعلق به من أحد طرفيه، والنبوة سابقة على الإرسال فإن قول الله لموسى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] مقدم على قوله: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤] فجميع ما تحدث به قبل قوله: «اذهب إلى فرعون» نبوة، وما أمره بعد ذلك من التبليغ فهو إرسال. والحاصل أن النبوة راجعة إلى التعريف بالإله وبما يجب له، والإرسال إلى أمر الرسول بأن يُبلِّغ عنه إلى عباده أو إلى بعض عباده ما أوجبه عليهم من معرفته وطاعته واجتناب معصيته، وكذلك الرسول عليه السلام لما قال له جبريل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ١- ٨] كان هذا نبوة، وكان ابتداء الرسالة حين جاء جبريل بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ١، ٢])[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح (٧/ ٤٧٦)، ومسلم (٤/ ١٨٧٢).

(٢) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٥٠)، (٢/ ٣٠٠).

(٣) «قواعد الأحكام» (ص٢٣٧).

**ويظهر من كلام العز بن عبد السلام حصره سبب تفضيله النبي على الرسول في أمرين:**

**الأول:** أن النبوة متعلقة بالله من طرفيها، والإرسال متعلق بالله من أحد طرفيه وبالعباد من الطرف الآخر.

**الثاني:** أن النبوة سابقة على الإرسال.

**أما الأول:** فإنه لم يعين الطرفين ما هما على التحديد، إلا أنه بنى على ذلك على تفريقه بين النبوة والرسالة بأن النبوة تعريف الله نبيه به سبحانه وبما يجب له، ومثاله في كلامه قول الله لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] وقول جبريل للنبي ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ والرسالة الأمر بالتبليغ، ومثاله في كلامه قوله سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ [طه: ٢٤] وقوله للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر: ١، ٢]، فكأن النبوة على هذا وحي خاص بالنبي لا يبلغه لغيره، والرسول مَن أُمر بالتبليغ. فرجع إلى قول مَن جعل الفرق بينهما أن النبي أُوحي إليه بوحي ولم يؤمر بتبليغه، والرسول مَن أُوحي إليه بوحي وأُمر بتبليغه، وهو غير مُسلَّم فإن الإرسال ثابت لهما كما تقدم بيانه في مسألة الفرق، وثبوت الإرسال لهما يجعل النبوة متعلقة بالله وبالعباد كالرسالة، فيكون السبب المذكور في تفضيل النبي على الرسول منتقضًا.

**وأما الثاني:** فإنَّ سبق النبوة دليل على فضل الرسالة عليها لأنه لا يبلغ مرتبة الرسالة إلا من كان نبيًّا، فهي مرتبة شريفة تفضل مرتبة النبوة، فلا يبلغ مبلغ الرسول إلا من كان نبيًّا أولًا.

ونبوة الرسول تكون إعدادًا له للقيام بأعباء الرسالة. وهذا مفهوم من كلام العز. فدل على فضل الرسالة على النبوة.

**وقد فهم السفاريني من كلام العز بن عبد السلام تخصيصه فضل النبوة على الرسالة في حال اجتماعهما في شخص واحد لا مطلقًا، قال السفاريني:** (الرسول أفضل من النبي إجماعًا؛ لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة، على الأصح خلافًا لابن عبد السلام) **إلى أن قال:** (ثم إن محل الخلاف فيهما مع اتحاد محلهما وقيامهما معًا بشخص واحد، أما مع تعدد المحل فلا خلاف في أفضلية الرسالة على النبوة)(١).

**وقال في موضع آخر:** (الرسالة أفضل من النبوة ولو في شخص واحد خلافا للعز بن عبد السلام في قوله: إن نبوة النبي أفضل من رسالته لقصرها على الحق تعالى، إذ هي الإيحاء بما يتعلق بالباري - جل شأنه - من غير ارتباط له بالخلق، أما مع تعدد المحل فلا خلاف في أفضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة) **قال:** (على أن الصحيح المعتمد أفضلية الرسالة مطلقًا)(٢).

وليس في كلام العز الذي وجدته ونقلته إلا إطلاق تفضيل النبوة على الرسالة لا كما يذكر السفاريني، إلا أن يكون وقف على غير ما وقفت عليه.

**هذا وقد جاء في كلام لابن حجر في ذكره وجوهًا في تعليل نهي النبي ﷺ عُبادة عن قول: «ورسولك الذي أرسلت» ليقول: «ونبيك الذي أرسلت» في حديث الدعاء قبل النوم، وكان مما قاله:** (أو لأن لفظ النبي أمدح من لفظ الرسول لأنه مشترك في الإطلاق على كل من أُرسل، بخلاف لفظ النبي فإنه لا اشتراك فيه عرفًا)(٣).

(١) «لوامع الأنوار» (١/ ٥٠).
(٢) «لوامع الأنوار» (٢/ ٣٠٠، ٣٠١).
(٣) «فتح الباري» (١/ ٣٥٨).

وهذا في عرف اللغة لا في عرف الشرع، بل وَصْف الرسالة في عرف الشرع يستلزم وصف النبوة.

فالصحيح أن الرسالة أفضل من النبوة، والرسول أفضل من النبي، فلفظ الرسول أمدح من لفظ النبي، والله أعلم.

## المبحث الخامس: التفاضل بين الرسل

**تقرر في المسألة السابقة كون الرسل أفضل من الأنبياء، ونبين في هذه المسألة أن الرسل يتفاضلون فيما بينهم.**

قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فهذا نص في التفاضل بين الرسل خاصة من جملة الأنبياء، فقد ذكرهم الله ﷻ نصًّا فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ ثم ذكر سبحانه رسلًا مبينًا أوجه فضلهم.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والرسل داخلون في هذا الإطلاق، وهو إطلاق يُفهم منه تفاضل الرسل فيما بينهم فإنه غير مانع من أن يكون الرسل من الأنبياء متفاضلين فيما بينهم.

**وأفضل الرسل أولو العزم منهم،** قال ﷻ آمرًا نبيه محمدًا وهو أفضل الخلق: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فامتدحهم الله ﷻ بالعزم وخصهم بالذكر من بين رسله، وأمر نبيه محمدًا ﷺ وقد فضله على جميع خلقه أن يقتدي بهم.

**يقول ابن تيمية** رحمه الله: (أفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم)(١).

---

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص٧).

**وقال ابن كثير:** (لا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم)[(١)].

**ومعنى العزم الذي امتدحهم الله وفَضَّلهم به:** الحزم والصبر، فإن العزم في أصل اللغة دال على الصريمة والقطع واجتماع القلب على الشيء[(٢)].

وفي كتاب الله ما يدل على تفسير العزم بالصبر دلالة ظاهرة، قال سبحانه: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] وقال سبحانه حاكيًا قول لقمان لابنه: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝٤٣﴾ [الشورى: ٤٣]، وفي ذات الآية المذكور فيها أولو العزم بهذه الصفة ذكر الصبر، فقد أمر الله فيها نبيه بالصبر اقتداء بأولي العزم في صبرهم.

والمقصود بالصبر: الصبر على أعباء الرسالة وأمانة أدائها وتحمل مشاقها، والصبر على أذى المرسل إليهم، مع الحزم في الدعوة وأداء الرسالة، ونحوه من المعاني.

## المبحث السادس: في تعيين أولي العزم

**أولو العزم بعض الرسل لا كلهم كما نُقل عن بعض السلف ممن حمل (مِن) في الآية على التجنيس لا التبعيض**[(٣)]، فإن خروج بعض الرسل من أن يكونوا معنيين في الآية ثابت في كتاب الله، فالله ﷻ أمر نبيه في هذه الآية

---

(١) «التفسير» (٣/ ٤٧).

(٢) انظر: «معجم مقاييس اللغة» (٤/ ٣٠٩)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ١٦٠).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٦/ ٢٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٦)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٩٢)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٢٠)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ١٧٣).

بالاقتداء بأولي العزم، ونهاه في آية أخرى عن أن يكون كصاحب الحوت يونس عليه السلام إذ قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] ويونس عليه السلام رسول، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الصافات: ١٣٩] وقال: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات: ١٤٧].

**وقيل: أولو العزم هم كل الأنبياء عدا يونس** عليه السلام(١) **وهو مرجوح بأمرين ورد الدليل بهما:**

**الأول:** أن الآية نص في أنهم من الرسل لا من الأنبياء غير الرسل.

**الثاني:** أن الله نفى العزم عن آدم عليه السلام وهو نبي، ولم يستثنه أصحاب هذا القول، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

وما من شك أن الله لم يرسل رسولًا إلا وهو ذو عزم وجد في طاعة الله فيما ائتمنه عليه، ولكن خص هؤلاء بالذكر والتفضيل لأنهم أعظم وأكمل عزمًا من غيرهم، والله أعلم.

**وقد اختلفت الأقوال في تعيين أولي العزم من هم(٢)، ويمكن تصنيفها إلى قسمين:**

**الأول:** قول من جعل التعيين بالصفة لا بالتسمية:

كقول من قال: إنهم الذين امتُحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن، فلم تزدهم المحن إلا جدًّا في أمر الله(٣).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٦)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٩٣)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٢٠).

(٢) انظرها في «تفسير الطبري» (٢٦/ ٢٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٦)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٣٩٢)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٢٠)، و«الدر المنثور» (٦/ ٤٥) وغيرها.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٦/ ٢٤).

وقول من قال: إنهم الذين أُمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة، وهو مروي عن الشعبي ومجاهد والسدي وغيرهم(١).

وقول من قال: إنهم الذين لم تصبهم فتنة من الأنبياء، وهو مروي عن الحسن(٢) وقول من قال: إنهم العرب من الأنبياء قاله مجاهد والشعبي(٣).

**ولم تُذكر للقائلين بما تقدم أدلة لما قالوه.**

**والثاني:** قول من جعل التعيين بالتسمية:

فقيل: هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام [٨٤- ٨٦] لقوله سبحانه في عقب ذكرهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط(٤).

**وهو قول يضعفه أمران:**

**أحدهما:** أن فيهم أنبياء ليسوا برسل، كزكريا ويحيى وهما من أنبياء بني إسرائيل، وأولو العزم رسل.

**ثانيهما:** أنهم لم يخصوا تعيينًا في أمره سبحانه نبيه بالاقتداء بهم، فقد قال

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٦)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٢٠)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٩٢).

(٢) انظر: «زاد المسير» (٧/ ٣٩٢).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٦)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٢٠)/ و«زاد المسير» (٧/ ٣٩٢).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٦)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٢٠)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٩٢).

سبحانه بعد أن ذكرهم وقيل الأمر بالاقتداء: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٧] فهو أمر بالاقتداء بهدي الأنبياء جملة.

**قال ابن كثير في قوله تعالى:** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]: (أولئك: يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه)[1].

وقيل: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورتي الأعراف والشعراء[2]. وقيل غير ذلك[3].

**ولكن الأشهر المتداول في كتب العلم أنهم خمسة وهم:** محمد، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وهم الخمسة المذكورون نصًّا في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣] فقد خصهم الله ﷻ بالذكر في هاتين الآيتين من بين الأنبياء، وهو تنبيه إلى فضلهم بين سائر الأنبياء، وقد خصهم سبحانه بالذكر في ذكره أعظم الأمور وأفضلها وأغلظها، وهو الميثاق الذي قال فيه: ﴿**وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا**﴾ [النساء: ١٥٤]، والوصايا التي شرعها لخلقه، وذلك ما أخذ على جميع النبيين وبُعث به جميع النبيين، وهو العهد الذي

---

(١) «التفسير» (٢/ ١٥٦)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٩٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٦)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٢٠).

(٣) انظر المراجع السابقة، و«الدر المنثور» (٦/ ٤٥).

بين الله وخلقه، وهو إقامة دين الله وعدم التفرق فيه وإسلام الوجه له سبحانه والدعوة إلى ذلك والمجاهدة فيه والموالاة فيه والبراء فيه، وهؤلاء الخمسة صلوات الله وسلامه عليهم أكمل وأعظم مَن قام بهذا الميثاق؛ ولذا خُصوا بالذكر.

وهم الذين تفزع الأمم إليهم في الموقف يوم القيامة بعد أبيهم آدم، فيتراجعونها حتى تنتهي إلى محمد ﷺ كما في حديث الشفاعة[1].

والقول بأنهم هم أولو العزم مروي عن ابن عباس وغيره من السلف الصالح رضوان الله عليهم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد ﷺ، وخيرهم محمد وصلى الله وسلم عليهم أجمعين)[2].

قال أبو حاتم[3] في آية الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾: (أجمل النبيين ثم قال: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فأفردهم تفضيلًا لهم على سائر الأنبياء)[4].

---

(١) انظره في «صحيح البخاري مع الفتح» (٨/ ٣٩٥)، و«صحيح مسلم» (١/ ٦٣).

(٢) أخرجه البزار، انظر: «كشف الأستار» (٣/ ١١٤٧)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» «المجمع» (٨/ ٢٥٥)، وكذا أخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد وإن كان موقوفًا على أبي هريرة» ووافقه الذهبي، انظر: «المستدرك مع التلخيص» (٢/ ٥٤٦) وأخرجه الديلمي في «الفردوس» (٢/ ٢٨٣)، وذكر السيوطي أن ابن عساكر أخرجه، قال المناوي في «التاريخ» وصححه السيوطي. انظر: «الجامع الصغير» (٢/ ٨)، و«فيض القدير» (٣/ ٤٧٠).

(٣) هو سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني، من كبار علماء العربية ورواة الشعر (ت ٢٤٨ هـ)، انظر: «الفهرست» (٨٦)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٤٣٠).

(٤) «كتاب النخل» (ص٤٠).

**يقول ابن القيم في بيان طبقات المكلفين:** (الطبقة الأولى - وهى العليا على الإطلاق -: مرتبة الرسالة، فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى لديه رسله) **قال:** (وأعلاهم منزلة أولو العزم منهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾، وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق وعليهم تدور الشفاعة حتى يَرُدُّوها إلى خاتمهم وأفضلهم ﷺ).

قال: (الطبقة الثانية: من عداهم من الرسل على مراتبه من تفضيلهم بعضهم على بعض)[١].

## المبحث السابع: في تفاضل أولي العزم

قد ذكر الله ﷻ أولي العزم في آيتي الأحزاب والشورى المذكورتين، وقد بدأ سبحانه في آية الشورى بذكر الطرفين: أول الرسل وخاتمهم، وذكر بعدهما الثلاثة مبتدئًا بإبراهيم ثم موسى ثم عيسى بحسَب ترتيب وجودهم عليهم الصلاة والسلام.

وقد بدأ سبحانه في آية الأحزاب بذكر محمد ﷺ لشرفه وفضله عليهم، وذلك لأنه في الآية ذكر النبيين في الجملة تعميمًا ثم خص سبحانه أفضلهم بالذكر بعد دخولهم في العموم فناسب لذلك الابتداء بذكر محمد ﷺ لكونه أفضل هؤلاء المفضلين، وفي الآية ذكر للميثاق المأخوذ على النبيين فهي متعلقة بالأنبياء خاصة ولذلك قُدم محمد ﷺ لكونه أفضل هؤلاء المفضلين في الذكر للوجه المذكور، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] أما آية الشورى

(١) «طريق الهجرتين» (ص٣٤٩، ٣٥٠).

فمتعلقة بالشريعة التي بُعثوا بها.

ولذا بدأ سبحانه بنوح قبل محمد عليهما الصلاة والسلام؛ لأن الآية في ذكر دين الإسلام وما وصى الله به الرسل، فناسب ذلك أن يبدأ بنوح؛ لأن رسالته أول الرسالات، ففيه بيان جلي أن أول رسالات الرسل أوصت بما شُرع لأمة محمد ﷺ من الدين، فهو دين أصيل مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب، ثم ذكر سبحانه مِن بين من توسطوا بين محمد ونوح أشهر أصحاب الشرائع وأفضلهم[1].

قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾.

فمحمد ﷺ هو أفضل أولي العزم بلا خلاف.

**يقول ابن كثير:** (لا خلاف أن محمدًا أفضلهم، ثم بعده إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور)[2].

يعني ابن كثير أن نوحًا آخرهم في ترتيبهم في الفضل بعد محمد ﷺ فقال في إبراهيم: (هو أشرف أولي العزم بعد محمد ﷺ)[3].

**وقد نص السفاريني على اختلاف العلماء فيمن يلي النبي في الفضلية منهم،**

---

(١) انظر: «الأنموذج الجليل» (٢/ ٧٧)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٧٠)، و«فتح الرحمن» (٤٥٨)، و«روح المعاني» (٢١/ ١٥٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٧)، وقال بعد ذلك: «وقد بسطناه بدلائله في غير هذا الموضع».

وقد بذلت جهدي في البحث في تفسيره وفي «البداية والنهاية» فلم أقف على الموضع الذي أحال إليه هنا.

(٣) «البداية والنهاية» (١/ ١٧٠).

**وذكر أن المشهور أنه إبراهيم، قال:** (قد اختلف العلماء فيمن يلي النبي ﷺ في الفضلية منهم، والمشهور واختاره ابن حجر في شرح البخاري أنه إبراهيم خليل الرحمن؛ لما ورد أن إبراهيم عليه السلام خير البرية، خُص منه محمد ﷺ بإجماع، فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عليهم السلام، والثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين، قال الحافظ ابن حجر: ولم أقف على نقل أيهم أفضل، والذي ينقدح في النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام)[١].

**وذكر السيوطي أن الإجماع منقول على تقديم إبراهيم عليه السلام، فبعد أن ذكر أن النبي ﷺ أفضل خلق الله على الإطلاق قال:** (فخليله إبراهيم يليه في التفضيل، فهو أفضل الخلق بعده، نقل بعضهم الإجماع على ذلك، وفي الصحيح: «خير البرية إبراهيم» خص منه النبي ﷺ فبقي على عمومه).

**قال السيوطي:** (فموسى وعيسى ونوح الثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء، ولم أقف على نقل أيهم أفضل)[٢].

**وتعقب المُناوي[٣] السيوطي في كلامه هذا فقال:** (وَفَاتَه - يعني السيوطي - أن الفخر الرازي حكى الإجماع على تقديم موسى وعيسى على نوح فإنه قال

---

(١) «اللوامع» (٢/ ٣٠٠).

وقد بذلت جهدي في الوقوف على ما نسبه لابن حجر في «الفتح» فلم أعثر عليه وبخاصة في مظانه من «الفتح».

(٢) «إتمام الدراية» (١٧) بهامش «مفتاح العلوم».

(٣) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي - بضم الميم - كان منزويًا للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر فمرض، وجعل ولده يستملي منه تأليفه (ت١٠٣١هـ). انظر: «الأعلام» (٦/ ٢٠٤) و«معجم المؤلفين» (١٠/ ١٦٦).

في «أسرار التنزيل»: لا نزاع في أن أفضل الأنبياء والرسل هؤلاء الأربعة: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى)[(١)].

**والحاصل** أن النص دال على تفضيل محمد ﷺ والإجماع منعقد عليه. وكذا يدل النص على أن إبراهيم يليه في التفضيل؛ لحديث أنس قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: يا خير البرية!! فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك إبراهيم**»[(٢)]، وقد نقل السفاريني عن السيوطي وابن حجر أنهما لم يقفا على نقل أي الثلاثة أفضل بعد إبراهيم عليه السلام، ولكن النقل دال على تقديم موسى على عيسى عليهما السلام ففي أحاديث المعراج[(٣)] أن النبي ﷺ مر بعيسى في السماء الثانية ومر بموسى في رواية في السادسة، وفي أخرى في السابعة[(٤)].

---

(١) «فيض القدير» (٣/ ٤٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٨٣٩)، وأبو داود في «سننه» (٤/ ٢١٨)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٧٨ - ١٨٤).

(٣) تقدمت الإحالة قريبًا على مواضع أحاديث المعراج المذكور فيها درجات الأنبياء من الصحيحين (ص١١٧).

(٤) **قد يشكل بالرواية التي فيها أن موسى في السابعة تفضيله على إبراهيم؛ لأنه مذكور في ذات الرواية أنه في السادسة، قال ابن حجر:** «ولكن المشهور من الروايات أن الذي في السابعة هو إبراهيم، وأكد ذلك في حديث مالك بن صعصعة بأنه كان مسنِدًا ظهره إلى البيت المعمور» «الفتح» (١٣/ ٤٨٢) وكذا ورد كون إبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور في روايات أخر كرواية ثابت البُناني عن أنس، والبيت المعمور في السابعة بلا خلاف.

ورواية أن إبراهيم في السادسة وموسى في السابعة وقعت من طريقين فقط: من حديث الزهري عن أنس عن أبي ذر، ومن حديث شريك بن عبد الله عن أنس.

أما حديث أبي ذر فقد قال فيه أنس ولم يُثبت (يعني أبا ذر) كيف منازلهم، فلا شك أن رواية من أثبتها أرجح. (انظر الرواية في البخاري مع الفتح (١/ ٤٥٨) و(٦/ ٣٧٤) =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وفي صحيح مسلم (١/ ١٤٨).
وأما رواية شريك فإن مسلمًا رَحِمَهُ اللَّهُ أورد المسند من روايته ثم قال: «وقدم فيه شيئًا وأخر وزاد ونقص» «صحيح مسلم» (١/ ١٤٨) فهي إشارة إلى اضطراب رواية شريك وضعف ضبطها (انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٤٨٣-٤٨٦).
قال ابن كثير في إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثم هو أشرف أولي العزم بعد محمد ﷺ وهو الذي وجده عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء السابعة مسنِدًا ظهره بالبيت المعمور».
قال: «وما وقع في حديث شريك بن أبي نمير عن أنس في حديث الإسراء من أن إبراهيم في السادسة وموسى في السابعة، فمما انتقد على شريك في هذا الحديث، والصحيح الأول» «البداية والنهاية» (١/ ١٧٠) وانظر: (١/ ٣١٣). قال ابن حجر في شريك: «هو مختلف فيه، فإذا تفرد عُد ما ينفرد به شاذًّا، وكذا منكرًا على رأي من يقول: المنكر والشاذ شيء واحد» قال: «والأَوْلى التزام ورود المواضع التي خالف فيها غيره، والجواب عنها إما بدفع تفرده وإما بتأويله على وفاق الجماعة» «الفتح» (١٣/ ٤٨٥)، وتفرُّد شريك مندفع في هذه الجملة فقد وافقه الزهري عن أنس عن أبي ذر فيها، إلا أن في رواية الزهري التنصيص على عدم ضبط المنازل، ولكن في رواية شريك ما يدل على أنه ضبط كون موسى في السماء السابعة فقد قال: «كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية . . . إلخ» فقوله: «فوعيت» دال على ما ذكرنا، إلى أن قال: «وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه» فدل على ضبطه الآخرين، ثم قال: «وموسى في السابعة بفضل كلام الله».
قال ابن حجر: «وهذا التعليق يدل على أن شريكًا ضبط كون موسى في السماء السابعة» «الفتح» (١٣/ ٤٨٢). ثم قال: «فقال موسى: رب لم أظن أن ترفع على أحدًا» وفيه زيادة ضبط، ولكن الثابت في جميع الروايات غير روايتي الزهري وشريك هاتين أن موسى في السادسة وإبراهيم في السابعة، فإن استقام جُمع بينهما وإلا فالأرجح رواية الجماعة، وقد جمع بينها، قال ابن حجر: «جمع بأن موسى كان في حالة العروج في السادسة وإبراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة، وعند الهبوط كان موسى في السابعة لأنه لم يذكر في القصة أن إبراهيم كلمه في شيء مما يتعلق بما فرض الله على أمته من الصلاة كما كلمه موسى، =

يعني في منزلة أعلى من منزلة عيسى، عليهم الصلاة والسلام، فموسى أفضل من عيسى. فبقي ترتيب نوح عليه السلام هل هو مقدم عليهما أم مؤخر عنها أم هو بينها؟ ولا نقل يدل على شيء من ذلك وليس الأمر مورد اجتهاد، وغاية ما يستطيعه من اجتهد بتأخير نوح الاستدلال بنصوص غاية ما فيها إثبات منقبة لكل واحد منهم من غير تخيير بين المناقب.

وتقديم أحدهما عليه أو تأخيره عنه - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - بتفضيل منقبة على أخرى مما لا يقبل اجتهادًا حتى يقوم عليه دليل؛ لأن ثبوت منقبة لا يستلزم التفضيل بها حتى يرد النص بالتفضيل.

فالواجب اعتقاده فضل نوح عليه السلام بعد إبراهيم على الجملة من غير تعيين ترتيبه مع موسى وعيسى عليهما السلام، فيكون حاصل القول في تفاضل أولي العزم أن أفضلهم محمد ثم يليه إبراهيم ثم نوح وموسى وعيسى. وموسى أفضل من عيسى عليهم الصلاة والسلام أجمعين، والله أعلم.

هذا الذي أراه - والله ورسوله بريئان من خطئي - أنه لا يفاضل بين نوح وكل من موسى وعيسى لعدم ورود نص في ذلك، ولكن المشهور بين أهل العلم - على قول ابن كثير المتقدم - تقديم موسى بعد إبراهيم، وإن صح قول الرازي الذي نقله المناوي عنه المتقدم ذكره أن لا نزاع في تأخير نوح عن الأربعة أولي العزم الباقين، وإن صح كون ذلك إجماعًا فبها ونعمت، وإلا فالرأي عندي ما ذكرته، والله أعلم.

---

= والسماء السابعة هي أول شيء انتهى إليه حالة الهبوط، فناسب أن يكون موسى بها لأنه هو الذي خاطبه في ذلك كما ثبت في جميع الروايات. ويحتمل أن يكون لقي موسى في السادسة فأصعد معه إلى السابعة تفضيلًا له على غيره من أجل كلام الله تعالى، وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع المصطفى فيما يتعلق بأمر أمته في الصلاة» «الفتح» (١٣/ ٤٨٢).

## المبحث الثامن: في ذكر بعض خصائص أولي العزم

سيأتي الحديث في فضائل محمد ﷺ وخصائصه في المبحث التالي بإذن الباري، ونذكر هنا شيئًا من خصائص بقية أولي العزم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -.

**أما إبراهيم** عليه السلام **فمن فضائله وخصائصه** عليه السلام: أنه خليل الرحمن لم يشاركه في الخُلة إلا محمد، صلى الله عليهما وسلم، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

وقد جعله الله ﷻ إمامًا للناس يقتدون به ويهتدون بهديه، قال سبحانه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقد أجرى الله على يديه بناء بيته الذي جعله قيامًا للناس ومثابة وأمنًا، وعهد إليه ولابنه تبعًا له تطهير البيت للطائفين والعاكفين والرُّكع السجود، وأمر سبحانه المؤمنين باتخاذ مقامه مصلى، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقد حصر الله النبوة والكتاب من بعده في ذريته عليه السلام، قال سبحانه:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: ٢٧] فلم يأتِ نبي بعد إبراهيم إلا من ذريته.

وهو عليه السلام أول مَن يُكسى يوم القيامة كما في المتفق عليه من حديث ابن عباس قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: «**إنكم محشورون حفاة عراة غرلًا - كما بدأنا أول خلق نعيده الآية - وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم**»(١).

وقد جمع الله له منزلتين عظيمتين، قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١] فجمع له بين الصِّديقية والنبوة.

وفضائله أكثر من أن تحصر عليه السلام وما علمناه غيض من فيض مما جهلناه في إبراهيم عليه السلام.

**وأما نوح** عليه السلام: فقد جاهد في الله حق جهاده وهو أول رسول بُعث في الناس بعد اختلافهم على دينهم واجتيال الشيطان لهم، وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، باذلًا وسعه في الدعوة إلى الله ليلًا ونهارًا سرًّا وجهارًا، صابرًا على أذى قومه، لا تثنيه عن الدعوة إلى ربه سفاهاتهم وتعدياتهم.

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥].

وقال سبحانه في نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، انظره مع الفتح (١١/ ٣٧٧)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤).

فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ٥- ١٠].

وقال سبحانه عن قوم نوح: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود: ٣٢].

**وأما موسى** عليه السلام: فهو كليم الله، اشتهر من بين الأنبياء بهذه الحلية، قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣، ١٤٤]، وقد ورد ذكر تكليم الله موسى في مواضع من كتاب الله(١).

وهو عليه السلام المعنيّ بقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣] في قول كافة المفسرين.

وقد ثبت تكليم الله آدم عليه السلام في كتاب الله، في نحو قوله سبحانه: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ﴾ [البقرة: ٣٣] وقوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥]

---

(١) انظر: سورة طه، الآيات (١١-٣٧، و٨٣-٨٥)، وسورة الشعراء، الآيات (١٠-١٧)، وسورة النمل، الآيات (٨-١٢)، وسورة القصص، الآيات (٣٠-٣٦)، وسورة النازعات، الآيات (١٥-١٩).

وقوله: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه: ١١٧] وما بعدها، وظاهر هذا أنه كان كفاحًا بغير واسطة المَلَك[(١)].

وفي حديث أبي ذر في عدد الأنبياء والرسل المتقدم ذكره أنه سأل النبي ﷺ عن آدم: أنبيٌّ مكلم هو؟، فقال: «**نعم، نبي مكلم**»[(٢)].

**قال ابن عطية:** (وقد تأول بعض الناس أن تكليم آدم كان في الجنة، فعلى هذا تبقى خاصية موسى)[(٣)].

وقد حمل بعضهم قوله سبحانه في سورة النجم: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠] على أن الله أوحى إلى محمد ليلة المعراج كفاحًا بلا واسطة[(٤)] فيكون تكليمًا. وحمله آخرون على أن الله أوحى إلى محمد بواسطة جبريل[(٥)] فلا يكون تكليمًا، قال ابن كثير: «وكلا المعنيين صحيح»[(٦)] كأنه يرى أن الأمرين قد وقعا، وهو قد قال في قوله سبحانه: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] في آية البقرة ما نصه: (يعني موسى ومحمدًا ﷺ وكذلك آدم)[(٧)].

وإن صح تكليم الله محمدًا ﷺ ليلة المعراج فقد يُتأول أنه وقع في السماء

---

(١) انظر: «أضواء البيان» (١/ ١٩٤).

(٢) **صحيح:** تقدم تخريجه والكلام عنه.

(٣) «المحرر الوجيز» (٢/ ٢٧١).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٧، ٢٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٦٧)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٥٠)، و«الدر المنثور» (٦/ ١٢٣، ١٢٤).

(٥) انظر: المراجع السابقة وبقية كتب التفسير.

(٦) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٥٠).

(٧) المرجع السابق (١/ ٣٠٥).

فتبقى خاصية موسى عليه السلام.

ومر من فضائله عليه السلام كونه في السماء السادسة.

وقد آتاه الله عز وجل تسع آيات بينات[(١)] إلى فرعون وقومه ظهرت بهن حجته وقامت بينته أيده الله بهن قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] وقال عز وجل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: ١٢].

**وأما عيسى** عليه السلام: فاختُص من بين سائر الخلق بأنه وُلد لأم من غير أب، وإنما نفخ جبريل في درع جيب مريم فحملت بعيسى عليه السلام. وتكلم في المهد وآتاه الله من البينات ما فَضَّله به في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقد حكى الله كلام عيسى في المهد، فكان مما قاله وتظهر فيه من فضائله عليه السلام غرر: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٣٠- ٣٣].

وقد قال سبحانه في ذكر ولادة عيسى عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ

---

(١) والآيات التسع هي: العصا واليد والسنين وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم: ١٦- ٢٢].

وكان من الآيات التي آتاها الله عيسى عليه السلام ما ذكره سبحانه في قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقد رفعه الله عز وجل إليه، فهو حي في السماء وهو في الثانية كما في أحاديث الإسراء، قال سبحانه في تكذيب اليهود في دعواهم قتله عليه السلام: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وهذا من خصائصه ﷺ إذ ليس في الأنبياء حي إلا هو.

وسينزل عليه السلام في آخر الزمان كما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وهذا من خصائصه عليه السلام.

قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩]. وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ بنزول عيسى عليه السلام[(١)]، قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا**»[(٢)] وقال ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم**

---

(١) انظر: «التنصيص على التواتر وبيانه في تفسير الطبري» (٣/ ٢٠٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٥٧٨، ٥٧٩)، و«النهاية» (١/ ١٣٦) وما بعدها، و«نظم المتناثر» (١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» انظره مع «الفتح» (٤/ ٤١٤)، ومسلم (١/ ١٣٥).

**منكم؟»**[١].

وأجمعت الأمة على نزوله عليه السلام آخر الزمان[٢].

## المبحث التاسع: تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق

محمد ﷺ هو أفضل الأنبياء على الإطلاق بل هو خير الخلائق أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه.

وقد جاءت في ذلك نصوص لا تحصى كثرة فيما أوحاه الله ﷻ في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وفيما كُتب ورُوي من أقوال الأئمة المهديين من السلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين.

* قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ والمعنيّ بقوله: (ورفع بعضهم درجات) محمد ﷺ، قاله ابن عباس والشعبي ومجاهد وغيرهم[٣].

**قال الزمخشري في هذه الجملة من الآية:** (أي: ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة) **قال:** (والظاهر أنه أراد محمدًا ﷺ لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد) **إلى أن قال:** (وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى؛ لما فيه من الشهادة على أنه العَلَم الذي لا يشتبه، والمتميز الذي لا يلتبس. ويقال للرجل: مَن فعل هذا؟ فيقول: أحدكم أو بعضكم. يريد به

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، انظره مع الفتح (٦/ ٤٩٠)، ومسلم (١/ ١٣٥).

(٢) انظر: «البحر المحيط» (٢/ ٤٧٣)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٩٤).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٣٦)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٢٦٤)، و«الدر المنثور» (١/ ٣٢٢).

الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال، فيكون أفخم من التصريح به وأنوه بصاحبه)[(١)].

وقد خص سبحانه في الآية بالذكر من وجوه التفضيل: التفضيل بالآيات فقال: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ وقال: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ **قال الزمخشري:** (وهذا دليل بين أنّ من زِيد تفضيلًا بالآيات منهم فقد فُضل على غيره. ولما كان نبينا ﷺ هو الذي أوتي منها ما لم يؤتَ أحد في كثرتها وعِظمها. كان هو المشهود له بإحراز قَصَبات الفضل غير مدافع)[(٢)].

وذهب بعض المفسرين إلى احتمال أن يراد بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ محمد وغيره على الإجمال[(٣)] إلا أنه (يتعين أن يكون المراد من البعض هنا واحدًا من الرسل معينًا لا طائفة، وتكون الدرجات مراتب من الفضيلة ثابتة لذلك الواحد؛ لأنه لو كان المراد من البعض جماعة من الرسل مجملًا، ومن الدرجات درجات بينهم؛ لصار الكلام تكرارًا مع قوله: «فضلنا بعضهم على بعض» ولأنه لو أُريد بعض فضل على بعض لقال: «ورفع بعضهم فوق بعض درجات» كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥])[(٤)] بعد قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

* وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ ذكر المفسرون أن الآية في محاجة اليهود وأن المعنى: وإنكم لم تنكروا تفضيل

(١) «الكشاف» (١/ ١٥١، ١٥٢).
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٢٧١)، و«زاد المسير» (١/ ٣٠١) وغيرهما.
(٤) ما بين القوسين بنصه من تفسير التحرير والتنوير (٣/ ٦).

النبيين فكيف تنكرون فضل النبي ﷺ»[١].

**وقال الزمخشري:** قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ﴾ إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ، وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ دلالة على وجه تفضيله، وهو أنه خاتم النبيين وأن أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وهم محمد وأمته)[٢].

وقد احتج العلماء. كما يقول الخازن. بقوله تعالى في الأنعام: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] لكون النبي ﷺ أفضل الأنبياء لأن ما تفرق في الأنبياء من خصال الفضل اجتمعت فيه ﷺ[٣].

* وقال ﷺ: «**أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأُحلت لي الغنائم، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة وأُعطيت الشفاعة**»[٤].

* وفي رواية من حديث أبي هريرة: «**فُضلت على الأنبياء بست**»[٥] فذكر أربعًا من الخمس المتقدمة إلا الشفاعة وزاد خصلتين وهما: «**أُعطيت جوامع**

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٠)، و«تفسير الرازي» (٢٠/ ٢٣)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٧٨)، و«تيسير الكريم الرحمن» (٤/ ١٤٣).

(٢) «الكشاف» (٢/ ٣٦٤).

(٣) «تفسير الخازن» (٢/ ١٥٧).

(٤) متفق عليه، انظر: «صحيح البخاري مع الفتح» (١/ ٥٣٣)، و«صحيح مسلم» (١/ ٣٧٠).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١/ ٣٧١).

**الكلم**» و«**خُتم بي النبيون**» فتحصل من الروايتين سبع خصال.

* ومن حديث حذيفة: «**فُضلنا على الناس بثلاث**»[١] وفي روايات أن الخصائص أربع وروايات أنها اثنتان. ويتحصل من مجموع الروايات جملة من خصائصه ﷺ التي فُضل بها على الأنبياء تزيد كثيرًا على ما حُدد في كل رواية من عدد. ذكر ابن حجر أنه ينتظم من الروايات سبع عشرة خصلة قال: (ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع) ونقل عن بعض أهل العلم أن عدد الذي اختص به نبينا ﷺ عن الأنبياء ستون خصلة[٢].

**وأما اختلاف الروايات في تحديد العدد فإنه لا تعارض فيه، يقول ابن حجر في ذلك:** (وطريق الجمع أن يقال: لعله اطلع أولًا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقي، ومَن لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الإشكال من أصله)[٣].

* وفي أحاديث الشفاعة من بيان فضله ﷺ على الأنبياء ما هو ظاهر، وقد وصف النبي ﷺ ذلك اليوم بأنه يوم يرغب إليه فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه الصلاة والسلام[٤].

* وقال ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك**»[٥].

* وقال ﷺ: «**أنا أكثر الأنبياء تبعًا**»[٦] وقال: «**لم يُصَدَّق نبي من الأنبياء ما**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١/ ٣٧١).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٤٣٩).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٤٣٦).

(٤) انظر: حديث أُبي بن كعب عند مسلم في «صحيحه» (١/ ٥٦٢).

(٥) رواه مسلم في «صحيحه» (١/ ١٨٨).

(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١/ ١٨٨).

**صُدِّقت، وإن من الأنبياء نبيًّا ما صَدَّقه من أمته إلا رجل واحد»**[(١)].

وقد قال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع**»[(٢)]. وقال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**»[(٣)].

ومن حديث أبي بكر الصديق في الشفاعة أن عيسى عليه السلام يقول للناس إذا أتوه يستشفعونه: «انطلِقوا إلى سيد ولد آدم» وفيه أن النبي ﷺ يقول في دعاء شفاعته: «**رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر**»[(٤)].

* وقال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[(٥)].

**وفي معنى (ولا فخر) قال ابن الجوزي:** قال ابن الأنباري: المعنى: لا أتبجح بهذه الأوصاف، وإنما أقولها شكرًا لربي ومنبهًا أمتي على إنعامه عليَّ، وقال ابن عقيل[(٦)]: إنما نفى الفخر الذي هو الكِبْر الواقع في النفس المنهي عنه الذي قيل فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [لقمان: ١٨]، ولم ينفِ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١/ ١٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٧٨٢).

(٣) أخرجه البخاري، انظر: «صحيحه مع الفتح» (٨/ ٣٩٥)، ومسلم (١/ ١٨٤).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٥)، والبزار، انظر: «كشف الأستار» (٤/ ٦٩(٧٠)، قال الهيثمي: «وأبو بعلى» وقال: «ورجالهم ثقات». «المجمع» (١٠/ ٣٧٥).

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨١)، و(٣/ ٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤٤٠)، والترمذي (٥/ ٥٤٨)، وانظر: «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٣٨٢)، و«عارضة الأحوذي» (١٣/ ١٠٢، ١٠٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورمز السيوطي لحسنه في «الجامع» (١/ ١٠٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٢١).

(٦) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، أبو الوفاء، شيخ الحنابلة في عصره، اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته (ت ٥١٣ هـ). انظر: «طبقات الحنابلة» «الذيل» (٤/ ١٤٢)، و«لسان الميزان» (٤/ ٢٤٣).

فخر التجمل بما ذكره من النعم التي بمثلها يُفتخر، ومثله قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] يعني الأشرين، ولم يرد الفرح بنعمة الله تعالى»[1].

وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ فأمر سبحانه بالفرح بفضله.

وظاهر من النصوص أوجه تفضيله ﷺ على الأنبياء: فبعثه إلى الناس كافة، وشريعته أكمل الشرائع، وهو أعظم الناس أمة، وختم الله به النبوات... إلى غير ذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلام، فهو أكثر الأنبياء آيات، وقد ذُكر أن آياته ﷺ تبلغ ألفًا أو أكثر[2].

وقد نحا بعض أهل العلم إلى المفاضلة بين معجزاته ﷺ ومعجزات الأنبياء مبينًا في كل معجزة لنبي أن نبينا أُوتي خيرًا منها[3].

**ولقد أجمعت الأمة على أنه ﷺ أفضل الخلق[4]، وهو في كلام الأئمة سلفًا وخلفًا كثير.**

فمن ذلك ما نُقل من عقيدة الإمام أحمد إمام أهل السنة أنه (كان يعتقد أن محمدًا ﷺ خير الرسل وخاتم النبيين والشهيد على الجميع)[5]. وأنه (كان يقول: إن بعض النبيين أفضل من بعض، ومحمد ﷺ أفضلهم)[6].

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ١٨٣)، وانظر: «فيض القدير» (٣/ ٤٢).

(٢) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٥٠٠)، و«الكشاف» (١/ ١٥١).

(٣) كما فعل أبو نعيم في «الدلائل» (ص٥٣٧-٥٦٤).

(٤) انظر: «تفسير الرازي» (٦/ ١٩٥)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٧)، و«الشفا» (١/ ٢٢٦).

(٥) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٧٩).

(٦) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٠٦).

وعَقَد النووي في شرح صحيح الإمام مسلم بابًا قال: (باب تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق)[١].

وعَقَد الآجري[٢] بابًا في كتابه «الشريعة» فقال: (باب ذكر ما فَضَّل الله ﷻ به نبينا ﷺ في الدنيا من الكرامات على جميع الأنبياء)[٣].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي[٤] في عقيدته: (فصل: ونعتقد أن محمدًا المصطفى خير الخلائق وأفضلهم وأكرمهم على الله ﷻ، وأعلاهم درجة وأقربهم إلى الله وسيلة)[٥].

ومما ينبغي أن يُعلم أن ما اختص به بعض الأنبياء من الفضائل لا يقتضي أفضليته على صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، صلوات الله وسلامه عليه؛ فإن المفضول يجوز أن يختص بما ليس للفاضل من غير أن يفضله بما اختص به.

وقد وقع نحو هذا في نبينا ﷺ وبعض أتباعه من الصحابة رضوان الله عليهم وهم دون الأنبياء في الفضل.

فهذا عمر رضي الله عنه أخبره النبي ﷺ أن الشطيان ينفر منه، قال ﷺ: «**والذي**

---

(١) (١٥/ ٣٧).

(٢) هو محمد بن الحسين، أبو بكر، كان حافظًا، صنف كتبًا في علوم الحديث، (ت٣٦٠هـ) انظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٤٣).

(٣) «الشريعة» (٤٩٨).

(٤) هو عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي المقدسي، حَدَّث وصَنَّف في الحديث تصانيف حسنة، كان عابدًا ورعًا متمسكًا بالسنة، (ت٦٠٠هـ)، انظر: «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٧٢).

(٥) «عقيدة الحافظ المقدسي»، ضمن المجموعة العلمية السعودية (ص٥٢).

**نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»**[١]، وعَرَض الشيطان له ﷺ في صلاته ولم ينفر منه كما في حديث أبي هريرة[٢].

قال القرافي في هذا: (وأين عمر من النبي عليه السلام؟! غير أنه يجوز أن يحصل للمفضول ما لا يحصل للفاضل).

قال: (ومن ذلك أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أفضل من الملائكة على الصحيح، وقد حصل للملائكة المواظبة على العبادة مع جميع الأنفاس، يُلهم أحدهم التسبيح كما يلهم أحدنا النَّفَس... إلى غير ذلك من الفضائل والمزايا التي لم تحصل للبشر.

ومع ذلك فالأنبياء أفضل منهم؛ لأن المجموع الحاصل للأنبياء من المزايا والمحاسن أعظم من المجموع الحاصل للملائكة، فمن استقرى هذا وجده كثيرًا).

إلى أن قال: (فعلى هذه القاعدة تخرجت الإقامة والأذان، وأن من خواصهما التي جعل الله تعالى لهما أن الشيطان ينفر منهما دون الصلاة، وأن الصلاة أفضل منهما، ولا تناقض في ذلك بسبب أن المفضول يجوز أن يختص بما ليس للفاضل)[٣].

**فالحاصل أن نبينا ﷺ أفضل الخلائق ولا يُلتفت إلى غير هذا، وقد زعم قوم أنه ﷺ لم يكن أفضل من إبراهيم ولا نوح ولا من آدم عليه السلام لأن الثلاثة آباؤه، وامتنعوا من تفضيل الابن على الأب، وفَضَّلوه على كل نبي لم يكن أبًا له**[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، انظر: الصحيح مع الفتح (٧/ ٤١)، ومسلم (٤/ ١٨٦٤).

(٢) انظره في صحيح البخاري مع الفتح (٦/ ٤٥٧).

(٣) «الفروق» (٢/ ١٤٤-١٤٦).

(٤) انظر «أصول الدين» (ص١٦٥).

**قال البغدادي:** وقياسهم يقتضي ألا يكون أفضل من إدريس ولا من إسماعيل لأنهم أبواه[١]. ولم ينصوا عليها، فهم ينطقون عن جهل وسفه. وكذا يقتضي قياسهم أن يكون الأب الكافر المخلد في النار خيرًا من الابن المؤمن المخلد في الجنة، كمن نزل فيهم قوله سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾ [المجادلة: ٢٢].

## المبحث العاشر: في تفاضل أحوال النبي الفرد

لا شك أن أحوال النبي الفرد متفاضلة؛ فالنبي بعد النبوة خير منه قبل النبوة، هذا في الجملة، قال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧] أي أنه كان عليه الصلاة والسلام لا يدري القرآن والشريعة ولا يعلم عن أمر النبوة حتى هداه الله إلى ذلك[٢] كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] وكما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ٣].

ثم أحوال النبي بعد النبوة متفاضلة ولا شك، ومن شواهد ذلك أن الله قد ذكر في كتابه ذنوبًا وقعت من بعض الأنبياء، وذكر مع ذلك توبتهم صلوات الله وسلامه عليهم، كما قال سبحانه في آدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، ونحو ذلك مما ورد عن نوح

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر «تفسير البغوى» (٤/ ٤٩٩)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٩٦، وما بعدها).

وداود وغيرهما، ولا شك أن حال التوبة والإنابة أفضل من الحال الأخرى كما ذكر ابن تيمية قول بعض السلف: كان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة[1]

وما من شك أن حال تلقي الوحي أشرف من غيرها من الأحوال؛ ولذلك كان يعتريه في غيرها حتى قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصَمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»[2].

ولا شك أن حاله بعد تتابع الوحي واعتياده له أفضل من حاله في أوائل البعثة، وقد رجف فؤاده عليه الصلاة والسلام ورعب من جبريل يوم نبئ عَلَيْهِ السَّلَامُ ويوم أرسل[3].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ»[4].

فهذا نص في تفاضل أحواله ﷺ حال النبوة.

❊ ❊ ❊

(١) انظر «الفتاوى» (١٠/ ٢٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في أول صحيحه، انظره مع الفتح (١/ ١٨)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٠٣)، وانظر صحيح مسلم (٤/ ١٨١٦).

(٣) انظر صحيح البخاري مع الفتح (١/ ٢٢)(٢٧)، وصحيح مسلم (١/ ١٣٩- ١٤٣).

(٤) أخرجه البخاري، انظر «صحيحه مع الفتح» (١/ ٣٠)، ومسلم (٤/ ١٨٠٣).

## المبحث الحادي عشر:
## توجيه النهي الوارد في التفضيل بين الأنبياء

تبين مما تقدم أنه لابد من اعتقاد التفاضل بين الأنبياء، واعتقاد فضل الرسل على الأنبياء، وفضل أولي العزم على بقية الرسل. وفضل محمد ﷺ على سائر الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ لقيام الأدلة الشرعية الصحيحة على ذلك.

**وقد ثبت عن النبي ﷺ نهيه عن التفضيل بين الأنبياء، ونهيه عن تفضيله خاصة على بعض الأنبياء.**

**وفي هذا إشكال يظهر لناظره ويزول لمتأمله، وقد خرج العلماء وجوهًا من القول في توجيه ذلك النهي.**

أما ما ورد عن النبي ﷺ فقد قال: «**لا تخيروا بين الأنبياء**» وفي رواية: «**لا تفضلوا بين الأنبياء**» وهو واقع في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس جاء يهودي فقال: يا أبا القاسم، ضرب وجهي رجل من أصحابك!! فقال: «**أضربته؟**» قال: سمعته بالسوق يحلف: والذي اصطفى موسى على البشر. قلت: أيْ خبيثُ، على محمد ﷺ؟! فأخذتني غضبة، ضربت وجهه، فقال النبي ﷺ: «**لا تخيروا بين الأنبياء...**» الحديث [(١)] وفي رواية: «**لا تخيروني بين الأنبياء**»[(٢)] وفي رواية: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله**»[(٣)] وروى القصة أبو هريرة بنحوه إلا أنه قال: «**لا تخيروني على**

(١) **متفق عليه:** انظره في البخاري مع الفتح (٥/ ٧٠)، ومسلم (٤/ ١٨٤٤).

(٢) أخرجها البخاري، انظر: «صحيحه مع الفتح» (٨/ ٣٠٢)، و(١٢/ ٢٦٣).

(٣) أخرجها البخاري، انظر: «صحيحه مع الفتح» (٦/ ٤٥٠)، ومسلم (٤/ ١٨٤٤).

**موسى»**[١].

وفي حديث ثانٍ قال ﷺ: «**لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**»[٢].

**إلا أن النهي في هذا الحديث يحتمل التأويل على وجهين:**

**الأول:** أن يكون المراد بقوله: (أنا): رسول الله ﷺ.

قال الخطابي[٣]: (وهذا أول الوجهين وأشبههما بمعنى الحديث، فقد جاء في غير هذا الطريق أنه ﷺ قال: «**ما ينبغي لنبي أن يقول: إني خير من يونس بن متى**» فعم الأنبياء كلهم فدخل هو في جملتهم)[٤].

**الثاني:** أن يكون إنما أراد ﷺ بقوله: «**لا ينبغي لعبد**»: مَن سواه من الناس، أي: لا ينبغي للعبد القائل أن يقول ذلك[٥].

---

(١) **متفق عليه:** انظره في البخاري مع الصحيح (٥/ ٧٠)، ومسلم (١٨٤٤).

(٢) **متفق عليه:** من حديث ابن عباس انظر: صحيح البخاري مع الفتح (٦/ ٤٥٠)، ومسلم (٤/ ١٨٤٦).

(٣) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُستي، أبو سليمان، فقيه محدث، ولي القضاء فحُمد فيه، (ت ٣٨٨ هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٣-٢٨).

(٤) «معالم السنن، بهامش المختصر» (٧/ ٤٢).

والحديث بهذا اللفظ أخرجه أبو داود في «سننه» (٤/ ٢١٧) من حديث عبد الله بن جعفر. وفي سنده محمد بن إسحاق بن يسار، وهو من المشهورين بكثرة التدليس انظر: «تبيين المدلسين» (ص٤٧) و«تعريف أهل التقديس» (ص١٢١). فلا يُحتج إلا بما صرح فيه بالسماع وقد روى هنا بالعنعنة فلا يُحتج به. وأخرج هذا اللفظ الطبراني أيضًا من حديث عبد الله بن جعفر كما في «فتح الباري» (٦/ ٤٥١).

(٥) انظر: «معالم السنن» (٧/ ٤١)، و«فتح الباري» (٨/ ٢٦٧)، و«تحفة الأحوذي» (١/ ٥٤٢) و(٩/ ١١٩).

**وقد دل على أن هذا هو الأَوْلى في معنى الحديث جملة من ألفاظ الحديث في عدد من رواياته في الصحيحين:**

ففي رواية: «**لا أقول أحد أفضل من يونس بن متى**»(١) وفي رواية: «**من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب**»(٢) فلا يصح مع قوله: «فقد كذب» أن يكون المراد رسول الله ﷺ.

وفي رواية يقول ﷺ: «**قال ـ يعني الله تبارك وتعالى ـ: لا ينبغي لعبدٍ لي (وفي لفظ: لعبدي) أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**»(٣). فقوله: «لعبدٍ لي» يمنع أن يكون المراد رسول الله ﷺ خاصة.

والحاصل أن في الحديثين ينهى رسول الله ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء، وعن تفضيله على موسى ويونس خاصة. على حمل الحديث في يونس على أن النبي ﷺ هو المراد. وهو ﷺ أفضل منهما ومن سائر الأنبياء وجميع الخلق قطعًا كما تقدمت الدلائل عليه من الكتاب والسنة والإجماع، وفي هذا إشكال ظاهر.

**وقد وَجَّه العلماء ذلك النهي لإزالة الإشكال على أقوال متعددة، منها:**

١- أن النهي ورد قبل أن يعلم النبي ﷺ أنه سيد ولد آدم وأفضل الأنبياء، فلما علم أخبر به، وأن النهي عن التفضيل منسوخ بالقرآن(٤).

---

(١) **متفق عليه:** انظر البخاري مع الفتح (٦/ ٤٥١)، ومسلم (٤/ ١٨٤٤).

(٢) أخرجها البخاري، انظر: الصحيح مع الفتح (٨/ ٢٦٧ و٥٤٣).

(٣) أخرجها مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٨٤٦).

(٤) انظر: «الشفا» (١/ ٢٢٦)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٢٦٢)، و«شرح النووي لمسلم» (١٤/ ٣٨)، و«فتاوي النووي» (ص١٩٦)، و«فتح الباري» (٦/ ٤٥٢)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٥).

إلا أن في هذا القول نظرًا كما يقول ابن كثير، قال: (لأن هذا من رواية أبي سعيد وأبي هريرة[١]، وما هاجر أبو هريرة إلا عام حنين متأخرًا، فيبعد أنه لم يعلم بهذا إلا بعد هذا والله أعلم)[٢].

وهو كما قال، بل القول بالنسخ مردود؛ فإن التفاضل بين الأنبياء وفضل أولي العزم من الرسل منهم وتفضيله ﷺ على يونس، كل ذلك قد ورد في الآيات المكية في سورة الإسراء والأحقاف والقلم وقصة حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقعت في المدينة، وكذلك الحديث الآخر في يونس عليه السلام ورد من رواية أبي هريرة وابن عباس، وابن عباس من صغار الصحابة، توفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقد ورد أيضًا من رواية عبد الله بن مسعود.

٢- أن النهي من باب التواضع وهضم النفس ونفي الكِبْر والعُجْب[٣].

قال القاضي عياض: (وهذا لا يَسْلَم من الاعتراض)[٤].

وهذا التوجيه لا يتناسب مع قوله ﷺ: «**فقد كذب**» في رواية: «**من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب**». إن حُمل الحديث على أن المراد به مَن سواه ﷺ، فإن لهذا التوجيه وجهه، خاصة مع قوله ﷺ: «**إن الله أوصى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**»[٥] ويكون مناسبًا

---

(١) يعني حديث قصة لطم الأنصار لليهود المتقدم ذكرها.

(٢) «البداية والنهاية» (١/ ٢٨٥).

(٣) انظر: «تأويل مختلف الحديث» (ص٧٩)، و«الشفا» (١/ ٢٢٧)، و«شرح صحيح مسلم» للنووي (١٤/ ٣٨)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٢٦٢)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٥)، و«فتح الباري» (٦/ ٤٥٢)، و«معالم السنن بهامش المختصر» (٧/ ٤١).

(٤) «الشفا» (١/ ٢٢٧).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢١٩٩).

أيضًا مع قوله ﷺ: «**ولا فخر**» في حديث «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» المتقدم ذكره.

٣- أن النهي عن تعيين المفضول، أما تفضيل بعضهم على بعض في الجملة دون تعيين المفضول فهو دلالة النصوص.

قاله ابن عطية[١] واستشهد له بقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**» بإطلاق دون تعيين.

ونقل القرطبي قول من قال: «إن النهي اقتضى منع إطلاق اللفظ لا منع اعتقاد ذلك المعنى، فإن الله أخبر بأن الرسل متفاضلون، فلا تقول: نبينا خير من الأنبياء، ولا من فلان النبي؛ اجتنابًا لما نهى عنه وتأدبًا به وعملًا باعتقاد ما تضمنه القرآن من التفضيل»[٢].

إلا أن في هذا التوجيه نظرًا فالله ﷻ لما أخبر أنه فَضَّل بعض النبيين على بعض في آية سورة الإسراء، وبعض الرسل على بعض في آية البقرة، جعل يعين في الآيتين بعض المتفاضلين ويذكر بعض الوجوه التي فُضلوا بها، فعمم ثم خص كما هو ظاهر من لفظ الآيتين وقد تقدم ذكرهما مرارًا[٣].

وقد عَيَّن الله ﷻ أولي العزم بالذكر وفَضَّلهم على بقية الأنبياء - كما تقدم-، والرسل أفضل من الأنبياء كما دل عليه الدليل واتفق عليه العلماء، فالرسول أفضل من النبي، وفي هذا تعيين كما هو ظاهر، أما الإجمال في

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٢٧٠).

وابن عطية هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، مفسر فقيه أندلسي، (ت ٥٤٢ هـ). انظر: «الأعلام» (٣/ ٢٨٢)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ٩٣).

(٢) «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٦٢).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٦٤).

قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**» فهو دال على التعيين أيضًا، إذ ثبوت كونه ﷺ أفضل من الأنبياء جملة دليل كونه أفضل من كل واحد منهم مفصلًا، هذا مع قيام دليل على التعيين، فلقد استدل العلماء بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] على أن النبي ﷺ أفضل من يونس، وهذا شاهد على التعيين.

**فالمراد بالنهي إذًا غير هذا الوجه.**

٤- أن المراد بالنهي المنع من التفضيل من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها فهم متساوون، فيها وإنما التفاضل بالخصائص والمِحن ونحوها[١].

قال القرطبي: (وهذا قول حسن؛ فإنه جمع بين الآيات والأحاديث من غير نسخ)[٢].

**وقال ابن قتيبة في حديث: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»:** (ويجوز أن يريد: لا تفضلوني عليه في العمل فلعله أكثر عملًا مني، ولا في البلوى والامتحان فإنه أعظم مني محنة)[٣].

٥- أن المراد بالنهي منع التفضيل من عند أنفسنا لأن مقام التفضيل إنما هو إلى الله[٤].

ورُوي عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ أنه كان يمنع من المفاضلة بين الأنبياء مع

---

(١) انظر: «الشفا» (١/ ٢٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٢٦٢)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤/ ٣٨)، و«فتاوى النووي» (١٩٦)، و«عون المعبود» (١٢/ ٤٢٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٦٢).

(٣) «تأويل مختلف الحديث» (٧٩).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٥)، و«عون المعبود» (١٢/ ٤٢٤).

قوله بأن بعضهم أفضل من بعض ولأن محمدًا أفضلهم لكنه يقول: ليس تعيين التفضيل إلى أحد منا[١].

٦- أن المراد بالنهي منع التفضيل بمجرد الآراء والعصبية[٢]. وهذا قد يؤول إلى سابقه.

٧- أن المراد بالنهي منع التفضيل الذي يؤدي إلى الخصومة والتشاجر[٣] وذلك في مثل الحال التي تحاكم فيها اليهودي مع الأنصاري عند النبي ﷺ، كما في حديث أبي سعيد وأبي هريرة فهذا التوجيه ملائم لسبب ورود الحديث.

٨- أن المراد بالنهي منع التفضيل الذي يؤدي إلى توهم النقص في المفضول أو الغض منه والإزراء به[٤].

قال الخطابي في النهي الوارد: (معنى هذا ترك التخيير بينهم على وجه الإزراء ببعضهم؛ فإنه ربما أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم والإخلال بالواجب من حقوقهم ويفرض الإيمان بهم، وليس معناه أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم فإن الله سبحانه قد أخبر أنه قد فاضل بينهم)[٥].

وممن قال بهذا التوجيه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وعليه حمل حديث أبي سعيد وأبي

---

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٠٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٥).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ٣٨)، و«فتاوى النووي» (١٩٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٥).

(٤) انظر: «الشفا» (١/ ٢٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٢٦٢)، و«شرح مسلم» للنووي (١٤/ ٣٨)، و«فتاوى النووي» (١٩٦).

(٥) «معالم السنن. بهامش مختصر سنن أبي داود» (٧/ ٣٨، ٣٩).

هريرة المذكور[١].

وهو لائق بحديث: «ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى».

فقد ذكر أهل العلم أنه إنما خص يونس عليه السلام بالذكر لما يُخشى على مَن سمع ما قصه الله علينا من شأنه وما كان من قلة صبره، نهي نبينا عليه الصلاة والسلام عن أن يكون مثله - من أن يقع في نفسه تنقيص له، فبالغ ﷺ في ذكر فضل يونس عليه السلام لسد هذه الذريعة[٢]. إلا أن هناك من خرج بهذه العلة للنهي عن حدها فأطلق حكم النهي لمطلق هذه العلة، فجعل النهي مطلقًا لهذه العلة، فقال كما نقل القرطبي: (فلا يقال: النبي أفضل من الأنبياء كلهم ولا من فلان ولا خير، كما هو ظاهر النهي لما يتوهم من النقص في المفضول؛ لأن النهي اقتضى منه إطلاق اللفظ لا منع اعتقاد ذلك المعنى، فإن الله تعالى أخبر بأن الرسل متفاضلون، فلا تقول: نبينا خير من الأنبياء ولا من فلان النبي اجتنابًا لما نهى عنه وتأدبًا به وعملًا باعتقاد ما تضمنه القرآن من التفضيل)[٣].

وظاهر هذا الكلام أن المراد من النهي - عند قائله - هو مع تعيين المفضول، لا تفضيل بعض النبيين على بعض في الجملة كما في آخر النقل، وهذا مرده إلى القول الذي ذكرناه برقم (٣)، ثم جعل العلة من عدم تعيين المفضول هي دفع توهم نقص المفضول كما في أول النقل، وظاهر هذا جعل تعيين المفضول موهمًا نقصه، هكذا بهذا الإطلاق وهو خطأ،

---

(١) انظر: «الفتاوى» (١٤/ ٤٣٦).

(٢) انظر: «الشفا» (١/ ٢٢٧)، و«معالم السنن. بهامش المختصر» (٧/ ٤١)، و«فتح الباري» (٦/ ٤٥٢).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٦٢).

ويكفي في الجواب عن القول بألا يقال النبي أفضل من الأنبياء أن يورد حديث أبي هريرة في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**فُضلت على الأنبياء بست...**» الحديث[1]. والله أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) سبق تخريجه، وهو في «صحيح مسلم».



# الباب الثالث
# وظائف الرسل وحاجة البشرية إلى الرسل والرسالات

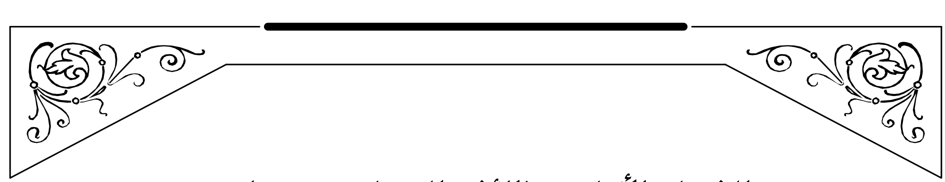
الفصل الأول: وظائف الرسل ومهماتهم.

الفصل الثاني: حاجة البشرية إلى الرسل والرسالات.

الفصل الثالث: الوحي.







## الفصل الأول: وظائف الرسل ومهماتهم

لقد اصطفى الله تعالى رسله للقيام بوظائف محددة باعتبارهم سفراء الله تعالى إلى عباده وحملة وحيه.

**وتتمثل هذه الوظائف في الآتي(١):**

### ١- البلاغ المبين:

هذه الوظيفة بالضرورة هي المهمة الأساسية للرسل؛ إذ ما بعثهم الله تعالى إلا لإبلاغ الناس ما نزل إليهم من ربهم. وقد جاء في القرآن الكريم ثلاث عشرة آية تنص على أن مهمة الرسول إنما هي (البلاغ) وقال الله تعالى آمرا رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧] والبلاغ يحتاج إلى الشجاعة وعدم الخوف من الناس؛ لأن الرسول يأتي بما يخالف أهواء الناس ويهدد مركز قادتهم وكبرائهم المسيطرين على الناس بالباطل ويأمرهم بما يستنكرون ويكرهون لأنه خلاف ما اعتادوه.

لذلك امتدح الله تعالى رسله قائلًا: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ [الأحزاب: ٣٩]. والرسول في بلاغه لرسالات الله تعالى مؤتمن في أدائه، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها ولو كان الأمر متعلقًا به شخصيًّا، وأوضح مثال على ذلك ما تكرر في القرآن الكريم من عتاب للنبي

(١) «الحاجة إلى الرسل» (ص: ٣٣، بترقيم الشاملة آليًّا).

ﷺ في أكثر من موقف، من ذلك إعراضه ﷺ عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى الذي جاءه يسأله في أمور دينه فأعرض عنه النبي ﷺ منشغلًا بدعوة بعض كبراء قريش، فعاتبه الله تعالى في ذلك بقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١، ٢](1).

### ٢- دعوة الناس إلى الدين الحق ببيان ما يجب عليهم:

هذه الوظيفة تُعد من كمال البلاغ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] لأنه الذي يبين للناس الحق من الباطل ويدعوهم لاتباع الحق. وأعظم الحقائق التي دعت إليها الرسل جميعًا: توحيد الله تعالى وإفراده بالخلق والمُلْك والتدبير والعبادة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقد ذكر الله تعالى أن الرسل قالوا لأقوامهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

كما أن الرسل عليهم السلام يقومون بتعريف الناس بإلههم الواحد الأحد وصفاته، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم بأوجز عبارة في سورة الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

ويقوم الرسل بتصحيح كل ما يخالف هذا الاعتقاد في الله تعالى، مثل جعل شريك له في مُلْكه أو خلقه أو عبادته أو جعل صاحبة له أو جعل ولد له أو نسبة البنات إليه، وقد قال المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لقومه: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ

(١) «الحاجة إلى الرسل» (ص: ٣٤، بترقيم الشاملة آليًّا).

وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] ولما طلب قوم موسى منه أن يجعل لهم إلهًا مثل الآلهة الصنمية التي رأوها عند المشركين، قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨- ١٤٠].

وإضافة إلى ذلك فإن الرسل يقومون بتعليم الناس شئون عباداتهم وشعائرهم من صلاة وصيام وحج وزكاة وغير ذالك وأحكام هذه العبادات(١).

### ٣- تذكير الناس باليوم الآخر والإيمان به وما يتعلق بما بعد الموت من شدائد وأهوال، وتحويل اهتمام الناس من الحياة الفانية إلى الحياة الباقية وهي الآخرة.

قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠-١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

---

(١) بتصرف يسير من كتاب «الحاجة إلى الرسل» (ص: ٣٩، بترقيم الشاملة آليًّا).

### ٤- يفسرون ويؤولون كتب الله ويبينون للناس ما أبهم عليهم منها:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

### ٥- التبشير والإنذار:

إن الحياة الدنيا دار عمل ومزرعة للآخرة، وقد أرسل الله تعالى رسله وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وقد بَيَّن الله تعالى أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] ولما أنزل الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض هو وإبليس قال: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

فلما كانت الغاية الأساسية من وجود الإنسان في حياته الدنيا هي طاعة أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه وكانت رسل الله تعالى هي المبينة لتلك الأحكام والمبلغة عن الله تعالى؛ لزم أن تكون من مهام الرسل الكرام عليهم السلام مهمة التبشير لمن اتبع أوامر الله تعالى بالفوز الكبير في الدنيا والآخرة، والإنذار لمن خالف أوامره بالوعيد الشديد والعذاب الأليم في الآخرة؛ حتى تقوم الحجة على الناس كما قال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وقال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

وهذه الوظيفة تقتضيها حكمة الله تعالى وكمال عدله ولطفه بعباده؛ إذ إنه لا يتركهم سدى حتى يبين لهم ما يتقون، فلا يؤخذون على حين غرة وغفلة، بل كما قال الله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ

عَنۢ بَيِّنَةٍۗ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ومن كمال رحمته وعدله أنه تكفل ببيان صنوف النعيم وألوان المتع التي أعدها لعباده المؤمنين، كما بَيَّن أنواع العذاب المهلك التي أعدها للمجرمين الكافرين(١).

### ٦- ينفذون دين الله ويطبقونه بكل دقة لتقتدي بهم أممهم وتسير على نهجهم:

قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] (أي: قدوة حسنة).

### ٧- إصلاح النفوس وتزكيتها:

الله رحيم بعباده، ومن رحمته أنه يحيى نفوسهم بوحيه، وينيرها بنوره، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

والله يخرج الناس بهذا الوحي الإلهي من الظلمات إلى النور، ظلمات الكفر والشرك والجهل إلى نور الإسلام والحق: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقد أرسل الله رسله بهديه ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ٥]، وبدون هذا النور تعمى القلوب ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وعماها ضلالها عن الحق وتركها لما ينفعها وإقبالها على ما يضرها ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ﴾ [الفرقان: ٥٥].

---

(١) المصدر السابق (ص: ٤٢، بترقيم الشاملة آليًّا).

وإخراج الرسل الناس من الظلمات إلى النور لا يتحقق إلا بتعليمهم تعاليم ربهم وتزكية نفوسهم بتعريفهم بربهم وأسمائه وصفاته، وتعريفهم بملائكته وكتبه ورسله، وتعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، ودلالتهم على السبيل التي توصلهم إلى محبته، وتعريفهم بعبادته ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢] رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ [البقرة: ١٢٩][1].

## ٨- الرسل يتلقون الوحي والعلم والدين عن الله ﷻ على الوجه والكيفية التي يختارها الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

## ٩- تقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة.

لقد خلق الله تعالى عباده حنفاء، ولكن جاءتهم الشياطين فاجتالتهم وانحرفوا عن الفطرة السليمة التي كانوا عليها، ولا تزال شياطين الجن والإنس يزينون لهم الباطل ويثيرون فيهم الشُّبه والضلالات؛ ولأجل ذلك يرسل الله تعالى رحمة منه رسله كلما زاغ الناس عن الطريق المستقيم، قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣] أي: كان الناس أمة واحدة على التوحيد والإيمان وعبادة الله تعالى وحده، فاختلفوا فأرسل الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين.

**الانحراف على الصراط المستقيم يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان:**

فنوح عليه السلام أنكر على قومه عبادة الأصنام التي كانت عامة فيهم.

---

(١) «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص: ٥٠).

وكذلك إبراهيم عليه السلام إضافة إلى أنه أنكر على قومه الاستعلاء في الأرض والتجبر فيها.

وصالح عليه السلام أنكر على قومه الفساد في الأرض واتباع المفسدين.

ولوط عليه السلام حارب الشذوذ الجنسي المتفشي في قومه.

وشعيب عليه السلام قاوم جريمة الإفساد الاقتصادي المتمثل في تطفيف المكيال والميزان.

وموسى عليه السلام وقف في وجه النزعة المادية التي انحرف إليها بنو إسرائيل.

ولما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد جاءت رسالته عامة شاملة لكل أسس التقويم والهداية التي جاءت في الكتب السماوية وزائدة عليها حتى تكون صالحة لكل زمان ومكان، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقد جاءت رسالة الإسلام - حتى تناسب ختم الرسالات - جاءت مرنة تصلح لكل زمان ومكان.

وبيان ذلك أن العقائد والعبادات في الإسلام جاءت بها نصوص قطعية مفصلة ثابتة لا تقبل التبديل ولا التعديل؛ لأن العقائد والعبادات في ذاتها لا تتبدل بتبدل الزمان ولا تختلف باختلاف الأعراف، كما أن هيئات العبادات مناسبة لكل البشر في جميع العصور.

أما الأوضاع الدستورية والمعاملات المادية والأحوال الإدارية التي يؤثر فيها تبدل الزمان والمكان واختلاف الأعراف، فقد جاءت بها نصوص عامة كأسس ودعائم بينما ترك لاجتهاد الناس أن يضعوا فيما يتعلق بها أحكامًا لكل زمان ما يصلح له ويناسبه بشرط المحافظة على هذه القواعد.

وسبب آخر لختم الرسالات بالإسلام هو أن الأمم على عهد الرسل الأولين كانت تعيش في عزلة لا تقارب بينها ولا اتصال إلا على الوسائل البدائية، لكن الوضع تغير كثيرًا بعد رسالة محمد ﷺ فأصبحت المسافات مطوية والاتصال الأممي واقع - لا سيما في العهود المتأخرة- مما جعل حمل الرسالة إلى جميع من في الأرض متاحًا، فاقتضت حكمة الله تعالى ختم الرسالات بالإسلام كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣][(١)].

### ١٠- توضيح وتبيين معاني وأحكام ما أُنزل على الرسول من شرائع وأوامر:

فالنصوص التي التي تنزل على الرسل تكون ذات طابع شمولي وعام وتختزن الكليات الدستورية، وكل هذا الأمر بحاجة إلى تبيين وتوضيح، فكان الرسول مبيّنًا وشارحًا لتلك النصوص المنزَّلة للناس ولمدلولاتها وإشارتها قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

### ١١- إقامة الحجة:

هنا أ صل لا بد من بيانه وهو أنه قد دلت النصوص على أن الله لا يعذب إلا من أرسل إليه رسولًا تقوم به الحجة عليه.

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى

(١) «الحاجة إلى الرسل» (ص: ٤٦، بترقيم الشاملة آليًّا).

لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٥].

وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالى عن أهل النار: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الملك: ٨، ٩].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١]

وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [القصص: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩] إلى قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [القصص: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ١٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة: ١٩](١).

## ١٢- هداية الناس الذين أُرسلوا إليهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم:

هذه وظيفة مهمة، فالرسول في أمته هادٍ ومعلم لهم ومرشدهم إلى طريق الخير.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال تعالى في شأن خاتم الأنبياء والرسل ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وورد في الحديث الشريف قول رسول الله ﷺ: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم**» من حديث طويل رواه مسلم.

## ١٣- تدبير شئون الأمة عامة وسياسة أمرها:

إن المؤمنين بالرسل يكونون جماعة وأمة، والجماعة لا يستقيم لها أمر إلا أن تكون تحت إمرة زعيم تدين له بالطاعة وتوكل إليه تدبير شئونها ورعاية مصالحها وتحقيق غاياتها وأهدافها، ولما كان الرسول هو رمز الأمة وهاديها في شئون دينها إلى ربها؛ لزم أن يكون قائدها في شئون دنياها حتى لا تنفصم عراها وتوهن قواها بالصراع الموهوم بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، فالرسول يؤسس شئون الأمة جميعًا بهدى من الكتاب منير، كما قال الله تعالى لداود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (دار الفضيلة) (٢/ ٤٩٥).

بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩][1].

### ١٤- سياسة الأمة:

قال الله تعالى لداود عليه السلام: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال رسول الله ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي قام نبي**»[2]. وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩].

١- أنهم لا يعبرون بمواقفهم وسياستهم عن أهوائهم وتصوراتهم الخاصة، بل هم في ذلك منقادون لوحي الله تعالى العليم الخبير بشئون عباده، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤] وقال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠] فما يدعون الناس إليه من مُثُل وقيم ومبادئ وسلوك عملي ليسوا متأثرين برؤيتهم الشخصية كالزعماء والمصلحين العاديين ولا بالقصور البشري الذي يعتري أفهام البشر وسلوكهم.

٢- أنهم لا يتعاملون مع الحلول الجزئية والمشكلات الجزئية، وإنما

---

(١) «الحاجة إلى الرسل» بتصرف (ص: ٤٨، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

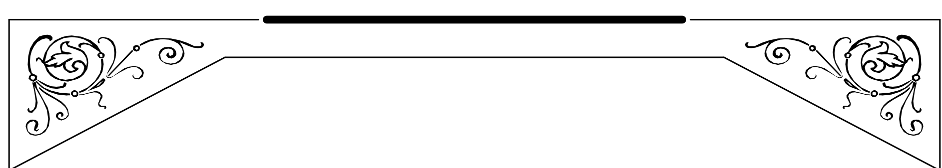
يتعاملون مع الجذور الأصلية العميقة ويبحثون عن مكان الداء لاجتثاثه من أصله فلا يعالجون المشاكل بمعزل عن مثيلاتها ومسبباتها بل ينظرون إلى الأمور نظرة كلية شاملة واضعين في اعتبارهم طبائع النفوس البشرية.

٣- إن الحلول التي يقدمها الرسل ليست حلولًا نظرية أو تصورات عقلية مجردة كما تفعل الفلاسفة، وإنما هي مناهج عملية مُنزلة من لدن حكيم خبير عليم بأحوال البشر والمجتمعات البشرية، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤] ولذلك قدم الرسل نماذج راقية في قيادة المجتمعات إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة.

وهذا النجاح مكفول لكل من سلك سبيل الأنبياء في هديهم وقيادتهم للأمم، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥][١].

* * *

(١) «الحاجة إلى الرسل» (ص: ٥٠، بترقيم الشاملة آليًّا).



## الفصل الثاني: حاجة البشرية إلى الرسل والرسالات

إن حاجة الناس إلى الرسل والرسالات أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب والدواء والهواء والتنفس الذي يدور بين جنبات الإنسان.

ثم إن الرسالات السابقة لرسالة محمد ﷺ كانت رسالات خاصة؛ كل رسول لقومه ولزمن معين (حيث كانت حياة البشرية في عصورها الأولى حياة محدودة المطالب؛ كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة، ويحمل إليهم من هدي السماء ما يرشدهم إلى صراط الله المستقيم وما يساعدهم على تقويم حياتهم الدنيا وفق هدي الله.

ودخلت البشرية في تطورها مع رسل الله المتتابعين إليها، حتى كان التهيؤ الكامل لما وصلت إليه البشرية من نفع وما حققته من جوانب الحضارة وما تيسر لها من أسباب الاتصال شرقًا وغربًا، ووصلت إلى ما وصلت إليه، فأذن الله ﷻ بفجر رسالة جديدة عالمية ختم بها الرسالات السماوية، إذ إنها الحق بأنها رسالة البشرية كافة فبُعث محمَّد ﷺ)[(١)][(٢)].

فالرسل والأنبياء هم رسل الله تعالى إلى عباده يبلغونهم أوامره، ويبشرونهم بما أعد الله لهم من النعيم إن هم أطاعوا أوامره، ويحذرونهم من العذاب المقيم إن هم خالفوا نهيه، ويقصون عليهم أخبار الأمم

---

(١) «سمو الإسلام وعالميته» محاضرة للشيخ مناع القطان.

(٢) «أهل الفترة ومن في حكمهم» (ص: ٤٧).

الماضية، وما حل بها من العذاب والنكال في الدنيا بسبب مخالفتها أمر ربها.

وهذه الأوامر والنواهي الإلهية لا يمكن أن تستقل العقول بمعرفتها؛ ولذلك شرع الله الشرائع وفرض الأوامر والنواهي تكريمًا لبني الإنسان وتشريفًا لهم وحفظًا لمصالحهم؛ لأن الناس قد ينساقون وراء شهواتهم فينتهكون المحرمات ويتطاولون على الناس فيسلبونهم حقوقهم، فكان من الحكمة البالغة أن يبعث الله فيهم بين آونة وأخرى رسلًا يذكرونهم أوامر الله، ويحذرونهم من الوقوع في معصيته، ويتلون عليهم المواعظ، ويذكرون لهم أخبار السابقين، فإن الأخبار العجيبة إذا طرقت الأسماع، والمعاني الغريبة إذا أيقظت الأذهان - استمدتها العقول فزاد علمها وصح فهمها، وأكثر الناس سماعًا أكثرهم خواطر، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرًا، وأكثرهم تفكرًا أكثرهم علمًا، وأكثرهم علمًا أكثرهم عملًا.

فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل ولا منهم في انتظام الحق بدل[١].

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية**[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، فالإنسان مضطر إلى الشرع لأنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه، وحركة يدفع بها ما يضره، والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، فهو نور الله في أرضه،

---

(١) «أعلام النبوة» تأليف علي بن محمد الماوردي (ص: ٣٣).

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الشهير بابن تيمية، وُلد عام واحد وستين وستمائة وتوفي عام ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة، وهو من كبار علماء الإسلام، له مصنفات كثيرة نفيسة.

وعدله بين عباده، وحصنه الذي مَن دخله كان آمنًا.

وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار بالحس، فإن ذلك يحصل للحيوانات، فإن الحمار والجمل يفرق ويميز بين الشعير والتراب، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده، والأفعال التي تنفعه في معاشه ومعاده؛ كنفع الإيمان والتوحيد والعدل والبر والإحسان والأمانة والعفة والشجاعة والعلم والصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجيران، وأداء الحقوق، وإخلاص العمل لله، والتوكل عليه، والاستعانة به، والرضا بمواقع أقداره، والتسليم لحكمه، وتصديقه وتصديق رسله في كل ما أخبروا به. . . وغير ذلك مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته، وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته.

ولولا الرسالة لم يهتدِ العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش.

فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مننه عليهم أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبَيَّن لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام وأشر حالًا منها، فمَن قَبِل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومَن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية، وأسوأ حالًا من الكلب والخنزير، وأحقر من كل حقير.

ولا بقاء لأهل الأرض إلا بآثار الرسالة الموجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت معالم هداهم؛ أخرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة.

وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب؛ بل أعظم من ذلك، وأشد حاجة

من كل ما يقدر ويخطر بالبال.

فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده.

وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمدًا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، فبعثه الله رحمة للعالمين، وحجة للسالكين، وحجة على الخلائق أجمعين وافترض على العباد طاعته ومحبته وتوقيره وتعزيره والقيام بأداء حقوقه، وأخذ العهود والمواثيق بالإيمان به واتباعه على جميع الأنبياء والمرسلين، وأمرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين.

أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فختم به الرسالة، وهدى به من الضلالة، وعَلَّم به من الجهالة، وفتح برسالته أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتآلفت بها القلوب بعد شتاتها، فأقام به الملة العوجاء، وأوضح به المحجة البيضاء، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمره.

أرسله ﷺ حين فترة من الرسل ودروس من الكتب، حين حُرف الكلم، وبُدلت الشرائع، واستند كل قوم إلى ظُلم آرائهم، وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم، فهدى الله به الخلائق وأوضح به الطرائق، وأخرج الناس به من الظلمات إلى النور، وميز به بين أهل الفلاح وأهل الفجور، فمن اهتدى بهديه اهتدى، ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدى، فصلى الله وسلم عليه وعلى سائر الرسل والأنبياء[١].

---

(١) «قاعدة في وجوب الاعتصام بالرسالة» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٩/ ٩٩- ١٠٢)، من مجموع الفتاوى، وانظر: «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٦١- ٢٦٣).

**ونستطيع أن نلخص احتياج الإنسان إلى الرسالة فيما يلي:**

١ - أنه إنسان مخلوق مربوب، ولا بد أن يتعرف على خالقه، ويعرف ماذا يريد منه؟ ولماذا خلقه؟ ولا يستقل الإنسان بمعرفة ذلك، ولا سبيل إليه إلا من خلال معرفة الأنبياء والمرسلين، ومعرفة ما جاءوا به من الهدى والنور.

٢ - أن الإنسان مكون من جسد وروح، وغذاء الجسد ما تيسر من مأكل ومشرب، وغذاء الروح قرره لها الذي خلقها، وهو الدين الصحيح والعمل الصالح، والأنبياء والمرسلون جاءوا بالدين الصحيح، وأرشدوا إلى العمل الصالح.

٣ - أن الإنسان متدين بفطرته، ولا بد له من دين يدين به، وهذا الدين لابد أن يكون صحيحًا، ولا سبيل إلى الدين الصحيح إلا من خلال الإيمان بالأنبياء والمرسلين والإيمان بما جاءوا به.

٤ - أنه محتاج إلى معرفة الطريق الذي يوصله إلى رضا الله في الدنيا، وإلى جنته ونعيمه في الدار الآخرة، وهذه طريق لا يرشد إليها ويدل عليها إلا الأنبياء والمرسلون.

٥ - أن الإنسان ضعيف بنفسه، ومتربص به أعداء كثر، من شيطان يريد إغواءه، ورفقة سوء تزين له القبيح، ونفس أمارة بالسوء؛ ولذا فهو محتاج إلى ما يحفظ به نفسه من كيد أعدائه، والأنبياء والمرسلون أرشدوا إلى ذلك وبينوه غاية البيان.

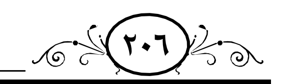
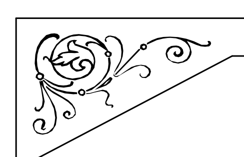
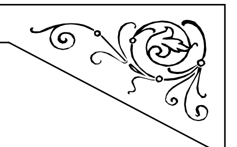
٦ - أن الإنسان مدني بطبعه، واجتماعه بالخلق ومعاشرته لهم لا بد لها من شرع ليقوم الناس بالقسط والعدل - وإلا كانت حياتهم أشبه بحياة الغابة - وهذا الشرع لا بد أن يحفظ لكل ذي حق حقه دون تفريط ولا إفراط، ولا

يأتي بالشرع الكامل إلا الأنبياء والمرسلون.

٧ - أنه محتاج إلى معرفة ما يحقق له الطُّمأنينة والأمن النفسي ويرشده إلى أسباب السعادة الحقيقية، وهذا هو ما يرشد إليه الأنبياء والمرسلون[١].

❊ ❊ ❊

(١) «الإسلام أصوله ومبادئه» (٢/ ٨٣).

# الفصل الثالث: الوحي

## المبحث الأول: حاجة الناس للوحي(١)

حاجة البشر إليه:

خلق الله ﷻ الإنسان في أحسن تقويم وركبه أحسن تركيب وجعله من:

١- جسد.

٢- وروح.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

وحين نتأمل في غذاء كل من هذين العنصرين (الروح والجسد) نجد أن:

الجسد خُلق من تراب وأن غذاءه من التراب (نبات أو حيوان يتغذى بالنبات). وأنه إذا مات يتحلل ويعود إلى التراب! ولذلك يتمنى الكافر يوم القيامة لو أنه بقي على أصله الترابي الأول فيقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

أما الروح فمن الله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

وإن كانت النسبة إضافة تشريف فلا بد أن يكون غذاؤها من الله وليس

(١) «دراسات في علوم القرآن» - فهد الرومي (ص: ١٧١- ١٧٤).

من التراب ولا من خلق من التراب، فإن التزمت بالغذاء الرباني صعدت بعد الموت إلى عليين وفُتحت لها أبواب السماء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨]، وإن حادت وأبت إلا الغذاء الترابي أغلقت في وجهها أبواب السماء، قال تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: ٤٠]، قال كعب: (أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت جند إبليس)[١].

وغذاء الجسد فيه النافع والضار، فإذا غذى الإنسان جسده بالغذاء الجيد صح وقوي بناؤه وظل حيًّا طريًّا متماسكًا، وإذا غذاه بالغذاء الرديء أو أهمل غذاءه ضعف وانحرف مزاجه، وساءت صحته، وخارت قواه، وهزل وذبل.

وكذا غذاء الروح فيه النافع والضار أيضًا، فإذا غذى الإنسان روحه بالغذاء السليم سمت وارتفعت وصحت وسلمت من الأمراض. وغذاؤها صحة الاعتقاد، وسلامتها باتصالها بالله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وإذا أهمل الإنسان غذاء روحه أو غذاها بالغذاء البشري بأن جعل صلتها بالمبادئ الوضعية والمعتقدات الزائفة أو انقادت لمذلات الجسد الترابي فتغذت بغذائه واستغنت به عن غذائها الرباني، ضعفت وخارت وتاهت وانحرف مزاجها ولم يقر لها قرار وضاقت عليها الأرض على سعتها.

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف: ٣٦].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لعلي بن أبي العز (ج٢ ص٥٨٣). و«الروح» لابن القيم (ص: ٩١).

وقد تَطْلُب الخروج من هذا الجسد الذي ضاقت به وضاق بها، فتؤدي بصاحبها إلى الانتحار...

إذن، فإن على الإنسان أن يحرص على اختيار غذاء الروح كما يحرص على اختيار غذاء الجسد، وأن يسأل أطباء الأرواح عن غذائها النافع كما يحرص على سؤال أطباء الأبدان عن غذاء الجسد الفاني، وعليه أن يعرض روحه على أهل الذكر كما يعرض جسده على أهل الطب، وأن يعالج روحه كما يعالج بدنه، وأن يتفقدها كما يتفقد بدنه، وأن يحاسبها دوريًّا كما يُجري الفحوص الدورية لجسده.

وإذا كان غذاء هذه الأجساد الترابية السفلية الفانية من أصلها الترابي يُستمد، فإن غذاء هذه الأرواح السامية الباقية من الله العلي الباقي الدائم يستمد[1].

وقد هيأ الله -عز شأنه- الطعام المناسب لكل من هذين العنصرين:

فجعل غذاء هذا الجسد من التراب الذي خُلق منه، يحرث الأرض ويزرعها فينبت الطعام، أو يحفرها الماء أو يجده أقرب من ذلك فوقها.

وهذه الروح من الله فجعل غذاءها من عنده ينزل به الروح الأمين على الرسل فتنشره بين الناس وتدعو إليه، فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسه ومن ضل فعليها.

فإذا كان الله سبحانه يهيئ الطعام لهذه الأجساد، فلا عجب أن يهيئ الطعام لهذه الأرواح.

ومن الجهل كل الجهل والضلال كل الضلال الاعتقاد أن الإنسان بعقله أصبح يعرف الحق من الباطل، فليس هو بحاجة إلى من يخبره بذلك، لا

---

(١) من كتاب «قصة عقيدة» (ص٤٦-٤٨).

يصح هذا لأن الروح لا تزال بحاجة إلى غذائها العلوي ما بقيت في الجسد، كما أن الجسد لا يزال بحاجة إلى غذائه السلفي ما بقيت فيه روح.

وإن من رحمة الله تعالى بعباده أن أنزل جبريل عليه السلام بغذاء الأرواح إلى الأنبياء عليهم السلام كما خلق لهذه الأجساد غذاءها.

ولا ينكر هذه الحاجة إلا مكابر معاند أو جاهل أحمق.

فالوحي من الله رحمة بعباده لتتغذى به الأرواح، وخَلْق الطعام رحمة من الله بعباده لتتغذى به الأجساد.

وببقاء العنصرين يبقى الإنسان وبفقد أحدهما يهلك.

والقرآن وحي، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، وسنة الرسول ﷺ وحي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

## المبحث الثاني: تعريف الوحي[1]

**الوحي لغة:**

أصل الوحي في اللغة إعلام في خفاء[2]، وقال الحرَّالي: هو إلقاء المعنى في النفس في خفاء[3] وقال الأزهري: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيًا، والكتابة تسمى وحيًا[4] وقال الراغب الأصفهاني: أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام

(١) «دراسات في علوم القرآن» لفهد الرومي (ص: ١٧٤- ١٧٧).
(٢) «تاج العروس» الزبيدي (١٠/ ٣٨٥) مادة: (وحي).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة[١] وقال الزبيدي: أوحى إليه: كلمه بكلام يخفيه[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الوحي الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة وإما في المنام[٣].

**وبهذا يظهر أن الوحي في الأصل: الخفاء والسرعة.**

**وعلى هذا فالوحي في اللغة: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره[٤].**

**وطرقه كما أشار إليها الراغب الأصفهاني آنفًا:**

١- الكلام على سبيل الرمز والتعريض.

٢- الصوت المجرد عن التركيب.

٣- الإشارة ببعض الجوارح.

٤- الكتابة.

**أنواع الوحي بالمعنى اللغوي:**

للوحي أنواع بالمعنى اللغوي وأنواع بالمعنى الشرعي وقد يشتركان في بعضها من حيث الكيفية لكنهما يختلفان من حيث الاعتبار، فالوحي بالمعنى الشرعي خاص بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وأنواعه بالمعنى اللغوي[٥]:

---

(١) «المفردات في غريب القرآن» الراغب الأصفهاني (ص : ٥٣٦) مادة: (وحي).

(٢) «تاج العروس» الزبيدي (١٠/ ٣٨٥) مادة: (وحي).

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٢/ ٣٩٨).

(٤) «الوحي المحمدي» محمد رشيد رضا (ص: ٣٧).

(٥) انظر «الوحي المحمدي» محمد رشيد رضا (ص٣٧، ٣٨) و«القرآن الكريم =

**١- إلهام الخواطر أو الإلهام الفطري للإنسان:**

وهو ما يلقيه الله في رُوع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح، كالوحي إلى أم موسى، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] الآية.

ومنه الوحي إلى الحواريين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

**٢- الإلهام الغريزي للحيوان:** كالوحي إلى النحل، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: ٦٨].

**٣- الأمر الكوني للجمادات:**

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ١ - ٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢].

**٤- ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه:**

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠].

فالإيحاء الأول من جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ

والثاني من الله تعالى إلى جبريل عليه السلام. والمعنى: فأوحى جبريل إلى محمد ﷺ ما أوحى الله إليه[1].

---

= تاريخه وعلومه» د. محمد البدري (ص: ٥٠) و«مباحث في علوم القرآن» القطان (ص٣٢، ٣٣).

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» البدر العيني (١/ ١٤).

**٥- الإشارة السريعة بجارحة من الجوارح:** كإيحاء زكريا عليه السلام إلى قومه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١١].

**٦- وسوسة الشيطان:**

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

**الوحي شرعًا:**

**اختلف العلماء في تعريف الوحي:**

فمنهم من يعرفه بمعنى (الموحى) فيقول هو: كلام الله تعالى المنزل على أحد أنبيائه وقيل: هو ما أنزل الله على أنبيائه.

وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع(١).

ومنهم من يعرفه بمعنى (الإيحاء) فيقول: هو إعلام الله لأحد أنبيائه بحكم شرعي أو نحوه.

وقولنا: (إعلام) يشمل أنواع الوحي بمعناه الشرعي كما سيأتي بيانها.
وقولنا: (الله) قصر للوحي الشرعي بأنه من الله لا من غيره سبحانه.
وقولنا: (لأحد أنبيائه) قصر للوحي بالمعنى الشرعي على الوحي للأنبياء.
وقولنا: (بحكم شرعي) بيان للموحى به.

وقولنا: (أو نحوه) يراد به القصص والأخبار ونحوها الواردة في القرآن أو السنة مما لم يَرِد فيها حكم شرعي فهي من الوحي أيضًا.

---

(١) «الوحي والقرآن» محمد حسين الذهبي (ص: ٨) و«المدخل لدراسة القرآن الكريم» د. محمد أبو شهبة (ص: ٨٤).

وظاهر أن الوحي بالمعنى الشرعي لا يخرج عن حد المعنى اللغوي، والفرق بينهما هو الفرق بين العام والخاص، فالوحي بالمعنى اللغوي عام يشمل كل (إعلام في خفاء) والوحي بالمعنى الشرعي خاص لا يتناول إلا ما كان من الله تعالى لنبي من الأنبياء، فالوحي بالمعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي لخصوص مصدره ومورده، فقد خص المصدر بأنه من الله وخص المورد بالأنبياء[1].

## المبحث الثالث: أنواع الوحي

### ١- ما يكون منامًا:

وهو أول مراتب الوحي كما جاء في حديث عائشة ﵂: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة - وعند مسلم: الصادقة - في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...) الحديث[2].

---

(١) ومما يؤسف له أن كثيرًا من الكتب المؤلفة في علوم القرآن في العصر الحديث - تنقل تعريف الوحي عن كتاب «رسالة التوحيد» للأستاذ محمد عبده، من غير إدراك للأخطاء العلمية والعقدية فيه!! فهو يعرفه بأنه (عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قِبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت).

وقد نقدت هذا التعريف في كتابي «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» (٢/ ٤٨٦-٤٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٥٣) من طريق عبد الله بن المبارك. وأخرجه مسلم (١٦٠) (٢٥٢)، والطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٥٢)، وأبو عوانة (١/ ١١٠-١١٢)، وابن منده في «الإيمان» (٦٨١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٥-٦) من طريق =

وليست الرؤيا خاصة بالفترة الأولى من الوحي، بل وقعت بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧] الآية.

ووقع الوحي بالمنام لإبراهيم عليه السلام كما جاء في القرآن عنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢ - ١٠٥].

ومبادرة إبراهيم عليه السلام للامتثال وقول إسماعيل عليه السلام: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ وقول الله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ دليل قاطع على أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي وأمر من الله سبحانه لهم عليهم السلام.

وفي ابتداء النبي ﷺ من الوحي بالرؤيا الصالحة في المنام تهيئة واستعداد لتلقي الوحي في اليقظة.

ويدل على هذا حديث علقمة بن قيس صاحب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة)[1].

---

= ابن وهب، عن يونس.

وأخرجه ابن سعد (١/ ١٩٤)، ومسلم (١٦٠) (٢٥٣)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٨٣-١٨٤) من طرق عن معمر ابن راشد، به وأخرجه الطيالسي (١٤٦٧، ١٤٦٩)، وابن سعد (١/ ١٩٤)، والترمذي (٣٦٣٢)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (١٠٠) (١/ ١٤٥)، والطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٥١)، والآجري في «الشريعة» (ص٤٣٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٥١) من طرق، عن الزهري، به.

(١) فتح الباري: ابن حجر (١/ ١٠)، وقال: رواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد حسن =

ولم ينزل من القرآن شيء عن طريق الوحي بالمنام.

وقد ظن بعضهم أن سورة الكوثر نزلت في المنام مستدلًا بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**أُنزلت عليّ آنفًا سورة**» فقرأ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣]. . . الحديث(١).

والصحيح أن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم؛ فقد حكى السيوطي عن الرافعي قوله: (وقد يُحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ويقال لها برحاء الوحي. اهـ. قلت -يعني السيوطي: الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه(٢).

ونقل القسطلاني عن أمالي الرافعي قوله: (الأشبه أن القرآن نزل كله يقظة)(٣).

وبهذا يظهر أنه لم ينزل قرآن على الرسول ﷺ في المنام، والله أعلم.

### ٢- ما كان مكالمة بين العبد وربه:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]الآية.

ومن هذا النوع تكليم الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿**وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**﴾ [النساء: ١٦٤]. وقوله سبحانه: ﴿**وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ**﴾ [الأعراف: ١٤٣].

---

= عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الصلاة (١/ ١٧١).

(٢) «الإتقان» للسيوطي (١/ ٢٣).

(٣) «شرح القسطلاني على صحيح البخاري» (١/ ٦١).

ومنه تكليم الله لنبينا محمد ﷺ في المعراج حيث قال: «**فأوحى الله إليَّ ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة**»[(١)].

### ٣- ما يكون إلهامًا يقذفه الله في قلب نبيه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعًا ولا يجد فيه شكًّا:

ومنه حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن روح القدس نفث في روعي**[(٢)] **أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**»[(٣)].

### ٤- ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام:

هذا النوع أشهر الأنواع وأكثرها، وهو المصطلح عليه بـ(الوحي الجلي) ووحي القرآن كله من هذا القبيل ولم ينزل شيء من القرآن على الرسول ﷺ بغير هذا النوع كالإلهام أو المنام أو التكليم بلا واسطة.

يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ١٤٦) كتاب الإيمان.

(٢) الرُّوع (بضم الراء) القلب والخَلَد والخاطر وهو المراد هنا. وبالفتح: الخوف والفزع.

(٣) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١١٥١، ١١٥٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٠٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٢٨٤)، والخطيب التبريزي في «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٤٥٨)، قال ابن حجر رحمه الله وحديث: «أن روح القدس نفث في روعي...» أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود «فتح الباري» (١/ ٢٧) وصححه الألباني في تخريجه لأحاديث مشكلة الفقر (ص١٩).

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

والوحي بجميع أنواعه بالمعنى الشرعي يصحبه علم يقيني ضروري من النبي بأن ما أُلقي إليه حق من عند الله ليس من خطرات النفس ولا وسوسة الشياطين، وهذا العلم اليقيني لا يحتاج إلى مقدمات، وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية كالجوع والعطش(١).

**وقد ذُكرت هذه الأقسام الأربعة في قوله تعالى:** ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

**قال الإمام البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيرها:** ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ يوحي إليه في المنام أو بالإلهام: ﴿أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ يُسمعه كلامه ولا يراه كما كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ إما جبريل أو غيره من الملائكة(٢).

## المبحث الرابع: كيفيات الوحي لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

تعددت طرق الوحي التي كان يوحي بها الله تعالى لنبيه محمد ﷺ، ومنها:

**١- تكليم الله تعالى مباشرة من وراء حجاب:**

يقظة كما حصل ليلة المعراج، ومنامًا كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - أَيْ: فِي المَنَامِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ.**

---

(١) «المدخل لدراسة القرآن الكريم» د. محمد محمد أبو شهبة (ص: ٨٧).

(٢) «معالم التنزيل» للبغوي (٤/ ١٣٢)، وانظر «تفسير الطبري» (٢٥/ ٤٥)، وابن كثير (٤/ ١٢٨).

**قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: رَبِّ لاَ أَدْرِي...»**[(١)].

**٢- النفث في الرُّوع:**

وهو ما يقذفه الله في قلب الموحَى إليه مما أراد الله تعالى، وهو داخل في (الوحي) المذكور في قوله تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّه لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَن تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ**»[(٢)].

**قال المُناوي** رَحِمَهُ اللهُ: (في رُوعِي) بضم الراء، أي: ألقى الوحي في خلَدي وبالي، أو في نفسي، أو قلبي، أو عقلي، من غير أن أسمعه ولا أراه[(٣)].

**٣- الرؤيا الصادقة.**

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ)[(٤)].

وقال عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ - وهو من كبار التابعين -: (رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ. ثُمَّ

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤) من حديث أبي أمامة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٨٥).

(٣) «فيض القدير» (٢/ ٥٧١).

(٤) تقدم تخريجه.

قَرَأَ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾) [الصافات: ١٠٢][(١)].

**٤- عن طريق جبريل عليه السلام.**

وهذه سنتناولها بعنصر مستقل بإذن الله تعالى.

## المبحث الخامس: صفة مجيء الملك إلى الرسول

**كان جبريل عليه السلام يأتي للنبي ﷺ على صور، منها:**

**١- أن يأتيه على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها.**

عن مسروق أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣] وقوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣] فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِك رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**»[(٢)].

**٢- أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس.**

عن عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيك الْوَحْيُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صلصلةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ**»[(٣)].

**قال البغوي** رحمه الله: قوله: «يأتيني في مثل صلصلة الجرس» صلصلة الجرس: صوت الحديد إذا حُرك. قال أبو سليمان الخطابي: يريد - والله

---

(١) رواه البخاري (١٣٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٧).

(٣) رواه البخاري (٢) ومسلم (٢٣٣٣).

أعلم - أنه صوت متدارِك يسمعه ولا يثبته عند أول ما يقرع سمعه حتى يتفهم ويستثبت، فيتلقفه حينئذٍ ويعيه؛ ولذلك قال: «وهو أشده عليَّ»(١).

**وقال أبو العباس القرطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: «وهو أشده عليَّ» إنما كان أشد عليه لسماعه صوت المَلَك الذي هو غير معتاد، وربما كان شاهَدَ المَلَك على صورته التي خُلق عليها، كما أخبر بذلك عن نفسه في غير هذا الموضع، وكان يشتد عليه أيضًا لأنه كان يريد أن يحفظه ويفهمه مع كونه صوتًا متتابعًا مزعجًا؛ ولذلك كان يتغير لونه، ويتفصد عرقه، ويعتريه مثل حال المحموم، ولولا أن الله تعالى قواه على ذلك ومكَّنه منه بقدرته، لما استطاع شيئًا من ذلك، ولهلك عند مشافهة الملك؛ إذ ليس في قوى البشر المعتادة تحمل ذلك بوجه(٢).

**وقال المباركفوري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو أشده عليَّ» أي: هذا القسم من الوحي أشد أقسامه على فهم المقصود؛ لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكلُ من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود.

وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات(٣).

**٣- أن يتمثل له رجلًا، قد يُرى من الصحابة، كما في حديث جبريل المشهور،** وقد تمثل للنبي ﷺ بصورة الرجل الغريب، فسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان.

---

(١) «شرح السنة» (١٣/ ٣٢٢).

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم» (٦/ ١٧٢).

(٣) «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٧٩).

**وقد لا يُرى منهم،** كما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «... **وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**»[١].

وكان النبي ﷺ يعاني من التنزيل عليه بالوحي، ويظهر ذلك بالعرق الذي كان يسيل من جبهته وجبينه في اليوم الشديد البرد، إلا أن بعض صور الوحي كانت عليه يسيرة كتشكل جبريل بصورة رجل، إلا أن أشدها عليه ﷺ كانت مجيء الوحي على مثل صلصلة الجرس[٢].

## المبحث السادس: العلاقة بين العقل والوحي

إن الوحي الإلهي موافق للعقل الصريح، ولا تجوز المخالفة والتناقض بين الأمرين.

**يقول ابن تيمية:** (العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح)[٣].

ولما كان الأمر كذلك فقد وجب إدراك التوافق بين العقل والوحي؛ وذلك حتى يتم استهداء العقل بالوحي.

**وهنا يقول شيخ الإسلام:** (لا يكفي مجرد العقل، بل كما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور نور قدامه، فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة)[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢) ومسلم (٢٣٣٣).

(٢) موقع سؤال وجواب على الشبكة العنكبوتية.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٢٥).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١/ ٦).

**ولما كان العقل مطابقًا للوحي وموافقًا له فقد وجب التعامل مع الأمرين دون عزل لأحدهما عن الآخر؛ ويذكر شيخ الإسلام أن هنالك نوعين من الناس في عزل الوحي عن العقل، كلاهما مذموم وهما:**

١ - الذين جعلوا العقل هو الأصل والقرآن والسنة تابعين له.

٢ - الذي رأوا أن العقل ليس بشيء يُعتد به في أمر الدين، فتعاملوا مع الوحي والإيمان دون إعمال للعقل.

ومن الملاحظ أن الله تعالى سمى من يقرءون الوحي دون فهم لمعانيه ومقاصده بالأميين، قال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨].

وقد فسرّ العلماء (الأماني) بأنها (التلاوة) فهؤلاء الناس سماهم الله تعالى بالأميين رغم أنهم يعرفون التلاوة والقراءة والكتابة.

ويذهب ابن تيمية إلى أن من لا يفهم معاني القرآن فهو أمي وإن كان يحفظ القرآن ويعرف المكتوب.

**ويقول ابن قيم الجوزية:** (نزل القرآن ليُتدبر ويُعمل به فاتخذوا تلاوته عملًا، فليس بشيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل فيه وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها وعلى طرقاتها وأسبابها وغاياتها وثمراتها ومآل أهلها وتنله في يده كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيد بنيانه وتوطد أركانه وتريه صورة الدنيا والآخرة)[١].

---

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (١/ ٤٥٠).

**خلاصة ما سبق من كلام عن موافقة الوحي للعقل:**

أ- إن الوحي والعقل الصريح لا يمكن أن يتعارضا، فحقائق الوحي موافقة للعقل وإن خفيت عليه في بعض الأحيان.

ب- لا يمكن الاكتفاء بالعقل دون الوحي ولا بالوحي دون العقل؛ إذ إن الوحي مصدر للمعرفة، والعقل وسيلة هذه المعرفة، فإذا عطلت ملكات العقل فإنه لا يمكن الاستفادة من الوحي، وكذلك الأمر إذا عزل الوحي عن العقل واعتد بهذا العقل دونه.

ويُقَدَّم النقل على العقل عند تعذر الجمع بينهما، مع التأكيد على أن (المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح، وما تنازع فيه الناس فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع... وما يُعلم بصريح العقل لم يخالفه السمع، والذي يقال إنه يخالفه إما حديث موضوع، أو دلالة ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلًا لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول)[1].

وحينما يُعْرِض أهل السنة والجماعة عن الاعتداد بالعقل في إقامة العقائد، فهم بذلك يكرمونه ولا يلغونه؛ لأنهم يُنزلونه المنزلة التي أنزله الله إياها، ويَكُفون عن الزج به فيما لا قِبل له بعلمه وإدراك حقيقته.

**يقول ابن خلدون[2] في مسألة تحكيم العقل في أمور الاعتقاد:** (إنك لا تطمع

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ١٤٧).

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن الحضرمي، الإشبيلي الأصل، التونسي ثم القاهري، المالكي، عالم، أديب، مؤرخ، اجتماعي، حكيم، وُلد بتونس، ونشأ بها، وولي كتابة السر بمدينة فاس، ورحل إلى غرناطة =

أن تزن به أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراءه طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدل على أن الميزان في أحكامه غير صادق؛ لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرَّة من ذرات الوجود الحاصل منه)[١].

ومما يدل على أن السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، لم يعطلوا العقل ولم يلغوا دوره - ما عُرف عنهم من الاعتداد بالقياس، ولا يقوم قياس سديد بلا عقل رشيد.

وقد قرر الأئمة الأعلام أن الذي يُعتد به في باب العقائد هو قياس الأَوْلى، وهو الذي يكون الفرع فيه أَوْلى بالحكم من الأصل؛ لقوة العلة فيه[٢] ويُستدل بهذا النوع من القياس للإثبات والنفي في حق الله تعالى.

وفي القرآن الكريم استدلال بهذا النوع من القياس على إثبات صفات

---

= وبجاية، واعتقل، وتنقلت به الأحوال إلى أن رجع إلى تونس، فأكرمه سلطانها، فسعوا به إلى السلطان، ففر إلى الشرق، وولي قضاء المالكية بالقاهرة مرارًا، واجتمع بتيمور لنك وأعجبه كلامه وبلاغته. وتوفي بالقاهرة فجأة سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م.

انظر ترجمته في: «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٣/ ٤٩٧ - ٥١٦)، «الضوء اللامع» (٤/ ١٤٥)، «حسن المحاضرة» (١/ ٤٦٢)، «شذرات الذهب» (٩/ ١١٤)، «الأعلام» (٣/ ٣٣٠)، «معجم المؤلفين» (٥/ ١٨٨ - ١٩١).

(١) «مقدمة ابن خلدون» (ص: ٣٦٤، ٣٦٥).

(٢) «الوجيز في أصول الفقه» للدكتور وهبة الزحيلي (ص: ٨٣).

الكمال للرب سبحانه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [النحل: ٦٠]، أي: الأكمل والأحسن والأطيب[١].

ومما نُقل عن السلف من الاستدلال بهذا النوع من القياس[٢] قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن الاعتبار - أي القياس - لو أن رجلًا كان في يديه قدح من قوارير صافٍ، وفيه شرابٌ صافٍ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح. فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه)[٣].

ولا يصح قياسٌ غير هذا في تقرير العقائد، سواء كان قياس شمول أو تمثيل[٤] لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾ [النحل: ٧٤].

**وقد اشتد نكير السلف الصالح على من اعتد بعلم الكلام في تقرير العقائد وعَدُّوه من أخبث ما توصلت إليه العقول التائهة بعيدًا عن هدي الكتاب والسنة.**

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ١٤- ١٢٥).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية، بتحقيق محمد رشاد سالم (١/ ٣٠).

(٣) «الرد على الزنادقة والجهمية»، للإمام أحمد بن حنبل (ص: ٣٩).

(٤) يراد بقياس الشمول: ما كان مركبًا من مقدمتين فأكثر مستعملًا فيه لفظة (كل) الدالة على الشمول.

وقياس التمثيل هو: إلحاق فرع بأصل في الحكم بجامع الوصف المشترك بينهما.

انظر: «التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية»، للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي، (ص ١١٩، ١٢٠).

فكانوا رضوان الله عليهم أجمعين يُحجمون عن الخوض في علم الكلام، مكتفين بما جاء في النقل الصحيح الذي لا يخالفه عقل صريح.

**قال ابن رجب الحنبلي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام، وكثرة الجدال والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة - لم يكن عيًّا ولا جهلًا ولا قصورًا، وإنما كان ورعًا، وخشيةً لله، واشتغالًا عما لا ينفع بما ينفع، وسواء ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه، فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى)[(١)].

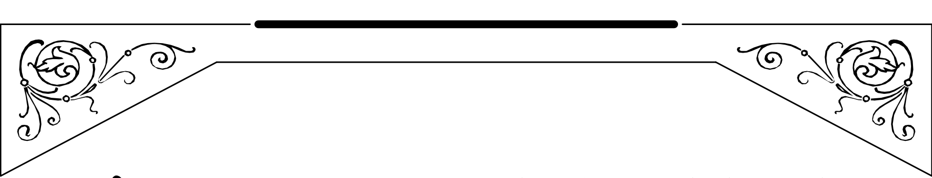
**وقال في موضع آخر:** (وأما ما كان مخالفًا لكلامهم فأكثره باطل أو لا منفعة فيه، وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة، فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأقصر عبارة، ولا يوجد في كلام مَن بعدهم باطل إلا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله)[(٢)(٣)].



(١) «فضل علم السلف» (ص١٦١).

(٢) «فضل علم السلف» (ص١٤٧).

(٣) «السنة النبوية مكانتها وأثرها في حياة مسلمي البوسنة والهرسك» (٦/ ٣٧).



# الباب الرابع: صفات الرسل، وهل هم معصومون؟

## الفصل الأول: صفات الرسل

### ١- كل الرسل الذين أُرسلوا من عند الله للناس كانوا بشرًا:

ولله في ذلك حكمة كانت تخفى على الجاهليات التي بُعِث إليها أولئك الرسل، ولكنها لا تخفى على من يتدبر الأمر ببصيرة.

**لقد كانت الجاهليات تأخذ الأمر من جانب التكذيب لا من جانب التصديق؛ ولذلك كانت الحكمة تخفى عليها!**

**كانوا يكذّبون ابتداءً بالوحي، ويعتبرونه شيئًا غير قابل للتصديق! ثم يبنون على ذلك تصورات خاطئة من عند أنفسهم.**

كانوا يقولون: إنه لا يمكن أصلًا أن يوحي الله إلى واحد من البشر بشيء! ذلك أن تصورهم لقدرة الله ناقص ومحدود: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ [الأنعام: ٩١] وتصورهم كذلك للطاقة البشرية محصور في نطاق ذواتهم فحسب.

ولما كانوا هم لا يتلقون وحيًا ولا يخطر في بالهم أن يتلقوا شيئًا من الوحي قط، فهم يقيسون كل البشر على أنفسهم، فيقولون: إنه لا يمكن أن يتنزل الوحي على أي واحد من البشر على الإطلاق! ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٤﴾ [الإسراء: ٩٤].

ثم يرتبون على هذه الاستحالة تصورًا آخر خاطئًا، فيقولون: إنه إذا كان الله يريد فعلًا أن يصنع هذه العجيبة الخارقة وهي تنزيل الوحي، فلا بد أن يكون كل ما يتعلق بهذه الظاهرة عجيبًا وخارجًا عن تصور البشر. ومن ثم فلا يجوز - في نظرهم - أن يتنزل هذا الوحي على واحد من البشر لأن الكِيان البشري شيء عادي ومألوف، فلا يتناسب معه ذلك الشيء غير المألوف وهو الوحي! إنما الذي يتناسب معه - في وهمهم - هو عجيبة أخرى خارقة، هي نزول مَلَك من السماء يتنزل عليه الوحي، أو - في القليل - يكون مع الرسول الذي يتنزل عليه الوحي.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨].

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان: ٧].

وهكذا نرى ضلال الجاهليات من خلال تصوراتها الضالة عن قدرة الله وحدود الطاقة البشرية، يعميها عن حكمة إرسال الرسل من البشر دون الملائكة..

ولو قدروا الله حق قدره وعرفوا أن قدرة الله ليست محدودة بحدود تصورهم الضيق، وإنما هي قدرة بغير حدود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

ولو عَرَفوا أن الطاقة البشرية ليست محصورة في نطاق ذواتهم ولا في نطاق علمهم، وأن هناك جوانب من النفس البشرية تخفى على العلم وإن بدت آثارها واضحة؛ كظاهرة التفكير والتذكر، وجوانب أخرى أشد خفاء لا

يكاد الإنسان يعرف لها كنهًا، كظاهرة التخاطر عن بُعد، وأن الله يصطفي أفرادًا من البشر فيمنحهم القدرة على تلقي الوحي بأجهزة خاصة في داخل نفوسهم دون أن يُخرجهم ذلك عن حدود بشريتهم..

لو عرفوا ذلك كله ما عجبوا أن جاءهم منذر منهم، وما استنكروا هذا الاستنكار فقالوا: أبَعثَ الله بشرًا رسولًا؟! وما طلبوا هذا الطلب الساذج: لولا أُنزل عليه مَلَك؟!

**لقد غفلوا في طلبهم ذلك عن عدة أشياء:**

أ- أن الملائكة لا يمشون في الأرض مطمئنين كالبشر؛ لأنهم لم يُخلقوا لسكنى الأرض! ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٤، ٩٥].

ب- أن الملك لو نزل على الأرض فلا بد له أن يتخذ صورة البشر، عندئذٍ لا يستطيعون أن يتعرفوا على حقيقته الملائكية، ولا أن يميزوا بينه وبين سائر البشر: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٩]، [الفرقان: ٢٢].

د- أن الحكمة منتفية تمامًا في جعل الرسول من غير البشر أنفسهم، إن الرسول لا يأتي للتبليغ فقط، أي إنه لا يأتي ليبلغ الناس أمرًا معينًا من عند الله ثم يمضي. وإنما يمكث مع الناس حتى يربي فئة منهم على الحق يكون هو بذاته القدوة العملية لهم، ويكونون هم بدورهم قدوة للناس: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٨].

فأنى تتحقق القدوة إذا كان الرسول من غير البشر؟! ألا يقول الناس يومئذٍ: هذا ملك ونحن بشر! لنا أجساد ونزعات وشهوات!؟ بلى!

سيقولون! وسيمتنعون عن الالتزام بأمر ربهم بحجة أن هذا الالتزام ليس في وسع البشر ولا هو من شأنهم، إنما هو من شأن الملائكة الذين لا يسكنون هذه الأرض، ولا يحسون بثقلة الأرض تشدهم عن طريق الرغبات والشهوات! وعندئذٍ سيقولون: كيف يرسل الله إلينا ملكًا ويطلب منا الاقتداء به في أعماله؟! أفلا يرسل إلينا بشرًا مثلنا، يحس كما نحس، ويفكر كما نفكر، ويشعر بضروراتنا وبحدود طاقتنا؟!

وتلك هي الحكمة الكبرى من إرسال الرسل بشرًا، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، حتى لا يقف اختلاف الجنس حائلًا بين الناس وبين الاقتداء برسولهم فيما يفعل وما يقول، وحتى تتمثل الأسوة للبشر في واحد من جنسهم، له ذات تركيبهم، وذات مطالبهم، وذات ضروراتهم البشرية من طعام وشراب وملبس ومسكن.. إلخ.

حقيقة إن الرسل - إذ يصطفيهم الله ليبعثهم إلى الناس - يصوغهم صياغة خاصة تتناسب مع هذا الأمر العظيم، وتكون لهم طاقات تفوق طاقات البشر العاديين، فضلًا عن أن نزول الوحي إليهم واتصالهم المباشر بالله عن طريق الوحي يعمق في نفوسهم معانٍ لا يمكن أن تبلغ ذلك المدى عند البشر العاديين.

نعم، ولكن هذه خصوصيات يختص الله بها رسله ولا يكلف البشر أن يصلوا إليها، لا يستطيعون الوصول إليها بجهدهم البشري! ولكن المهم في الأمر أن صفة البشرية لا تفارق الرسول: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن ثَم فالقدوة فيه متمثلة فيما ليس من خصوصيات الرسل، وهذا هو

الذي يكلف الله به عباده: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن: ١٦]. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] أي ان كل التكاليف التي كلف الله بها البشر هي في حدود طاقتهم لأن الله لا يكلّف النفوس فوق وسعها، وهو العليم بحقيقة طاقتها.

### ٢- الإرسال بلسان القوم:

إن توافق لسان الرسول البشري مع لسان قومه أمر لازم لتحقق البيان عن الله ﷻ؛ ولهذا نجد الآية الكريمة تؤكد على تقرير ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤].

وهذا أصل ضروري في إقامة الحجة بهداية الإرشاد التي هي أثر من آثار رحمة الله تعالى بالناس، ولهذا كان (من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلًا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أُرسلوا به إليهم).

وبهذا البيان الجلي تتحقق هداية الإرشاد والدلالة على الحق؛ ولذا ناسب أن يتبع ذلك بتأكيد أن هداية التوفيق لا تكون إلا بمشيئة الله مثوبةً من عنده سبحانه لمن أقبل على الدعوة مستمعًا منصتًا مخبتًا منقادًا للحق[١].

### ٣- التوكل على الله:

لقد جاءت سورة إبراهيم بتأكيد هذا الأمر في مقام محاججة الرسل قومهم، تأمل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/٥٩٦).

وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ١١، ١٢].

والحقيقة أنه لا يمكن أن تقوم للداعية قائمة في مواجهة مهمة البلاغ إلا بتوكل صحيح على الله تعالى؛ ولهذا كان توكل الرسل عليهم الصلاة السلام أكمل ما يكون من التوكل لأنه في أعلى ما يكون من المطالب وأشرف ما يكون من المراتب[١].

### ٤- الصبر على الأذى:

تدبر إن شئت قوله تعالى: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ﴾ [إبراهيم: ١٢] ولا شك أن في هذا إشارة جلية من الله تعالى إلى أن الرسل سيلاقون من المشاق والمتاعب ما يستلزم استحضار هذا الابتلاء والاستعداد لمواجهته.

ولقد جاء التزام الرسل بهذا الصبر مؤكدًا بلام القسم وبنون التوكيد مبالغةً في الثبات وإمعانًا في إظهار الثقة بالله تعالى أنه ينصرهم[٢].

### ٥- جميع الأنبياء والرسل أفضل الخلق:

فكل الأنبياء والرسل أفضل الخلق إيمانًا وعلمًا وعملًا وتعبدًا وأخلاقًا وتواضعًا، فقد وصف الله سيدهم وأفضلهم بالعبودية والرحمة في كتابه، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) «أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم» (ص: ١٨، بترقيم الشاملة آليًا).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٩).

### ٦- جميع الأنبياء والرسل بشر مخلوقون.

يأكلون.. ويشربون.. وينسَون.. وينامون.. ويمرضون.. ويموتون.

وهم كغيرهم من البشر لا يملكون شيئًا من خصائص الربوبية والألوهية، ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم من الأمر شيء.

فلا يملكون النفع والضر لأحد إلا ما شاء الله، ولا يملكون شيئًا من خزائن الله جل جلاله، ولا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.

لكنهم قدوة البشر في الإيمان، والطاعة، والعبادة، والعمل الصالح، والخُلق الحسن.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

### ٨- الأنبياء والرسل أطهر البشر:

الأنبياء والرسل أطهر البشر قلوبًا، وأصدقهم إيمانًا، وأقواهم عبادة، وأذكاهم عقولًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأكملهم دينًا، وأقواهم صبرًا، وأشدهم بأسًا، وأعظمهم رحمة، وأكملهم أجسامًا، وأحسنهم صورة، وأصدقهم حديثًا.

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

### ٩- الذكورة:

لا يتردد المسلم في الإيمان بعظيم حكمة الله تعالى في أفعاله، فمن أسمائه ﷻ (الحكيم)، ومن صفاته( الحكمة).

وقد حكم الله تعالى بأن من صفات المرسَلين: الذكورة، وقد نقل بعض أهل العلم الإجماعَ على ذلك، وله تعالى في ذلك أعظم الحِكَم.

فقد اختار الله جميع الرسل الذين أرسلهم من الرجال، ولم يبعث الله رسولًا من النساء، يدل على ذلك صيغة الحصر التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ﴾ [الأنبياء: ٧].

**الحكمة من كون الرسل رجالًا:**

كان الرسل من الرجال دون النساء لحِكَم يقتضيها المقام، فمن ذلك:

١- أن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، ومخاطبة الرجال والنساء، ومقابلة الناس في السر والعلانية، والتنقل في فجاج الأرض، ومواجهة المكذبين ومحاججتهم ومخاصمتهم، وإعداد الجيوش وقيادتها والاصطلاء بنارها، وكل هذا يناسب الرجال دون النساء.

٢- الرسالة تقتضي قوامة الرسول على من يتابعه، فهو في أتباعه الآمر الناهي، وهو فيهم الحاكم والقاضي، ولو كانت الموكلة بذلك امرأة، لم

يتم ذلك لها على الوجه الأكمل، ولاستنكف أقوام من الاتباع والطاعة.

٣- الذكورة أكمل؛ ولذلك جعل الله القوامة للرجال على النساء، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]، وأخبر الرسول ﷺ أن النساء (ناقصات عقل ودين).

٤- المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات؛ كالحيض والحمل والولادة والنفاس، وتصاحب ذلك اضطرابات نفسية وآلام وأوجاع، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها). انتهى[١].

**ثانيًا أما النبوة: فقد ذهب بعض العلماء كأبي الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم – إلى وجود نبيات من النساء! ومنهن مريم بنت عمران.**

ودليلهم ما جاء من آيات فيها بيان وحي الله تعالى لأم موسى – مثلًا –، وما جاء من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام، وأيضًا باصطفاء الله تعالى لها على نساء العالمين.

**وهذا الذي قالوه لا يظهر رجحانه ولا ينهض لإثبات نبوة النساء.**

**والرد عليهم من وجوه:**

**الأول**: أنّا لا نُسلِّم لهم أن النبي غير مأمور بالتبليغ والتوجيه ومخالطة الناس، والذي اخترناه: أن لا فرق بين النبي والرسول في هذا، وأن الفرق واقع في كون النبي مرسل بتشريع رسول سابق.

وإذا كان الأمر كذلك فالمحذورات التي قيلت في إرسال رسول من النساء قائمة في بعث نبي من النساء، وهي محذورات كثيرة تجعل المرأة لا

---

(١) «الرسل والرسالات» بتصرف يسير (ص٨٤، ٨٥).

تستطيع القيام بحق النبوة.

**الثاني:** قد يكون وحي الله إلى هؤلاء النسوة - أم موسى وآسية - إنما وقع منامًا، فقد علمنا أن من الوحي ما يكون منامًا، وهذا يقع لغير الأنبياء.

**الثالث:** لا نُسلِّم لهم قولهم: إن كل من خاطبته الملائكة فهو نبي. ففي الحديث أن الله أرسل ملكًا لرجل يزور أخًا له في الله في قرية أخرى، فسأله عن سبب زيارته له، فلما أخبره أنه يحبه في الله، أعلمه أن الله قد بعثه إليه ليخبره أنه يحبه. وقصة الأقرع والأبرص والأعمى معروفة. وقد جاء جبريل يُعلم الصحابة أمر دينهم بسؤال الرسول ﷺ، والصحابة يشاهدونه ويسمعونه.

**الرابع:** لا حجة لهم في النصوص الدالة على اصطفاء الله لمريم؛ فالله قد صرح بأنه اصطفى غير الأنبياء ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، واصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ومِن آلِهما من ليس بنبي جزمًا ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣].

**الخامس:** لا يلزم من لفظ الكمال الوارد في الحديث الذي احتجوا به - النبوةُ؛ لأنّه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه، فالمراد: بلوغ النساء الكاملات النهاية في جميع الفضائل التي للنساء، وعلى ذلك فالكمال هنا غير كمال الأنبياء.

**السادس:** ورد في بعض الأحاديث النص على أن خديجة من الكاملات، وهذا يبيِّن أن الكمال هنا ليس كمال النبوة.

**السابع:** ورد في بعض الأحاديث أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم ابنة عمران، وهذا يُبطل القول بنبوة من عدا مريم كأم موسى

وآسية؛ لأن فاطمة ليست بنبية جزمًا، وقد نص الحديث على أنها أفضل من غيرها، فلو كانت أم موسى وآسية نبيتين لكانتا أفضل من فاطمة.

**الثامن:** وَصْف مريم بأنها صِدِّيقة في مقام الثناء عليها والإخبار بفضلها، قال تعالى ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة: ٧٥]، فلو كان هناك وصف أعلى من ذلك لوصفها به، ولم يأتِ في نصّ قرآني ولا في حديث نبويّ صحيح إخبار بنبوة واحدة من النساء.

وقد نقل القاضي عياض عن جمهور الفقهاء أن مريم ليست بنبية، وذكر النووي في «الأذكار» عن إمام الحرمين أنه نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية، ونسبه في «شرح المهذب» لجماعة، وجاء عن الحسن البصري: ليس في النساء نبية ولا في الجن(١).

### ٩- الفطانة:

الفطانة بمعنى الذكاء، أي: ما كان الله عز وجل ليرسل رسولًا إلى خلقه لا يتصف بالفطانة، فالفطانة صفة لازمة للأنبياء، مادام الله ﷻ قد اصطفاهم، وما دام الله ﷻ قد كلفهم تبليغ رسالاته، وبما أن الله ﷻ قد كلفهم بنشر دينه فلا بد من أن يعطيهم مع هذا التكليف ما يعينهم على نشر الرسالة، لا بد من أن يكون النبي الرسول أعلى كل أصحابه ذكاءً حتى يستوعبهم، وحتى يستطيع توجيههم، وحتى يعرف إمكاناتهم.

ولذلك فالنبي الكريم ﷺ كان يجمع كل صفات الكمال، فهذا النبي العظيم عليه أتم الصلاة والتسليم لو قيست إمكاناته الفكرية بمقاييسنا

---

(١) المصدر السابق.

المعاصرة، لكان من أعلى البشر إدراكًا وفطانة وحسن تصرف واستيعابًا وحفظًا ومحاكمة وقياسًا وإلقاءً، ولا يوجد إنسان يستطيع أن يقود إلا أن يكون على مستوى عالٍ من الذكاء، ولو أن الإنسان محدود الإمكانات فلن يستطيع أن يقود نفسه قبل أن يقود الآخرين، أي يكون له تأثير على الآخرين بإمكانات محدودة وهذا شيء مستحيل.

وهذا مثل قريب:

فمن منا يستطيع أن تُتلى عليه سورة فيحفظها من أول مرة؟ هذا فوق طاقة البشر، النبي عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي فإنه يحفظه فورًا، وهذا أعلى مستوى في الذكاء، فالنبي عليه الصلاة والسلام لم ينسَ شيئًا من كتاب الله قط، وهذا من فطانته عليه الصلاة والسلام.

وبهذه الفطانة يعرف ما أنزل إليه، ويعرف المضمون، ففطانته مُعِينة له على فهم هذا الوحي الذي جاءه من عند الله، وحفظ ما أنزل إليه من كلام الله، ووسيلة لنقل هذه الرسالة وهذا الكتاب الكريم إلى الناس، ووسيلة لإلقاء الحق بحكمة بالغة.

والآيات التي تشهد له بالفطانة كثيرة، منها قوله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٦، ١٧]. فهذه إشارة من الله عز وجل إلى فطنته أو فطانته.

وفي آية أخرى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]. وكأنه فَهِمَ عن الله عزّ وجل كل ما يريد؛ ولذلك فربنا عزّ وجل قال له: انتظر، اصبر، حينما تنزل الآية.

وهذه لمحة صغيرة من علائم الفطنة التي كان النبي عليه الصلاة والسلام

يتمتع بها.

**الأنبياء أيضًا فطنون:**

**مثال١:**

سيدنا نوح أيضًا، قال الله: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود: ٣٢] أي: ضاقوا به ذرعًا، وكأنه غلبهم بالحجة فلم يتمكنوا، وليس من السهل أن تواجه قومًا بأكملهم بحجة ناصعة وتغلبهم بها، فهذه الصفة - صفة الفطنة أو الفطانة، وبالتعبير الحديث الذكاء أو سرعة الفهم، ودقة المحاكمة، وحسن التكيّف، تعني أن تصل إلى كل أهدافك بأيسر السبل، وأن تحقق أعلى مردود بأقل جهد، هذه من تعريفات الذكاء، و هذه كلها من لوازم أو من دلائل الذكاء والفطنة والفطانة(١).

**مثال٢:**

فسيدنا إبراهيم قال الله عنه: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٨٣].

أوتي الحجة، أنت تقدر أن تناقش خصمًا عنيدًا؟ فهل تصمد في نقاشٍ دقيق جدًّا من واحد مثقف ثقافة عالية يريد أن يُطفئ نور الله عزّ وجل؟ فإذا كان عندك حُجة قوية فهذه صفة طيبة في المؤمن، فإذا كنت مؤمنًا صادقًا فيجب أن يكون معك شيءٌ من هذه الحُجة، أو معك حُجة قوية، فالنمرود مثلًا، قال له: من ربك يا إبراهيم؟ قال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

أعطاه صفة دقيقة (يُحيي ويُميت) فأجابه النمرود: أنا أحيي وأميت، فمن

(١) باختصار من «الرسل والرسالات» (ص ٨٧ - ٨٩).

كان محكومًا بالإعدام أعفو عنه فقد أحييتهُ، وأُحضر إنسانًا وأقوم بقتله. وكان من الممكن أن يقوم سيدنا إبراهيم بتفنيد هذه الحُجة، أي أنت لا تُحييه من العدم، فإذا عفوتَ عنه فليس هذا حياةً بالمعنى الدقيق، لكن من فطانته عليه الصلاة والسلام ما أراد أن يدخل مع النمرود في نقاش سفسطائي بل تركه، وقال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

إذا أردت أن تُناقش إنسانًا فلا تبدأ بحُجة ضعيفة مُركبة تحتاج إلى توضيح، وإلى شواهد.

### ١٠- قيامهم بشؤون الدعوة من النذارة والبشارة:

لقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

### ١١- الصدق:

النبوة رسالة من الله تعالى على يد رجل من الناس ليبلغ عن الله تعالى ما أرسل به، فإذا كان كذلك فإن أول ما يجب أن يتصف به النبي هو الصدق، سواء قبل البعثة أم بعدها؛ إذ يستحيل أن يبعث الله تعالى كذابًا فيستحيل على الرسول أن يكذب.. فتأييد الله تعالى له بالآيات البينات دليل على صدقه كما أن اتباع الناس له وظهور أمره - كل ذلك يدل على صدقه.

قال الله تعالى في إبراهيم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١].

وقال في إدريس: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

وقال في وصف إسحاق ويعقوب ابني إبراهيم عليهم السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠].



وقال في إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم: ٥٤] وقد كان العرب في جاهليتهم قبل بعث النبي ﷺ يلقبونه بالصادق الأمين فما كانوا يؤثرون عليه كذبًا قط[1].

وما تقديم هذه الصفة في الذكر على النبوة؛ إلا لأن النبوة متوقفة عليها ولن تكون بدونها، ولم يحدث عمليًّا أن كذب نبي قط، وما جاء من أن إبراهيم ﷺ كذب ثلاث كذبات مثل ما روى مسلم والبخاري عن أبي هريرة من عدة طرق أن رسول الله ﷺ - واللفظ للبخاري - قال: «**لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات: اثنتين منهن في ذات الله عز وجل: قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وقال: بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ههنا رجلًا معه امرأة من أحسن الناس. فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي. فأتى سارة: قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وأن هذا سأل فأخبرته أنك أختى فلا تكذبيني**»[2][3].

---

(١) «الحاجة إلى الرسل» (ص: ٢٠، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٢) «صحيح البخاري» (٤/ ١٤١) - كتاب بدء الخلق، باب: واتخذ الله إبراهيم خليلًا.
وصحيح مسلم (٧/ ٦٨) - كتاب الفضائل - باب فضائل إبراهيم.

(٣) «دعوة الرسل عليهم السلام» (ص: ٥٤٦).

١٢- الأمانة:

وهذه صفة قرينة للصدق فلا يكون الكاذب أمينًا، كما أن الخائن لا يكون صادقًا؛ لذا يلزم أن يكون الصادق أمينًا والأمين صادقًا، وضد الأمانة الخيانة، والله ﷻ يستحيل أن يأتمن الخائن لحمل رسالته إلى الناس، كيف وقد قدمنا أن الرسل خلاصة مختارة من البشر تتمتع بالكمال الخلقي المستلزم لكل صفات الفضائل؟!

والأمانة صفة تشمل كثيرًا من الفضائل، ككتمان السر والمحافظة على حقوق الناس وتبليغ الرسالة كما حملها من عند الله تعالى والالتزام التام بكل ما يدعو الناس إليه.

قال الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام مخاطبًا قومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال الله تعالى مخاطبًا رسوله محمدًا ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال تعالى مهددًا إياه إن هو زاد فيما أوحى إليه أو أدخل فيه ما ليس منه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧].

فلو جاز أن يكون الرسول خائنًا لَغَيَّرَ في الشرائع الإلهية ولأفسد في الأحكام التي يتلقاها عن الله تعالى، فيضيع بذلك الغرض من رسالته وهو الصلاح والعمل بأوامر الله تعالى وحده، والله تعالى لا يحب المفسدين ولا يؤيد الخائنين، فكيف يؤيد من خانه وينصره ويُظهره؟ فلا بد إذًا أن رسل الله تعالى قد كانوا جميعًا أمناء في تبليغ ما حملوا، ومن كمال صفة الأنبياء تبليغهم كل ما أرسلهم الله تعالى به وأداء رسالتهم ووظيفتهم

المتمثلة في ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤][١].

**وكل ذلك مما تضافرت النصوص الشرعية في الدلالة عليه، يقول العلامة السعدي مجملًا تلك الأسس العظيمة:** وهذا الأصل - أي الإيمان بالأنبياء عليهم السلام - مبناه على أن يعترف ويعتقد بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله بوحيه وإرساله، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه، وأن الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به، وأنهم أكمل الخلق علمًا وعملًا، وأصدقهم وأبرهم، وأكملهم أخلاقًا وأعمالًا، وأن الله خصهم بخصائص وفَضَّلهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد.

وأن الله برأهم من كل خُلق دنيء، وأنهم معصومون في كل ما يبلغونه عن الله، وأنه لا يستقر في خبرهم وتبليغهم إلا الحق والصواب، وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أتوه من الله، ومحبتهم وتعظيمهم)[٢].

### ١٣- النصيحة:

وقال ﷺ: «**الدين النصيحة**» ثلاث مرات. قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٣].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[٤][٥].

---

(١) «الحاجة إلى الرسل» (ص: ٢٢، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٢) «الفتاوى السعدية» (١٤).

(٣) رواه مسلم (رقم ٥٥).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (رقم ٥٧)، ومسلم (رقم ٥٦).

(٥) «سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام» (١/ ٢٦٨).

### ١٤- العفو والصفح والحلم:

فبرغم الدعاوى المفتراة، والسفاهة الواضحة من المعارضين، لم نجد لهم إلا لينًا وتساميًا، فلم يَرُدوا بقول غليظ أو عمل شديد، وكل ما ردوا به هو نفي التهمة وبيان أنهم رسل الله، وذلك كرد نوح عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١﴾ [الأعراف: ٦١] وكرد هود عليه السلام حيث قال: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٧﴾ [الأعراف: ٦٧] وأما صالح عليه السلام فقد قال تعالى عنه: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾ [الأعراف: ٧٩]وكذلك كان لين شعيب حيث استمع إلى معارضة قومه وتهديداتهم، ثم كانت النهاية: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٩٣﴾ [الأعراف: ٩٣].

وسيدنا إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝٤٧﴾ [مريم: ٤٧]، وعلى نمط هذا اللين والتسامح كان سيدنا محمد ﷺ[١].

### ١٥- العفة:

فلم يمدوا أيديهم على شيء عند الناس، ولم يحسدوا أحدًا على ما آتاه الله من فضله، ولم يأخذوا أجرًا على دعوتهم، ولم يكونوا عالة على أحد قط، فلقد رعى جميعهم الغنم يتكسبون لمعاشهم ويستغنون بها عن عطاء الناس، يبين النبي ﷺ ذلك حين سأله جابر رضي الله عنه: وهل كنت ترعى الغنم؟ قال له: «**وهل من نبي إلا وقد رعاها؟!**».

---

(١) «دعوة الرسل عليهم السلام» (ص: ٥٤٥).

يقول السهيلي: وإنما جعل الله هذا -رعي الغنم- في الأنبياء ليكونوا رعاة الخلق بعد ذلك، وليكون الخلق رعاياهم[(١)].

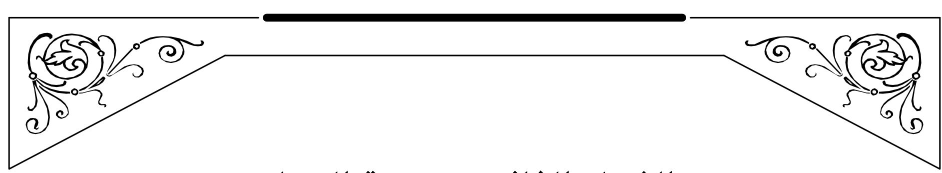
هذا وقد أكد الرسل جميعًا لأقوامهم أنهم لا يأخذون أجرًا على دعوتهم ولا يطلبونه البتة، وذكروا ذلك في وضوح حيث قالوا جميعًا لأقوامهم: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء: ١٠٩][(٢)].

❊ ❊ ❊

---

(١) هامش «سيرة النبي» (١/ ١٧٨).

(٢) «دعوة الرسل عليهم السلام» (ص: ٥٤٥).



## الفصل الثاني: عصمة الرسل

مذهب أهل السنة والجماعة هو الحق، أي أن عصمة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الرسالة، وكذلك هم معصومون من الكبائر ومن الإصرار على الصغائر، وأيضًا هم معصومون مما يخل بالشرف والمروءة.. إلخ.

أما الصغائر فقد تقع منهم لكنهم يتوبون منها ولا يصرون عليها، وتكون حالهم بعد التوبة خيرًا منها قبل الوقوع في هذه الصغائر..

وهذا هو القول الحق؛ لموافقته لكتاب الله سبحانه من غير ليٍّ لأعناق النصوص أو تعسف في محاولة تأويلها.

الأنبياء هم صفوة البشر، وهم أكرم الخلق على الله تعالى، اصطفاهم الله تعالى لتبليغ الناس دعوة لا إله إلا الله، وجعلهم الله تعالى الواسطة بينه وبين خلقه في تبليغ الشرائع، وهم مأمورون بالتبليغ عن الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام: ٨٩].

**والأنبياء وظيفتهم التبليغ عن الله تعالى مع كونهم بشرًا؛ ولذلك فهم بالنسبة للأمر المتعلق بالعصمة على حالين:**

**١- العصمة في تبيلغ الدين.**

**٢- العصمة من الأخطاء البشرية.**

أولًا: بالنسبة للأمر الأول وهو العصمة في تبيلغ الدين:

فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في التبليغ عن الله تبارك وتعالى، فلا يكتمون شيئًا مما أوحاه الله إليهم، ولا يزيدون عليه من عند أنفسهم، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: ٢٤].

**قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير هذه الآية:** (وما هو على ما أوحاه الله إليه بشحيح، يكتم بعضه، بل هو ﷺ أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بَلَّغ رسالات ربه البلاغ المبين، فلم يشح بشيء منه عن غني ولا فقير، ولا رئيس ولا مرؤوس، ولا ذكر ولا أنثى، ولا حضري ولا بدوي؛ ولذلك بعثه الله في أمة أمية جاهلة جهلاء، فلم يمت ﷺ حتى كانوا علماء ربانيين، إليهم الغاية في العلوم...)[١].

فالنبي في تبليغه لدين ربه وشريعته لا يخطئ في شيء البتة، لا كثير ولا قليل، بل هو معصوم دائمًا من الله تعالى.

**قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد أجمع المسلمون قاطبة على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - ولاسيما محمد ﷺ - معصومون من الخطأ فيما يبلغونه عن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ

---

(١) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩١٣).

ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ١ - ٥]، فنبينا محمد ﷺ معصوم في كل ما يبلغ عن الله قولًا وعملًا وتقريرًا، هذا لا نزاع فيه بين أهل العلم)[١].

وقد اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة، فلا ينسون شيئًا مما أوحاه الله إليهم إلا شيئًا قد نُسخ، وقد تكفل الله جل وعلا لرسوله ﷺ أن يقرئه فلا ينسى إلا شيئًا أراد الله أن ينسيه إياه، وتكفل له بأن يجمع له القرآن في صدره. قال تعالى. ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعلى: ٦، ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة: ١٧، ١٨].

**قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله ﷻ، فلا يكون خبرهم إلا حقًّا، وهذا معنى النبوة، وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب وأنه ينبئ الناس بالغيب، والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه)[٢].

### ثانيًا: بالنسبة للعصمة من الأخطاء البشرية:

### ١- عدم الخطأ بصدور الكبائر منهم:

أما كبائر الذنوب فلا تصدر من الأنبياء أبدًا، وهم معصومون من الكبائر، سواء قبل بعثتهم أم بعدها.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر - هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف... وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم يُنقل عن السلف

---

(١) «فتاوى ابن باز» (٦/ ٣٧١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٧).

والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول)[(١)].

فإن العلماء متفقون على عصمة الأنبياء من الكبائر دون غيرها.

**قال ابن عطية:** وأجمع العلماء على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر ومن الصغائر التي هي رذائل، وقد قال بجواز وقوع الكبائر منهم بعض مَن شذ من الطوائف كالكرامية من المرجئة وغيرهم[(٢)].

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** (واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه: قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب حتى حرفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب ومغفرة الله لهم ورفع درجاتهم بذلك، وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوبًا وعيوبًا نزههم الله عنها. وهؤلاء مخالفون للقرآن وهؤلاء مخالفون للقرآن، ومَن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط)[(٣)].

**قال في البحر المحيط:** أما الكبائر: فحكى القاضي إجماع المسلمين أيضًا على عصمتهم فيها، ويلحق بها ما يزري بمناصبهم كرذائل الأخلاق والدناءات، وإنما اختلفوا في الطريق، هل هو الشرع أو العقل؟[(٤)].

**حكم من يقول هذا القول - ارتكاب الأنبياء للكبائر -:**

**يقول صاحب التاج والإكليل لمختصر خليل:** من أضاف إلى النبي ﷺ الكذب فيما بَلَّغه أو أخبر به أو سبه أو استخف به أو بأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣١٩).

(٢) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ١٢٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٥٠).

(٤) «البحر المحيط في أصول الفقه» (٦/ ١٤).

أو آذاهم، فهو كافر بإجماع[1].

### ٢- الأمور التي لا تتعلق بتبليغ الرسالة والوحي.

وأما صغائر الذنوب فربما تقع منهم أو من بعضهم؛ ولهذا ذهب أكثر أهل العلم إلى أنهم غير معصومين منها، وإذا وقعت منهم فإنهم لا يُقَرون عليها، بل ينبههم الله تبارك وتعالى عليها فيبادرون بالتوبة منها.

**والدليل على وقوع الصغائر منهم مع عدم إقرارهم عليها:**

قوله تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، وهذا دليل على وقوع المعصية من آدم - عليه الصلاة والسلام -، وعدم إقراره عليها، مع توبته إلى الله منها.

- قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦]. فموسى - عليه الصلاة والسلام - اعترف بذنبه وطلب المغفرة من الله بعد قتله القبطي، وقد غفر الله له ذنبه.

- قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٤، ٢٥]، وكانت معصية داود هي التسرع في الحكم قبل أن يسمع من الخَصم الثاني.

**وهذا نبينا محمد ﷺ يعاتبه ربه ﷻ في أمور ذُكرت في القرآن، منها:**

- قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾ [التحريم: ١]، وذلك في القصة المشهورة مع بعض أزواجه ﷺ.

- كذا عتاب الله تعالى له ﷺ في أسرى بدر:

فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه: (فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ

(١) «التاج والإكليل شرح مختصر خليل» ط الفكر (٦/ ٢٨٥).

لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا بن الخطاب؟**» قال: قلت: لا، والله يا رسول الله ﷺ ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيب لعمر - فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها!! فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين وهما يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما!! فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عَرَضَ عليّ أصحابُك من أخذهم الفداء، لقد عُرِض عليّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة**» شجرة قريبة من نبي الله ﷺ، وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]، فأحل الله الغنيمة لهم.

ففي هذا الحديث اتضح أن اختيار النبي ﷺ للعفو عن الأسرى إنما كان أمرًا اجتهاديًّا منه بعد مشاورة أصحابه، ولم يكن عنده ﷺ فيه من الله تعالى نص.

- قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: ١، ٢]، وهذه قصة الصحابي الجليل عبد الله ابن أم مكتوم الشهيرة مع رسول الله ﷺ والتي عاتبه الله فيها.

**قال شيخ الإسلام:** (وعامة ما يُنقل عن جمهور العلماء أنهم (أي الأنبياء) غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يُقَرون عليها، ولا يقولون:

إنها لا تقع بحال، وأول من نُقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقًا وأعظمهم قولًا لذلك: الرافضة، فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل)[1].

**وقد يستعظم بعض الناس مثل هذا ويذهبون إلى تأويل النصوص من الكتاب والسنة الدالة على هذا ويحرفونها. والدافع لهم إلى هذا القول شبهتان:**

**الأولى:** أن الله تعالى أمر باتباع الرسل والتأسي بهم، والأمر باتباعهم يستلزم أن يكون كل ما صدر عنهم محلًّا للاتباع، وأن كل فعل أو اعتقاد منهم طاعة، ولو جاز أن يقع الرسول في معصية لحصل التناقض؛ لأن ذلك يقتضي أن يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول الأمر باتباعها وفعلها من حيث إننا مأمورون بالتأسي به، والنهي عن موافقتها من حيث كونها معصية.

وهذه الشبهة صحيحة وفي محلها لو كانت المعصية خافية غير ظاهرة بحيث تختلط بالطاعة، ولكن الله تعالى ينبه رسله ويبين لهم المخالفة، ويوفقهم إلى التوبة منها من غير تأخير.

**الثانية:** أن الذنوب تنافي الكمال وأنها نقص.

وهذا صحيح إن لم يصاحبها توبة، فإن التوبة تغفر الذنب، ولا تنافي الكمال، ولا يتوجه إلى صاحبها اللوم، بل إن العبد في كثير من الأحيان يكون بعد توبته خيرًا منه قبل وقوعه في المعصية، ومعلوم أنه لم يقع ذنب من نبي إلا وقد سارع إلى التوبة والاستغفار، فالأنبياء لا يُقَرون على ذنب، ولا يؤخرون توبة، فالله عصمهم من ذلك، وهم بعد التوبة أكمل منهم

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٢٠).

قبلها.

### ٣- الخطأ في بعض الأمور الدنيوية بغير قصد:

وأما الخطأ في الأمور الدنيوية، فيجوز عليهم الخطأ فيها مع تمام عقلهم، وسداد رأيهم، وقوة بصيرتهم.

وقد وقع ذلك من بعض الأنبياء ومنهم نبينا محمد ﷺ ويكون ذلك في مناحي الحياة المختلفة من طب وزراعة وغير ذلك.

فعن رافع بن خديج قَالَ: قَدِمَ نَبِيّ اللّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يَأْبُرُونَ النّخْلَ. يَقُولُونَ يُلَقّحُونَ النّخْلَ. فَقَالَ: «**مَا تَصْنَعُونَ؟**» قَالُوا: كُنّا نَصْنَعُهُ. قَالَ: «**لَعَلّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا**» فَتَرَكُوهُ. فَنَفَضَتْ أَوْ قال: فَنَقَصَتْ. قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**إِنّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي فَإِنّمَا أَنَا بَشَرٌ**»[1].

وبهذا يكون قد عُلم أن أنبياء الله تعالى معصومون عن الخطأ في الوحي، ولنحذر ممن يطعنون في تبليغ الرسول ﷺ، ويشككون في تشريعاته ويقولون: هي اجتهادات شخصية من عنده، حاشاه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

### كلام العلماء في عدم عصمة الأنبياء من الصغائر:

**١- قال ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ):** (ذكر الأنبياء ﷺ في حديث الشفاعة لخطاياهم، فإن الناس اختلفوا هل يجوز وقوع الذنوب منهم؟

فأجمعت الأمة على أنهم معصومون في الرسالة، و أنه لا تقع منهم الكبائر.

---

(١) مسلم (٦١٢٧).

واختلفوا في جواز الصغائر عليهم:

فأطبقت المعتزلة والخوارج على أنه لا يجوز وقوعها منهم، وزعموا أن الرسل لا يجوز أن يقع منهم ما ينفر الناس عنهم و أنهم معصومون من ذلك.

وهذا باطل لقيام الدليل مع التنزيل وحديث الرسول: «أنه ليس كل ذنب كفرًا».

وقولهم: (إن البارى تجب عليه عصمة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب فلا ينفر الناس عنهم بمواقعهم لها) هو فاسد بخلاف القرآن له، وذلك أن الله تعالى قد أنزل كتابه وفيه متشابه مع سابق علمه أنه سيكون ذلك سببًا لكفر قوم، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ [النحل: ١٠١] فكان التبديل الذى هو النسخ سببًا لكفرهم كما كان إنزاله متشابهًا سببًا لكفرهم.

وقال أهل السنة: جائز وقوع الصغائر من الأنبياء. واحتجوا بقوله تعالى مخاطبًا لرسوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فأضاف إليه الذنب، وقد ذكر الله في كتابه ذنوب الأنبياء فقال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وقال نوح لربه: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥]، فسأله أن ينجيه، وقد كان تقدم إليه تعالى فقال: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧]، وقال إبراهيم: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وفى كتاب الله تعالى من ذكر خطايا الأنبياء ما لا خفاء به)[1].

---

(١) «شرح ابن بطال لصحيح البخاري» (١٠/ ٤٣٩، ٤٤٠).

**٢- قال ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ):** (معْلُومٌ أَنَّهُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) لَمْ يُكَفَّرْ عَنْهُ إِلَّا الصَّغَائِرُ لِأَنَّهُ لَا يَأْتِي كَبِيرَةً أَبَدًا، لَا هُوَ ولَا أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ صلوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)[1].

**٣- قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ):** (وَأَمَّا الصَّغَائِرُ فَجَوَّزَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَف وَغَيْرِهِمْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ وَغَيْرِه مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدّثِينَ وَالْمُتَكَلّمِين)[2].

**٤- قال الآمدي (ت: ٦٣١ هـ):** (اتفقت الأمة سوى الحشوية ومَن جَوَّز الكفر على الأنبياء - على عصمتهم عن تعمده من غير نسيان ولا تأويل وإن اختلفوا في أن مدرك العصمة السمع كما ذهب إليه القاضي أبو بكر والمحققون من أصحابنا أو العقل كما ذهب إليه المعتزلة.

وأما إن كان فعل الكبيرة عن نسيان أو تأويل خطإ فقد اتفق الكل على جوازه سوى الرافضة.

أما ما ليس بكبيرة فإما أن يكون من قبيل ما يوجب الحكم على فاعله بالخسة ودناءة الهمة وسقوط المروءة كسرقة حبة أو كسرة فالحكم فيه كالحكم في الكبيرة. وأما ما لا يكون من هذا القبيل كنظرة أو كلمة سفه نادرة في حالة غضب فقد اتفق أكثر أصحابنا وأكثر المعتزلة على جوازه عمدًا وسهوًا خلافا للشيعة مطلقًا، وخلافًا للجبائي والنظام وجعفر بن مبشر في العمد)[3].

**٥- قال النووي (ت: ٦٧٦هـ):** (و اختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر

---

(١) «الاستذكار» لابن عبد البر (٣/ ٢٦٦).

(٢) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ١٤٤).

(٣) «الإحكام في أصول الأحكام» (١/ ٢٢٦).

منهم: فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم)[١].

**٦- قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ):** (القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر (أبو الحسن الآمدي) أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول ولم ينقل عنهم ما يوافق القول وإنما نُقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة ثم عن بعض المعتزلة ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين. وعامة ما يُنقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يُقَرون عليها ولا يقولون إنها لا تقع بحال.

وأول من نُقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقًا وأعظمهم قولًا لذلك: الرافضة فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل وينقلون ذلك إلى من يعتقدون إمامته، وقالوا بعصمة علي والاثني عشر.

ثم الإسماعيلية الذين كانوا ملوك القاهرة وكانوا يزعمون أنهم خلفاء علويون فاطميون، وهم عند أهل العلم من ذرية عبيد الله القداح، كانوا هم وأتباعهم يقولون بمثل هذه العصمة لأئمتهم ونحوهم مع كونهم كما قال فيهم أبو حامد الغزالي - في كتابه الذي صنفه في الرد عليهم - قال: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض. وقد صنف القاضي أبو يعلى وصف

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٣/ ٥٤).

مذاهبهم في كتبه، وكذلك غير هؤلاء من علماء المسلمين.

فهؤلاء وأمثالهم من الغلاة القائلين بالعصمة، وقد يُكفرون من ينكر القول بها، وهؤلاء الغلاة هم كفار باتفاق المسلمين)[١].

**٧- قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ):** (وَقد يَقَعُ مِنْهُمُ الذَّنْبُ وَلَا يُقَرُّونَ عَلَيْهِ وَلَا يُقَرُّونَ عَلَى خَطَأٍ وَلَا فِسْقٍ أَصْلًا، فَهُمْ مُنَزَّهُونَ عَنْ كُلِّ مَا يقْدَحُ فِي نُبُوَّتِهِمْ.

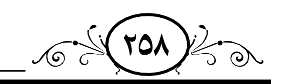
وَعَامَّةُ الْجُمْهُورِ الَّذِينَ يُجَوِّزونَ عَلَيْهِمُ الصَّغَائِرَ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْإِقْرَارِ عَلَيْهَا)[٢].

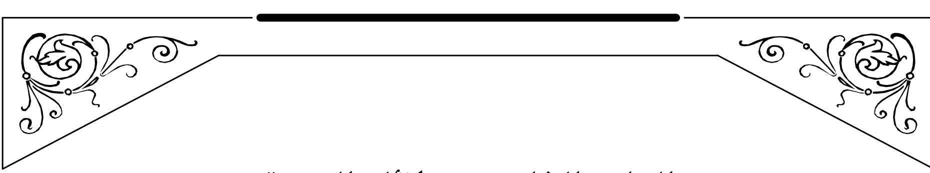
❊ ❊ ❊

---

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٥ / ١٠٥، ١٠٦).

(٢) «المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال».





## الباب الخامس: دلائل النبوة

### تمهيد

من أعظم دلائل النبوَّة ما يؤتيه اللهُ أنبياءَه عليهم السلام من معجزات تخرق العادات، وتعطِّل نواميس الكون وسننه، ويعجز عن فعلها سائر الناس؛ وذلك تأييدًا لهذا الذي أكرمه الله بالنبوة أو الرسالة، وتكريمًا له، وشاهدًا وبرهانًا على صدق ما جاء به من البيِّنات والهدى.

وقد أكرم الله نبيَّه بألوان متعدِّدة من المعجزات التي أجراها على يديه تأييدًا لرسالته، ودفعًا لمن شاهدها إلى التصديق بنبوَّته، وهي من الآيات الباهرة والدلالات الواضحة على صدقه؛ وذلك لأن الله لا يُؤَيِّد الكاذبين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]. ولذا باء بالخزي والخسران وافتضح أمره مَنِ ادَّعى النبوَّة وهو كاذب، كمسيلمة الكذاب[١]،

(١) هو أبو ثمامة مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي: متنبئ، من المعمرين، وفي الأمثال: «أكذب من مسيلمة». وُلد ونشأ باليمامة في القرية المسمَّاة اليوم بالجبيلة، بقرب العيينة بوادي حنيفة في نجد.
ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة وافتتح النبي مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مسيلمة معهم إلاَّ أنه تخلَّف مع الرحال خارج مكة =

والأسود العَنْسِيِّ[(١)] . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد، وذكروا للنبي مكان مسيلمة، فأمر له بمثل ما أمر به لهم، وقال: «لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا». ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى النبي: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعدُ؛ فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشًا قوم يعتدون». فأجابه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ». وذلك في أواخر سنة (١٠هـ)، وأكثر مسيلمة من وضع أسجاع يُضَاهي بها القرآن.

وقد تُوُفِّي النبي قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الأمر لأبي بكر انتدب له أعظم قواده (خالد بن الوليد) على رأس جيش قوي، انتهت المعركة بينهما بظفر خالد ومقتل مسيلمة سنة (١٢هـ).

انظر: «سيرة ابن هشام» (٣/ ٧٤)، و«الروض الأُنُف» للسهيلي (٢/ ٣٤٠)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٣٩٩)، و«الكامل» لابن الأثير (٢/ ١٣٧-١٤٠)، و«فتوح البلدان» للبلاذري (ص٩٤-١٠٠)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٢٦).

(١) هو ذو الخمار، عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي: متنبِّئ مشعوذ، من أهل اليمن، كان بطَّاشًا جبارًا، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتدَّ في أيام النبي فكان أوَّل مرتدٍّ في الإسلام، وادَّعى النبوَّة، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها، فاتبعته مذحج، وتغلب على نجران وصنعاء، واتسع سلطانه حتى غلب على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والأحساء إلى عدن.

وجاءت كتب رسول الله إلى مَن بقي على الإسلام في اليمن بالتحريض على قتله، فقتله أحدهم في خبر طويل أورده ابن الأثير، وكان مقتله قبل وفاة النبي بشهر واحد، وكان بين ظهوره وقتله نحو من أربعة أشهر، ولكنه استطار استطارة الشرر، وتطابقت عليه اليمن ودانت له السواحل؛ حاز عثر، والشرجة، والجردة، وغلافقة، وعدن، وامتدَّ إلى الطائف. انظر: «فتوح البلدان» للبلاذري (ص١١١-١١٣)، و«جمهرة الأنساب» (ص٣٨١)، و«الأعلام» للزركلي (٥/ ١١١).

والمختار بن أبي عبيد الثقفي[١]، وميرزا غلام أحمد القادياني[٢]، وغيرهم.

---

(١) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذَّاب، قال الذهبي: «أسلم في حياة النبي ولم نعلم له صحبة». وقال ابن حجر: «لا ينبغي أن يُروى عنه شيء لأنه ضالٌّ مضلٌّ، كان زعم أن جبرائيل ينزل عليه». وكان قتلُه سنة (٦٧هـ)، ويقال: إنه الكذَّاب الذي أشار إليه النبي بقوله: «يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ». والحديث في صحيح مسلم.
انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/ ٥٣٨)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٣/ ٨).

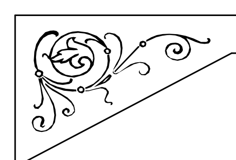
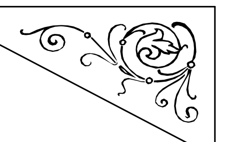
(٢) هو أحمد بن مرتضى بن محمد القادياني الهندي (١٨٣٩ - ١٩٠٨م)، ويسمى ميرزا غلام أحمد بن غلام، نسبته إلى (قاديان) من قرى (بنجاب) وُلِدَ ودُفن فيها، قرأ شيئًا من الأدب العربي، واشتغل بعلم الكلام، وخدم الحكومة الإنجليزيَّة أيام احتلالها للهند مدَّة، عمل بها كاتبًا في المحكمة الابتدائيَّة الإنجليزية بمدينة سيالكوت.
ولما تم القرن الثالث عشر الهجري نعت نفسه بمجدد المائة، ثم أعلن أنه المهدي، وزاد فادَّعى أن الله أوحى إليه: «الحمد لله الذي جعلك المسيح بن مريم، أنت شيخ المسيح الذي لا يضاع وقته، كمثلك در لا يضاع...». وآمن به جمهور من الهنود على أنه نبي تابع للشريعة الإسلاميَّة، وأنه أحمد المعنيّ بآية: «وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» (الصف: ٦)، ووضع كتبًا بالعربية والأرديَّة، منها مما تغلب عليه العربية: (حمامة البشرى إلى أهل مكة وصلحاء أم القرى)، و(ترياق القلوب)، و(حقيقة الوحي)، و(مواهب الرحمن) سنة (١٩٠٣م) في قاديان، جاء فيه: «إنني امرؤ يكلمني ربي، ويعلمني من لدنه، ويُحْسِن أدبي، ويوحي إليَّ رحمة منه، فأتبع ما يوحي» (ص٣)، و«إني أنا المسيح الموعود والإمام المنتظر المعهود، وأوحي إليَّ من الله كالأنوار الساطعة» (ص٢٩)، و«هذه الحكومة حرام على كل مؤمن أن يقاومها بِنِيَّة الجهاد، وما هو جهاد بل هو أقبح أقسام الفساد» (ص٤٤). ولا يزال له أتباع إلى اليوم في الهند وباكستان.
وتصدَّى كثير من معاصريه للردِّ عليه وتكفيره، منهم حسين بن محسن السبعي اليماني في كتابه (الفتح الرباني)، وأنوار الله الحيدر آبادي في (إفادة الأفهام وإزالة الأوهام)، ومحمد علي الرحماني الكانبوري في (الصحيفة الرحمانية) تسعة =

فمن أعظم الافتراءات على الله دعوى النبوة والرسالة كذبًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وهذا القول من ربِّ العالمين يشمل جميع أصناف الذين يعارضون رسله الصادقين(١).

* * *

= أجزاء، وكتب أخرى، ومما كتب الدكتور محمد إقبال: «القاديانية ثورة على نبوة محمد، ومؤامرة ضدَّ الإسلام، وديانة مستقلَّة». وقال الزركلي: «وقال لي أحد علماء الهند: كان الإنجليز أكبر أعوان القادياني على نشر دعوته لإحداث الانشقاق في وَحدة المسلمين بالهند، وصرفهم عن التفكير في مقاومة احتلالهم لبلادهم». مختصر من «الأعلام» (١/ ٢٥٦).

(١) انظر: خاتم الأنبياء والمرسلين رحمة من رب العالمين، مقال بمجلة التوحيد. من الشبكة العنكبوتية.

# الفصل الأول: الآيات والمعجزات

## المبحث الأول: تعريف الآية والمعجزة

### تعريف المعجزة لغة:

أصلها مأخوذ من عجز، قال ابن فارس: العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء[1].

**وخلاصة كلام أهل اللغة[2] في ذلك أن كلمة عجز تطلق على:**

**١- الضعف:**

تقول: عجزت عن كذا، أعجز، أي ضعفت عنه، والعجوز سميت بذلك لعجزها في كثير من الأمور قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ﴾ [هود: ٧٢].

**٢- مؤخر الشيء:**

والجمع أعجاز، وأعجاز الأمور: أواخرها، وعَجْزُ الشيء وعِجْزُه، وعُجْزُه وعَجُزُه وعَجِزُه: آخره. وعجز بيت الشعر: آخره. وعجز المرأة

(١) «معجم مقاييس اللغة» مادة «عجز» (ص٧٣٨).

(٢) انظر «معجم مقاييس اللغة» (ص: ٧٣٨)، و«لسان العرب» ابن منظور (٥/ ٣٦٩-٣٧٣)، و«المفردات» الأصفهاني (ص٣٢٥).

وعجيزتها: مؤخرتها. والعِجْزَة: آخر ولد الرجل. وأعجاز النخل، وأعجاز الإبل، وأعجاز الليل: أواخرها. والأَلْف تسميه العرب العجوز لأنه آخر الأرقام عندها وما بعدها يكرر، فيقال: عشرة آلاف، مائة ألف، ألف ألف.

وصار العجز في التعارف اسمًا للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة، قال تعالى على لسان أحد ابني آدم: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١][(١)].

## تعريف المعجزة في الاصطلاح:

**أما المعجزة في الاصطلاح فهي:** أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، يجريه الله تعالى على يد نبيه، شاهدًا على صدقه.

## شرح التعريف:

ونريد بقولنا: (خارق للعادة) أنها مخالفة لأحكام العادة المألوفة كحرارة النار، وبرودة الثلج، وحدود القدرة البشرية المعتادة، فالمعجزة لا تخضع لهذه الأحكام، ونؤكد أنها مخالفة لأحكام العادة وليست مخالفة لأحكام العقل.

ونريد بقولنا: (مقرون بالتحدي) أن يكون مقصودًا بها تحدي القوم وإثارتهم للإتيان بمثلها حتى تقوم عليهم الحجة عند عجزهم، والتحدي يكون إما بلسان المقال أو بلسان الحال من غير نطق به أو تصريح بالتحدي.

وقد أخطأ بعض الباحثين فأسقط هذا الشرط[(٢)]. معتقدًا أن بعض المعجزات غير مقرون بالتحدي لاعتقاده أن التحدي لا بد أن يكون بلسان

(١) «دراسات في علوم القرآن» فهد الرومي (ص: ٢٥٧).

(٢) «البيان في إعجاز القرآن» د. صلاح الخالدي ص٢٤).

المقال. ونريد بقولنا: (سالم من المعارضة) أنه لا يمكن لأحد أن يأتي بمثلها؛ ولهذا فإن معجزات الأنبياء لا تتكرر فلكل نبي معجزاته الخاصة به لا يأتي أحد بمثلها حتى من إخوانه الأنبياء، وإلا لاشترك الأنبياء كلهم في نوع واحد من الخوارق لا يأتي به أحد غيرهم يدل على نبوتهم، ولهذا الاختلاف حِكم عديدة، وهي صفة يغفل عنها كثير من الباحثين فيقصرون عدم المعارضة على عامة الناس.

ونريد بقولنا: (يجريه الله على يد نبيه) أن المعجزة وإن جاء بها النبي فليست من عنده وليست في قدرته، ولكنها من الله.

ونريد بقولنا: (شاهدًا على صدقه) أن الإتيان بالمعجزة إنما هو لإقامة الدليل على أنه مرسل من ربه وإقامة الحجة على قومه[1].

## المبحث الثاني: المعجزة في القرآن الكريم

ورد في القرآن الكريم استعمال مشتقات كلمة (عجز) نحو ست وعشرين مرة، لكنه لم يرد استعمال مصطلح (معجزة) ولا (إعجاز) في القرآن ولا في السنة.

**ولم يُعرف إطلاق مصطلح (معجزة) على الأمور الخارقة التي تظهر على أيدي الأنبياء ﷺ إلا في أواخر القرن الثاني تقريبًا[2].**

**أطلق القرآن على المعجزة عدة مسميات، منها:**

**١- الآية:**

---

(١) «دراسات في علوم القرآن» فهد الرومي (ص: ٢٥٧).

(٢) «مباحث في إعجاز القرآن» د. مصطفى مسلم(ص١٣).

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩] وقال تعالى على لسان صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣] وقال فرعون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦].

**٢- البينة:**

قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفرعون: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥] وقال صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣].

**٣- البرهان:**

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مخاطبًا نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما أمره أن يلقي عصاه فإذا هي حية وأن يخرج يده فإذا هي بيضاء من غير سوء: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ﴾ [القصص: ٣٢].

**٤- السلطان:**

كما قال الكفار لأنبيائهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وأجاب الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ [المؤمنون: ٤٥، ٤٦][1].

---

(١) «دراسات في علوم القرآن» فهد الرومي (ص: ٢٥٩).



## المبحث الثالث: لفظ الآية والمعجزة

بين أيدينا في كتب علماء الأمة على اختلافهم واختلاف مباحثهم وعلى ألسنتنا جميعًا إلى يوم الناس هذا - لفظان جاريان، هما: لفظ (الآية)، ولفظ (المعجزة)، كان لهما شأنٌ عظيمُ العواقب في (باب آيات الأنبياء) الدالة على صدقهم - وفي فهمها حيثُ وقعا من كتابة الكاتبين، وأقوال الناطقين - وفي استعمالهما أيضًا في أبواب مختلفة من القول والحديث والكتابة.

وقد استخدم الناس قديمًا وحديثًا هذين اللفظين على أنهما (مترادفان) بلا غضاضة.

وهذا (الترادف) قد أفضى إلى خلط يصعب معه تَبَيُّنُ وجه الحق، بل أفضى إلى ما هو أكبر من ذلك، إلى تصورنا أننا فهمنا فهمًا يبلغ بنا غاية اليقين، والحقيقة أن هذا الفهم تلبيسٌ على العقل وتدليسٌ، يستوجب الشك ويمنع من اليقين.

وقد مضت عليَّ سِنون وأنا غارق في (قضية الشعر الجاهلي) أطلب نَفَسًا أو نَفَسَين حتى لا أهلك، فما نجوْتُ من الهلاك حتى فَصلت فصلًا حاسمًا بين هذين اللفظين (المترادفين)، فتنفَّستُ أنفاسًا رَدَّتْ عليَّ حياتي، بحمد الله وحده، فهو الذي أغاثني حيث لا مُغيثَ من خلقه.

وهذا شيء قد كان، مضت عليه أربعون سنةً على الأقل، كنتُ قبلها لا أتَبَيَّن أيًّا من أيٍّ، إنما هو القلق والحيرة والتردُّد في الظلمات لا غير.

أما لفظُ (المعجزة) فقد سلفَ القولُ فيه وفي اشتقاقه، وبعض معناه، وهو لفظٌ مُحْدَثٌ مُوَلَّدٌ، رجَّحتُ أن أبا عبيدة الواسطي صاحب كتاب (إعجاز القرآن) هو أول من ولَّده.

وبَيَّنْتُ أيضًا لِمَ جاء؟ وكيف جاء؟ ومتى بدأ يُزاحم لفظ (الآية) في كتب العلماء وعلى ألسنتهم وأقلامهم - وأن أكثر أهل العلم كانوا يقولون: (آيات الأنبياء)، في معنى البراهين الدالَّة على نُبُوَّتهم.

حتى إذا ما جاء القرن الرابع الهجري بدأوا يقولون: (معجزات الأنبياء) و(آيات الأنبياء) معًا، ثم تزاحم اللفظان على أقلام الكُتاب والعلماء، حتى غلب لفظُ (المعجزة) لفظَ (الآية)، ثم استولى على الأقلام والألسنة إلى يومنا هذا، ودخل لفظُ (الآية) في ظِلِّه حتى قَلَّ قِلَّةً ظاهرة حتى كاد يَخْفى، بل لعله قد غاب غيابًا مشهودًا عن كل بحث في (معجزات الأنبياء) وفي (إعجاز القرآن) خاصة.

وسوف أعود إلى تمام القول في هذا اللفظ (المعجزة) بعد الفراغ من الكلام عن لفظ (الآية).

ولفظ (الآية) في كلام أهل الجاهلية الذين نُزِّل عليهم القرآن، كان له في شعرهم وكلامهم معانٍ آخذٌ بعضُها برقاب بعض:

فالأصل الأول الذي خرجت منه هذه المعاني هو أن (الآية) العلامة، وقد اقتصر أكثر شُرّاح الشعر على تفسيرها حيث وقعت في شعر الشعراء - بهذا المعنى وحده، دون تفصيل؛ فلذلك أردت أن أفصل هنا، ليكون ذلك أبين وأوضح وأهدى.

و(الآية) بمعنى (العلامة) هي العلامة التي تُرَى أو تُسْمَع، فتصبح دليلًا يُهْتَدى به إلى خفي أو غرضٍ أو وجهة. فآية الطريق مثلًا هي العلامة التي يراها المسافر في طريقه، فيتحَرَّى شطرها ويَعْمِدُ إليها، مهتديًا بها.

ثم قالوا لآثار الديار ورسومها أيام مقام أهلها بها، أو عقب رحيلهم عنها، وقبل أن تُغَيِّرها وتطمِسَ بعض معالمها الرياحُ والأمطارُ: (آيات الديار).

فمنه قول النابغة الذبياني [جاهلي]:

**توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع**

**رماد ككحل العين ما إن تبينه ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع**

منازلُ توهَّمها النابغة كما عَهِدَها منذ ستة أعوامٍ، فتغير الرماد على السنين، فصار كآثار كحل العين، وتغير النؤي الذي كان يحجز الماء عن خِبَاء صاحبته، فصار كبقيَّة حوضٍ تهَدَّم، فهو مُتكسِّرٌ لاطئٌ بالأرض بعد شخوصه وبروزه.

ثم قالوا للبناء العالي الذي بُنِيَ ليُسْتَدَلَّ به: (آية). وقد نعى هود عليه السلام على قومه عادٍ، أنهم كانوا يعتمدون إلى كل ربوةٍ مشرفةٍ بارزةٍ فيبنون عليها (آية) عالية، لا لغرض الهداية، بل سفهًا وإسرافًا وتخليدًا لقوتهم وبطشهم.

بهذا المعنى جاءت في آية واحدةٍ من القرآن، وهي قوله تعالى فيما اقتصه من أقوال هود لقومه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩].

ثم قالوا لشخص الرجل وجُثْمانه الذي يُرَى من بعيدٍ، أو في ظلمةٍ، غير بَيِّن الملامح، وذلك لارتفاع شخصه وظهوره الدال على أنه إنسان: (آية).

فمن ذلك قول عُرْوَة بن الورد العبسي [جاهلي] ، يقوله لصاحبته أم حَسَّان، بعد أن جَشَّمَتْه ما جَشَّمَتْه من كَيْدِها بمكانٍ يقال له (غضْوَر):

**عفت بعدنا من أم حسان غضور وفي الرحل منها آية لا تغير**

والذي على الرَّحْل هو شَخْصُه. يعني نفسه وقد لوَّحَتْه الرَّحَلُ والأسفار.

ثم قالوا لكل شيء تسمعه أو تراه، فيذكِّرُك بشيء نسيته أو غفلْتَ عنه، وهو (العِبْرَة) من العِبَر المذكِّرة: (آية).

ومنه قول زهير بن أبي سُلمى المزني [جاهلي]:

**أَرَانِي إذا ما شِئْتُ لاقَيْتُ آية    تذكرني بعض الذي كنت ناسيا**

أي: لقيت عِبْرَةً من العِبَرات تذَكِّرني ما نسيتُ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧].

ثم قالوا لكل شيء يُسْتَدلُّ به على أمر قد كان وحدث، ولا شك عند سامعه في حدوثه، وأن المتحدِّثَ به صادقٌ: (آية)، وأكثر ما تأتي بهذا المعنى مقترنةً بباء الجرِّ.

فمنه قول الحُصَيْن بن الحُمَام المُرِّي [جاهلي]:

**ولكِنْ خُذُونِي أيَّ يوم قَدَرْتُمُ    عَلَيَّ، وجُزُّوا الرَّأسَ أنْ أتَكَلَّمَا**

**بآيَةِ أنِّي قَدْ فَجعْتُ بفَارسٍ    إذا عَرَّدَ الأقْوامُ أقْدَمُ مُعْلَمَا**

وهي هنا بمعنى (الأمارة) التي تكون بين اثنين أو أكثر، تدل بمجرد رؤيتها أو سماعِها، على شيء يعرفونه تمام المعرفة، اتفقوا عليه أو كأنهم اتفقوا عليه. و(الأمارة) هي التي يقول فيها الشاعر الجاهليُّ المُحْسِن الرقيق، يقول لصاحبته:

**إذا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَار، فَإنَّها    أمَارَةُ تَسْليمِي عَليْكِ، فَسَلِّمِي**

جعل طلوع كل شمس في كل صباح أمارةً بينه وبينها على تسليمه عليها.

وهي بهذا المعنى باقيةٌ إلى اليوم في عاميتنا.

ثم قالوا لجماعة القوم إذا رحلوا جميعًا، لحرب أو في سَفْرَةٍ: (آية)، لأنهم عندئذٍ بارزون في بساط الأرض ظاهرون، يقولون: (خرج القوم بآيتهم)، أي: خرجوا جميعًا.

ومنه قول البُرْجِ بن مِسهَر الطائي [جاهلي]:

**خَرَجْنَا مِنَ النَّقْبَيْنِ، لا حَيَّ مِثْلَنَا    بآيَتِنَا، نُزْجِي اللِّقَاحَ المَطَافِلا**

هذه أيضًا أكثر ما تأتي مقترنةً بباء الجر، كالتي قبلها.

ثم سمَّوا (الرسالة) التي يحملها رسولٌ، فيبلِّغُها إلى مَنْ يُرَاد تبليغها إليه، وهي رسالة ملفوظة على الأكثر، أو مكتوبة أحيانًا: (آيةً) لأنها تدل على صاحبها وعلى ما في نفسه.

وهو معنى عزيز أغفلته كتب اللغة، مع استفاضته في شعر عرب الجاهلية، وقد نص عليه أبو جعفر الطبري في أول تفسيره، ومنه قول النابغة الذبياني [جاهلي]:

**مَنْ مُبْلِغٌ عُمْرَو بنَ هِنْدٍ آيَةً؟ ومِنَ النَّصِيحَةِ كَثْرَةُ الإِعْذَار**

أي: من يبلِّغَه رسالةً مِنِّي؟ في شعر كثيرٍ مثله.

ويفسِّر قدماء شرَّاح الشعر (الآية) في مثل هذا الشعر بأنها (العلامة)، وهو تفسير لا يليق، وصواب تفسيرها هو ما قاله أبو جعفر: (الرسالة).

وقد قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: إن (الآية) أيضًا القصة، فيكون معنى (آيات القرآن): (القصص، قِصَّةٌ تتلو قِصَّةً، بفصول ووصول).

ولم أجد في شعر الجاهلية ولا غيرهم ما يجوز معه أن يُحمل معنى (الآية) على أنها (القصة). فمن أجل ذلك أجد هذا الوجه ضعيفًا عندي، وهو تعبير غير مفيد في معنى (الآية)، ولا أدري كيف قاله أبو جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

فهذا المعنى التاسع لا أحب أن أعتد به حتى تثبت عندي صحته.

وبديهة هذه المجاري الثمانية للفظِ (الآية) تقطع قطعًا مُفْضِيًا إلى اليقين أن أهل الجاهلية لو هُمْ كانوا قد سَمِعُوا برجلٍ يفعل فعلًا، تكفي رؤيته ومُعَايَنَتُه في الدلالة على أنه فعلٌ داخلٌ دخولًا مبينًا في قدرة الله وحده سبحانه، وأنه ممتنع أصلًا امتناعًا مبينًا من قدرة البشر؛ لقالوا من فورهم على سليقة مجازهم في لغتهم: (هذه آية!) أو (هذه أمارة!)، أي أنها دليلٌ صادقٌ وشاهدٌ مبين، على أن الرجل قد صدق في دعواه أن الله أرسله نبيًّا،

وأيَّدَه بها دون خلائقه كافة.

فهذا - إذن - معنى ظاهرٌ كل الظهور، جارٍ على مجاز لغة العرب في الجاهلية جريانًا سريحًا، أي سهلًا سريعًا لا يعوقه شيء.

وغير مُسْتَبْعَدٍ عندي أن يكون كان في بعض كلامهم، ثم سقط من ألسنة رواة شعر أهل الجاهلية وكلامهم وأخبارهم، فيما سقط من الشعر والأخبار التي تؤثر.

ولذلك فلابد من التوقف قليلًا ومن التأني في الكشف عن لفظ (الآية) وعن معناه عند أهل الجاهلية الذين نزل عليهم القرآن، فإن هذا الكشف مرتبط ارتباطًا وثيقًا بموقفهم من القرآن في الحالين جميعًا: في حال جَحْدِهم إياه وكفر من كفر به منهم، وفي حال تقبُّلهم نبوَّة تاليه عليهم وإيمان مَنْ آمن منهم به.

ومعرفةُ هذا المعنى معرفةً واضحة تُسْقِطُ الحجاب الكثيف الذي أسدله لفظ (المعجزة) ولفظ (إعجاز القرآن) على حقيقة الوجه الذي آمن عليه من آمن بالله ورسوله ﷺ، والذي كفر عليه من كفر من أهل الجاهلية الذين نزل عليهم القرآن العظيم، (آية) لرسولٍ من أنفسهم جاءهم على فترة من الرسل[1].

* * *

(١) كتاب «مداخل إعجاز القرآن» لمحمود محمد شاكر، دار المدني - جدة -، ط١ (٢٠٠٢م) (ص١٢٤-١٣٣) في بيان معنى الآية.

## المبحث الرابع: شروط المعجزة

**للمعجزة شروط، منها[1]:**

**١- أن تكون من الأمور الخارقة للعادة:**

سواء كانت كلامًا كالقرآن الكريم، وتسبيح الحصى بين يدي الرسول ﷺ وحنين الجذع وكلام الهدهد ونحو ذلك. أو كانت فعلًا كانشقاق القمر، وانفجاز الماء من بين أصابعه ﷺ، وتكثير الطعام القليل ونحو ذلك. أو كانت ترك فعل كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام وعدم إغراق البحر لموسى عليه السلام وقومه وعدم تأثير السم في جسده ﷺ.

والمعجز هو الأمر الخارق للعادة، ولو فَعَل النبي أمرًا غير خارق للعادة ولم يستطع الآخرون فعله فإن الإعجاز ليس في فعله وإنما في منعهم وحبسهم عن الإتيان بمثل فعله، كما لو رفع الرسول يده أو مد رجله أو تكلم بالكلام المعتاد ثم تحدى قومه بالإتيان بمثل فعله أو قوله فلم يستطيعوا ذلك فإن الإعجاز ليس في فعله هذا أو قوله؛ لأنه ليس خارقًا للعادة، وإنما الإعجاز في هذه الحالة في منعهم وحبسهم عن ذلك لكونه هو الأمر غير المعتاد والخارق للعادة.

**٢- أن يكون الأمر الخارق للعادة من الله:**

كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩] وقال الأنبياء عليهم السلام: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١١] وحين قال الكفار

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١/ ٧٠، ٧١)، وانظر «مباحث في إعجاز القرآن» د. مصطفى مسلم (ص١٥-١٧).

للرسول ﷺ: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ [يونس: ١٥] أمره الله أن يقول: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾ [يونس: ١٥].

**٣- سلامتها من المعارضة بالإتيان بمثلها:**

إذ لو استطاع البشر الإتيان بمثلها لما صلحت علامة على أن صاحبها مرسل من ربه، فلا بد لكونها علامة على صدق صاحبها في أنه مرسل من ربه - أن لا يقدر البشر كلهم بل والجن معهم على الإتيان بمثلها؛ لأنها من قدرة الله وحده، كما قال تعالى عن القرآن: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾ [الطور: ٣٤].

**٤- أن تقع وَفق مقتضى قول صاحبها:**

فلا تقع على خلاف قوله، فإذا جاءت على خلاف قوله لم تصلح دليلًا على دعواه ولا دليلًا على صدقه لمخالفتها لمقتضى كلامه، كما حدث لأدعياء النبوة.

**٥- أن تقترن بالتحدي عند وقوعها:**

وذلك لأمرين: أولهما: إثبات عجز المخاطبين عن الإتيان بمثلها وعدم ادعائهم أو مَن بعدهم عدم وجود الداعي للإتيان بمثلها. وثانيهما: إقامة الحجة عليهم عند عجزهم.

ولا يلزم أن يكون التحدي بلسان المقال كما فهمه بعض المعاصرين، وإنما يكون بلسان المقال وبلسان الحال؛ إذ المقام مقام صراع وعناد واحتجاج، يغني فيه الحال عن المقال في بعض المقام.

**٦- أن يستدل بها النبي على صدقه في رسالته:**

إذ الغرض من إظهارها إثبات أمرين: أولهما: أنه صادق في دعوى

الرسالة. ثانيهما: أنه مرسل من الله لا من غيره. فينبغي أن يكون إظهارها لإثبات ذلك لا لغيره دونهما.

**٧- أن يكون ظهور المعجزة أو المعجزات بعد دعوى الرسالة:**

حتى يصح الاستشهاد بها. أما إذا تقدم وقوع الأمر الخارق على دعوى الرسالة فإنه لا يسمى معجزة وإنما يسمى (إرهاصًا) كتظليل السحابة للرسول ﷺ وهو في سفره إلى الشام قبل البعثة[١].

## المبحث الخامس: جواز وقوع المعجزة

لا يشك مؤمن في أن الله ﷻ هو خالق هذا الكون كله صغيره وكبيره ومدبر شئونه وموجد نظامه، والذي يوجد الشيء من العدم أقدر على تغيير سنة من سننه أو نظام من أنظمته، بل أقدر على إعادة خلقه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

فالذي جعل النار حارة في قدرته أن يجعلها باردة، والذي خلق القمر قادر على أن يقسمه إلى نصفين، والذي خلق في السم خاصية قادر على سلبها منه، والذي خلق الثعبان من العدم قادر على خلقه من العصا... وهكذا في بقية المعجزات.

ومَن ينكر هذا فقد أساء الظن بربه وقدرته، واعتقد ربوبية إله عاجز، عياذًا بالله تعالى.

**ومما يحز في النفس ظهور بعض من ينكر الخوارق أو بعضها، ويؤولها بتكلف**

---

(١) «دراسات في علوم القرآن» فهد الرومي (ص: ٢٦٠).

**شديد حتى لا تكون من الأمور الخارقة:**

فيزعم مثلًا أن المرء إذا اعتقد اعتقادًا جازمًا في أمر من الأمور وتيقنه يقينًا قاطعًا أنه يقع وَفق اعتقاده.

فإذا اعتقدت امرأة بكر لم تتزوج ولم يجامعها أحد أنها حامل وتيقنت ذلك فإن الحمل يقع!![١].

ويريدون بذلك تعليل حمل مريم بعيسى عليه السلام فتكلفوا ما هو أغرب من المعجزة، وفروا من خارق إلى أخرق.

وفسروا فلق البحر لموسى عليه السلام بالمد والجزر، والطير الأبابيل. بالجراثيم والميكروبات[٢].

**ونسي أولئك** أن الذي يقدر على جعل الماء سائلًا قادر على أن يجعله متجمدًا أو صليبًا، وما المانع أو المستغرب أن يجعل نوعًا من أنواع الطيور قادرًا على حمل حجارة ورميها على أعداء الله... ونحو ذلك[٣].

❋ ❋ ❋

(١) «تفسير المنار» (٣/ ٣٠٩، ٣١٠).

(٢) حكاية طريفة أسوقها للعظة والعبرة طفل صغير سأله والده: ماذا حفظت اليوم؟ فقال: سورة العصافير. فاستغرب والده وطلب منه قراءتها وحين قرأها وجد أنه فهم من ذكر الطير الأبابيل أنها طيور حقيقية وهو لا يفهم من الطيور إلا العصافير. فانظر لهذا العقل الفطري وانظر لتأويلات أهل العقول الكبيرة!!

(٣) «دراسات في علوم القرآن» فهد الرومي (ص: ٢٦٢).

## المبحث السادس: الفرق بين المعجزة والكرامة

وبِناءً على هذا؛ كان ينبغي أن تزولَ كلُّ شُبَهِهم بخصوص التَّفرقةِ بين المعجزةِ وغيرِها من الخوارقِ، وهذا ما استدعى العلماءَ إلى إيضاحِ كلٍّ من المعجزةِ والكرامة، وبيانِ الفرقِ بينهما، والتَّأكيدِ على أن إثباتَ أحدِها لا يُجيزُ إنكارَ الأخرى؛ فالكلُّ مما جاء القرآنُ بإثباتِه، في هذا التَّقرير المختصَرِ سأعرضُ - قدرَ الإمكانِ - هذا الموضوعَ، لعلِّي أستطيعُ الإلمامَ بمتطلَّباتِه، بعيدًا عن أقوال الفِرَقِ الضَّالة والمصطلحات الكَلاميَّةِ، وسيشتمل التَّقريرُ على عدة مطالب:

### المطلب الأول: معنى المعجزة والكرامة في اللغة:

المُعجزةُ -بفتحِ الجيم وكسرِها - مُفعلة من العَجْزِ، وهو عدمُ القدرةِ[(١)].

والكرامةُ: اسمٌ يوضَعُ للإكرام، كما وُضِعت الطَّاعةُ موضعَ الإطاعةِ، والغارةُ موضِعَ الإغارةِ، والمُكرَّمُ: الرَّجُل الكريمُ على كلِّ أحدٍ، ويقال: كرُمَ الشَّيءُ الكريمُ كرَمًا، وكرُمَ فلانٌ علينا كرامةً[(٢)].

### المطلب الثاني: معنى المعجزةِ والكرامة في الاصطلاح، ومعنى الخارقة والولِيِّ:

المُعجزةُ في الاصطلاح: ما خرَقَ العادةَ من قولٍ أو فعلٍ إذا وافَق دعوَى الرِّسالةِ وقارنَها، على جهةِ التَّحدِّي ابتداءً، بحيثُ لا يقدِرُ أحدٌ على مثلِها ولا على ما يقارِبُها[(٣)].

---

(١) «لسان العرب» (٥/ ٣٦٩) ط الثالثة ١٤١٤هـ - بيروت دار صادر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) «الرسل والرسالات» للدكتور عمر الأشقر (ص١٢١) الطبعة الثالثة.

وعلى ذلك؛ فإنَّ الأمورَ التي تُعْطى للأنبياءِ وليس مقصودًا بها التَّحدِّي - كنبعِ الماءِ من بين أصابعِ الرَّسولِ ﷺ وتكثيرِ الطَّعامِ، ونحوِه - لا تُعَدُّ من بابِ المعجزاتِ.

أيضًا الخوارقُ التي أعطاها اللهُ لغير الأنبياء، ويسمِّيها المتأخِّرون: كرَاماتٍ، وتُعطى للأولياء - لا تُعدُّ من باب المعجزاتِ.

**الكرامة في الاصطلاح:** أمرٌ خارق للعادة، يُظهِرُه الله - تعالى - على يدِ وليٍّ من أوليائِه؛ تكريمًا له، أو نُصرَةً لدينِ الله[1].

كإيتاءِ السَّيدةِ مريمَ - عليها السَّلام - ثَمَر الشِّتاءِ في الصَّيف وثَمَر الصَّيفِ في الشِّتاءِ، ونداءِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لساريةَ أنْ ينحازَ للجبلِ وسماعِ ساريةَ لندائِه مع أن بينهما آلافَ الأميالِ.

**الوليُّ:** كلُّ مؤمنٍ تقيٍّ؛ أي: قائمٍ بطاعةِ اللهِ على الوجه المطلوبِ شرعًا.

**الخارقة:** أمرٌ خارقٌ للعادة، يُجريه الشَّيطانُ على أيدي أوليائِه.

ولعلَّ من أمثلةِ هذه الخوارق ما نراه اليوم من الذين يمشون على النَّارِ أو الماء، أو يجرُّ السيَّارةَ بشعره أو بأسنانه، ومَن يأكلُ الحديدَ أو الزُّجاجَ، كلُّ هذه الأنواع من الشَّعوذة التي يتخيَّلها الناسُ، وهي سِحر العين[2].

### المطلب الثالث: الغرض من المعجزة، وفوائد الكرامة:

**الغرض من المعجزة:** إثباتُ صِدْقِ نبوَّةِ الأنبياء، وأنَّهم رسلٌ من عند الله.

---

(١) «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين» (٤/ ٣١١)، جمع وترتيب فهد السليمان، الطبعة الأخيرة ١٤١٣ هـ دار الوطن للنشر.

(٢) سلسلة «شرح الرسائل للإمام محمد بن عبد الوهاب»، الشرح للشيخ الفوزان (ص٢٧٧) الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

ومن أمثلة ذلك: عدمُ إحراق النَّارِ إبراهيمَ عليه السلام وتحوُّلُ عصا موسى عليه السلام إلى حيَّةٍ، وانشقاقُ القمرِ للرَّسول ﷺ.

**فوائد الكرامة:**

١- بيانُ قدرة الله تعالى.

٢- نُصرة الدِّين، أو تكريمُ الوليِّ.

٣- زيادة الإيمان، والتثبيتُ للوليِّ الذي ظهرت على يديه.

٤- أنها من البُشرى للوليِّ.

### المطلب الرابع: جامع المعجزة والكرامة:

آيةُ الله الخارقة الدَّالة على النبوَّةِ الصَّادقة والوَلاية الصادقة، فهما من جنسٍ واحد؛ ولكن لا يلزمُ من هذا أنْ تكونَ المعجزةُ والكرامةُ متساويتيْنِ في الحقيقةِ[١].

وأن الأمرَ الخارقَ في المعجزة والكرامةِ لا يملِكُ العبدُ الصَّالحُ أن يأتيَ به إذا أراد، كما أن النبيَّ لا يأتي بالمعجزةِ من عند نفسِه، بل اللهُ يأتي بها وحده.

### المطلب الخامس: الفرق بين المعجزة والكرامة:

**أولًا**: تختلف المعجزةُ عن الكرامةِ في أن المعجزةَ تكونُ مقرونةً بدعوى النبوة، بخلاف الكرامةِ، فإنَّ صاحبَها لا يدَّعي النبوة، ولو ادَّعاها لسقطت عنه ولايتُه ولَمْ يُجْرِ اللهُ على يديه أيَّ كرامةٍ.

**ثانيًا**: الوليُّ إنَّما تحصل له الكرامةُ باتِّباعِه للنبيِّ، والاستقامةِ على شرعِه،

(١) «النبوات» لابن تيمية (١/ ٤٠)، تحقيق د. عبد العزيز الطويان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م أضواء السلف.

فكلُّ كرامةٍ في حقِّه هي دليلٌ على صِدْقِ النبيِّ، ولولا اتِّباعُه للنبيِّ ما حصلت له الكرامةُ.

**ثالثًا:** الكرامةُ تظلُّ أحيانًا محكومةً بعواملِ الزَّمان والمكانِ، فما كان في زمنٍ كرامةً لا يكونُ في زمنٍ آخَرَ، فإيتاءُ مريمَ - عليها السلام - ثَمَر الشِّتاء والصيف لا يُعَدُّ كرامةً اليوم في كثيرٍ من البلاد، وكذلك وصولُ صوتِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لساريةَ لَم يَعُدْ كرامةً في عصرنا بعد تقدُّم التُّكنولوجيا ووسائل الاتِّصالات.

بخلاف المعجزةِ فإنَّها تظلُّ على مدى الأزمانِ.

**رابعًا:** إن المعجزةَ قد تتكرَّرُ وتكونُ مصاحبةً لدعوى النبوة، ويبيِّنُ النبيُّ مَن فعَلَها وينسبُها إلى الله، أما الوليُّ فلا يستطيع تكرارَ هذه الكرامة.

**خامسًا:** الولايةُ تترتَّبُ على الإيمان الذي في القلبِ ولا يعلمُه إلا اللهُ - تعالى - فالكرامةُ تُمنَحُ ولا تُطلَبُ. بخلافِ المعجزةِ.

**سادسًا:** الأولياء دون الأنبياء والمرسلين، كما أنَّهم لا يَبلغون درجاتِهم في الثَّواب والفضيلةِ، ولكن قد يشاركونهم في بعضِها[1].

**سابعًا:** إن كراماتِ الأولياء معتادةٌ من الصَّالحين، ومعجزاتُ الأنبياءِ فوق ذلك، فانشقاقُ القمر والقرآنُ وانقلابُ العصا حيَّةً، وخروجُ الناقة - من آياتِهم الكبرى؛ قال - تعالى -: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٢٠]، فالآيةُ الكبرى مختصَّةٌ بهم، أمَّا الآياتُ الصُّغرى، فقد تكون للصالحين، مثل تكثير الطَّعامِ، فقد وُجِدَ لغيرِ واحدٍ من الصالحين، لكن لَم يكنْ كما وُجِدَ

(١) موقع إسلام ويب، عدة كتب، منها:
«شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية» شرح الشيخ ابن عثيمين (ص٢٩٧).
كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

للنبيِّ أنَّه ﷺ أطعمَ الجيشَ من شيءٍ يسيرٍ، فقد يوجَدُ لغيرِهم من جنسِ ما وُجِدَ لهم، لكن لا يماثلونهم في قدره[١].

أمَّا كيفيَّتها - كنار الخليلِ - فإنَّ أبا مسلمٍ الخَولانيَّ وغيرَه صارت النَّارُ عليهم بردًا وسلامًا، لكن لَم تكنْ مثلَ نار إبراهيمَ عليه السلام في عظمَتِها كما وصفوها، فهو مشاركٌ للخليلِ في جنس الآية، كما هو مشارِكٌ في جنس الإيمانِ ومحبَّةِ اللهِ وتوحيدِه، ومعلومٌ أن الذي امتاز به الخليلُ لا يماثِله فيه أبو مسلمٍ وأمثالُه[٢].

## المبحث السابع: الفرق بين المعجزة والسحر

رغم أن اتِّهامَ الأنبياء بالسِّحر اتِّهامٌ قديمٌ، وجَّهَه الكفَّارُ إليهم؛ للتَّنفيرِ منهم، وثَنْيِ النَّاس عن اتِّباعهم، إلا أن القرآنَ الكريمَ قد أبطل هذه التُّهمةَ، وأوضح الفرقَ بين ما جاء به الأنبياءُ من معجزاتٍ، وبين الكَرَامات، وبين سِحرِ السَّحرة وشعوذتِهم.

يتبين هذا الفرق من وجوه عديدة، منها ما يختص بماهية كل منهما، أو بالقرائن المصاحبة لهما، أو باعتبار القصد منهما.

ويمكن إدراج ذلك في ثمانية فروق كالآتي:

---

(١) «النبوات» لابن تيمية (ص٨٠٢).

(٢) الفرق بين المعجزة والكرامة لجوهرة الوثلان على شبكة الألوكة بتصرف يسير.

| المعجزة | السحر |
|---|---|
| ١- مقترنة دومًا بدعوى النبوة، وبالتحدي لإثبات صدقها | ليس فيه دعوى للنبوة، أو تحدٍّ لإثباتها |
| ٢- لا توجد إلا من نبي، ولا يُمكِّن الله أحدًا أن يأتي بمثلها أو بمعارضتها | يوجد من الساحر وغيره، فيمكن معارضته، بل إبطاله. كما يمكن لجماعة الإتيان به في وقت واحد |
| ٣- لا تكون إلا بما يُعجِز الخلقَ الإتيانُ بمثله | لا يبلغ - إجماعًا - ما تبلغه المعجزة من مثل: فلق البحر أو قلب عصا حيةً، أو إحياء موتى ونحوه. |
| ٤- دالّة على فضل وشرف من ظهرت على يديه، ولا يكون المتحدّي بها إلا أفضل الناس خَلْقًا وخُلُقًا، محبب لأصحابه معظم عندهم | دالّ على كفر صاحبه وفسقه، فأثر السحر لا يجري على المسحور إلا حال كون الساحر مفتونًا في دينه خاسرًا لآخرته، ممقوتًّا محتقرًا بين الناس. |
| ٥- خارق للعادة اتفاقًا، ليست مسبَّبة عن أمر عادي | ليس خارقًا للعادة - على قول بعض أهل العلم - بل هو علم بأمر عادي يُجري الله بمشيئته الكونية أثرًا في نفس المسحور عند تعلق نفس الساحر بذلك، أو قيامه بما يوجب السحر. والسحر إن اعتبر خرقًا للعادة - وهو قول الأكثر - فإنه يبقى أنه ليس موجبًا لحدوث أثره، ولا علة مطّردة لوقوعه، ولا سببًا مولّدًا لذلك. بل قد يقع الأثر وقد لا يقع، فهو من جملة ما يُحدِثه الله تعالى ابتلاءً وفتنة عند وجود السحر. |
| ٦- يكون أثرها على كافة الخلق | مختص أثره بمن عُمِل له لا يتعداه. |

| ٧- القصد منها: نصرة الدين ووجوب اتباع المرسلين | القصد منه: إيقاع الضر والأذى، مع الإفساد والإضلال. |
| --- | --- |
| ٨- يكون وقوعها بمحض المنة من الله تعالى على عبده بقصد تأييد دعوى نبوته؛ لهداية قومه | يكون وقوعه من الساحر بعد أشياء يفعلها وقوى يمازج بينها، ومعاناة يتكبدها، وعلوم يتقنها بمشقة، ورياضات وخلوات. |

هذه وجوه ثمانية يتبين بها الفرق بين المعجزة والسحر جليًّا، وقد يكون ثَم غيرها، لكن في ذلك القدر كفاية لبيان خِسّة السحر وأهله، وافتراقهم ظاهرًا وباطنًا عما جاء به المرسلون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[١].

❁ ❁ ❁

(١) «الحذر من السحر» (ص: ٢٠٣).

## المبحث الثامن: الفروق بين المعجزة وبين غيرها من خوارق العادات أخري

**١** – المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد رجل أعطاه النبوة.

**٢ – المعونة:** أمر خارق للعادة يَظهر على يد بعض العوام تخليصًا من شدة.

**٣ – الإهانة:** أمر خارق للعادة يظهر على يد كاذب مدعٍ للنبوة خلاف مطلوبه كما حصل لمسيلمة الكذاب.

**٤ – الاستدراج:** أمر خارق للعادة يظهر على يد فاسق مدعٍ للإلهية، كما يظهر على يد المسيح الدجال.

**٥ – الإرهاص:** أمر خارق للعادة يظهر على يد نبي قبل بعثته، كتظليل الغمام لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

**٦– الشعوذة:** خفة في اليد بوساطتها يرى الشخص أشياء على أنها حقيقية وليست كذلك في الواقع، كما يفعل الحُوَاة.

**٧ – غرائب المخترعات:** هي الناشئة عن معرفة بعض خصائص المادة وأسرار الكون؛ مثل الراديو والتلفزيون وسفن الفضاء وغيرها[١].

❊ ❊ ❊

(١) «تبسيط العقائد الإسلامية» بتصرف يسير (ص: ١٤٥).

## المبحث التاسع: بعض آيات الأنبياء والرسل

**تمهيد:**

إن من آيات الله التي يريها بعض خلقه: معجزات رسله؛ لأن المعجزات آيات، أي: دلالات وعلامات على صدق الرسل، كما قال تعالى في فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه: ٥٦]. وبيَّن في موضع آخر أن من آياته التي يريها خلقه: عقوبته المكذبين رسله؛ كما قال تعالى في قصة إهلاكه قوم لوط: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥] وقال في عقوبته فرعون وقومه بالطوفان والجراد والقمل... إلخ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٣][(١)].

فكل نبي قد أُعطي آية، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ ما مثله من عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٢)].

**قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللهُ: (قَوْله: (مَا مِنْ الْأَنْبِيَاء نَبِيّ إِلَّا أُعْطِيَ): هَذَا دَالّ عَلَى أَنَّ النَّبِيّ لَا بُدّ لَهُ مِنْ مُعْجِزَة تَقْتَضِي إِيمَان مَنْ شَاهَدَهَا بِصِدْقِهِ ، وَلَا

(١) «جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف» (٢/ ٤٢٨).
(٢) أخرجه البخاري في (٦٦) كتاب فضائل القرآن (١) باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، الحديث (٤٩٨١)، وأعاده البخاري في الاعتصام عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بن عبد الله. وأخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان، (٧١) باب وجوب الإيمان برسالة نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلم، الحديث (٢٣٩)، عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ.

يَضُرّهُ مَنْ أَصَرَّ عَلَى الْمُعَانَدَة.

وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلّ نَبِيّ أُعْطِيَ آيَة أَوْ أَكْثَر، مِنْ شَأْن مَنْ يُشَاهِدهَا مِنَ الْبَشَر أَنْ يُؤْمِن بِهِ لِأَجْلِهَا ، وَالْمُرَاد بِالْآيَاتِ: الْمُعْجِزَات.

وكُلّ نَبِيّ أُعْطِيَ مُعْجِزَة خَاصَّة بِهِ، لَمْ يُعْطَهَا بِعَيْنِهَا غَيْره، تَحَدَّى بِهَا قَوْمه، وَكَانَتْ مُعْجِزَة كُلّ نَبِيّ تَقَع مُنَاسِبَة لِحَالِ قَوْمه)[1].

هذا وقد يعطى الرسول الآية (المعجزة) عند تبليغه الوحي أول مرة من غير سؤال وتطلّع، كما حدث لموسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: ٨ - ١٢].

وقد يعطاها الرسول بعد تكذيب القوم له ومطالبتهم بالآية، كما حدث لأغلب الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه: ﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: ٥٣]، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٣ - ١٥٩].

وعلى كلتا الحالتين فإنها هبة من الله سبحانه لرسله، فهو المعطي، وهو الذي يختار نوعها وزمانها ومكانها، ودور الرسول فيها أنها تتجلى على يده.

---

(١) مختصرًا من «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٦).

وليس بالضرورة أن تكون نفس الخارقة التي طلبها القوم، فإن مدلول الخارقة والإيمان والتصديق لصدق الرسول يتحقق بوجود المعجزة مطلقًا، ولا يتوقّف على نوع خاص من المعجزات، بل إن سنّة الله تقضي بتعجيل عذاب الاستئصال للذين لم يذعنوا للآية الخاصة التي سألوها: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ [الأنعام: ٨].

### سنة الله ﷻ في معجزات الأنبياء:

باستعراض معجزات الأنبياء السابقين ومعجزات خاتمهم عليهم الصلاة والسلام أجمعين - نلاحظ أن المعجزة تُختار من بيئة القوم الذين يرسل الرسول إليهم ومن نوع المشهور في عصرهم مما يتلاءم مع مستواهم الفكري ورقيّهم الحضاري؛ لتكون الحجة أقوى.

أ- الأنبياء الذين عاشوا في البلاد العربية كانت معجزاتهم مناسبة لبيئة العرب الصحراوية، فمعجزة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت ناقة غريبة المنشأ والمولد بين نوق أهل البادية ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١٥٤ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٣ - ١٥٦].

ب- وكان السحر منتشرًا بين المصريين عامتهم وخاصتهم استرهبهم فرعون وجنوده به، فجاءت معجزات موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من جنس المشهور بين قومه.

فمن معجزاته الرئيسية:

العصا: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝١٠٧﴾ [الأعراف: ١٠٧].

واليد: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ﴾ [النمل: ١٢].

فظاهر هاتين المعجزتين لا يختلف عما كان متداولًا بين سحرة

فرعون[١]، ولكن أهل الدراية بالسحر كانوا يميّزون بين السحر وبين ما هو خارج قوى السحرة، بل من صنع الله؛ لذا كانوا أول المؤمنين به.

ج- وبعد عصر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ انتشرت الفلسفة الأيونية وهي أساس الفلسفة اليونانية فيما بعد، وكانت تقوم على الأخذ بالأسباب والمسبّبات وتولّد المعلول من العلة في انتظام قائم لا يتخلف، فجاءت معجزات أنبياء بني إسرائيل في هذا العصر خارقة للأسباب والمسبّبات؛ لتثبت أن الكون كله بإرادة مريد مختار، لا يفعل إلا ما يريد ولا يَصدر عنه بغير إرادته الثابتة شيء[٢].

فمعجزات سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مثلًا جاءت مناهضة لتلك النظرية التي تقول إن المخلوقات نشأت عن الموجد الأول نشوء العلة من المعلول. فكانت حياة نبي الله سليمان في ملكه تجري على هدم هذا النظر.

فمن معجزاته:

- تسخير الجن والطير له.

قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩- ٨١].

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ

---

(١) «المعجزة الكبرى» للشيخ محمد أبي زهرة (ص ٤٣٧).

(٢) المصدر السابق.

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٦، ١٧].

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨- ٤٠].

- تعليمه منطق الطير والحيوان ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [النمل: ١٦ - ٢٠].

- تسخير الريح له: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ﴾ [سبأ: ١٢].

د- وفي عصر اليونان ازدهر الطب والفلسفة المبنية على الأسباب أيضًا، فكانت معجزات عيسى عليه السلام من جنس ما اشتهر في هذا العصر:

- فكانت ولادته إبطالًا صارخًا لهذه النظرية، فإن المعتاد في حياة الكائنات الحية أن المولود يولد من أبوين، فجاء عيسى عليه السلام من غير أب، فكان ذلك خرقا للأسباب الطبيعية الجارية... ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ١٧ - ٢١].

وتحدّثه في المهد حديث الحكماء. . . ﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٣].

- وتصويره من الطين كهيئة الطير ثم نفخه فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وإحياؤه الموتى بإذن الله، وإبراؤه الأكمة والأبرص بإذن الله. . . ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

هـ- وقبل بعثة خاتم النبيين بلغت الفصاحة والبلاغة وفنون القول شأوًا بعيدًا، وأخذت الكلمة مكانًا في نفوس العرب من التقديس والتعظيم لم يبلغه شيء آخر، مما حدا بهم أن يعلّقوا المعلّقات السبع في جوف الكعبة، وإذا علمنا أن الكعبة كانت تعتبر أقدس مكان عند العرب في جاهليتهم أدركنا مكانة الكلمة في نفوسهم. كانت القصيدة تفعل فعلها في القبائل وربما نَزَّلت منزلة قبيلة إلى الحضيض لأن شاعرًا أقذع في هجائها. وربما ارتفعت مكانتها لأن شاعرًا قد أجاد في تمجيد مآثرها. (وحادث بني أنف الناقة)[1] وما جرى بين الحطيئة (والزّبرقان)[2] يدلنا على مدى ترك الكلمة

(١) كان بنو أنف الناقة يخجلون من هذه التسمية ويتهربون من الانتساب إلى هذه القبيلة، إلى أن جاء أحد الشعراء وقال قصيدة في مدحهم وَرَد فيها:

**قوم هم الأنف والأذناب دونهم ... ومَن يسوي بأنف الناقة الذَّنَبا**

فصار أبناء القبيلة يفتخرون بعد ذلك بنسبتهم إلى قبيلة (أنف الناقة).

(٢) هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر وكان من أسياد بني تميم، ومن جملة ما قاله فيه: =

أثرًا في نفوس القوم.. فكانت معجزة خاتم النبيين في الكلمة والقول.

والحكمة الإلهية في اختيار المعجزة من جنس ما اشتهر بين القوم - هي أن الإنسان إذا أُوتي من قِبل ما يعتبره مفخرته ومجال إجادته واعتزازه، تكون الحجة عليه أقوى والمعجز أكثر فعلًا وأثرًا.

ولتكون معجزة النبي الخاتم أشدّ لمعانًا وأسطع برهانًا فقد جعل الله معجزته كتابًا متلوًّا معجزًا، وهو الإنسان الأمي الذي لم يخطّ بيده كتابًا ولم يتلقَّ من أحد من البشر معرفة.

و- لا يلزم أن ينص القرآن أو السنة على معجزة كل نبي، فهذه المعجزة لم تأتِ إلينا نحن، ولا يترتب على معرفتنا بها عمل، ولسنا مطالبين بالإيمان بالأنبياء الصادقين لأجل معجزاتهم؛ فإنها مضت معهم وانقضى زمانها، وإنما نؤمن بالأنبياء السابقين لأجل الخبر الصادق في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عنهم. اللذي يعنينا أن نعلم أن أنبياء الله قد أُرسلوا إلى أقوامهم، وأنهم أتوهم بالحجج والبينات الكافية لتصديقهم والإيمان بهم، قد نعلم ببعض آياتهم، وقد لا نعلم بها، كما أننا نعلم من أسماء الأنبياء وأحوالهم ما أتانا به الخبر الصادق، ونجهل. كذلك. من أسماء أنبياء الله وسيرهم ما لم يخبرنا به الوحي الصادق.

❊ ❊ ❊

---

= دع المكارم لا ترحل لبغيتها      واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فشكاه الزبرقان إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: ما أرى أنه قد هجاك، ومع ذلك فلندعُ شاعر رسول الله ﷺ: حسان بن ثابت ولنرَ رأيه. فاستدعى حسان بن ثابت، فلما قرأ البيت قال: يا أمير المؤمنين إنه لم يهجه بل سلح عليه!!

## بعض آيات الأنبياء والرسل

### معجزة آدم عليه السلام:

قد كانت معجزة ادم عليه السلام معرفته وعلمه للأسماء من غير قراءة ولا كتاب، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٣١].

### معجزات إبراهيم عليه السلام:

#### ١- إبراهيم عليه السلام ومعاينة إحياء الموتى:

ذكر الله عز وجل في كتابه براهين كثيرة على قدرته سبحانه وتعالى في إحياء الموتى؛ كقصة بني اسرائيل الذين كانوا مع موسى عليه السلام فأخذتهم الصاعقة بجرمهم ثم أحياهم الله عز وجل فضلًا منه ومنّة. وقصة الرجل الذي أماته الله عز وجل مئة عام ثم بعثه.

ومن تلك القصص والبراهين ما أخبر سبحانه وتعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه سأل ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى ليحصل له الاطمئنان في القلب ويصل إلى درجة عين اليقين ويعاين قدرة الله تعالى في إحياء الموتى.

قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

لما طلب إبراهيم عليه السلام من ربّه أن يعاين كيفية إحياء الموتى قال الله عز وجل له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ﴾ قال عليه السلام: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ وفيها أن الله عز وجل بيّن لكل الخلق أن إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكًّا قط في إحياء الله عز وجل للموتى،

وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النّفوس مستشرفة إلى رؤية ما أُخبرت به، كيف يدعّي مدّعٍ أن إبراهيم كان شاكًّا في ذلك وهو الذي حاجّ النّمرود في قوله: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فإن الأمر لا يستقيم ، ثم إن الشكّ يَبعُد عمن تثّبت قدمه في الإيمان من غير النبوّة والرسالة فكيف بمرتبة النبوّة والخُلّة. وثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين أنه قال: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى. قال: أولم تؤمن. قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي**» ومعناه أنه لو كان ابراهيم عليه السلام شاكًّا لكنا نحن أحق بهذا الشّك ونحن لا نشك، يقصد نفسه ﷺ وأصحابه الأبرار ثم الذين من بعدهم، فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام .

**وما أجمل ما رُوي عن حبر الأمّة الفقيه ذاك الغاص الغوّاص، عبد الله بن عبّاس، لما التقى بعبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنه **فقال ابن عباس لعبد الله بن عمرو بن العاص:** أي آية في القرآن أرجى عندك؟ فقال عبد الله بن عمرو: قول الله ﷻ ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] فقال ابن عباس: لكن أنا أقول: قول الله ﷻ ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ وقال: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَرْجَى عِنْدِي مِنْهَا.

**وقول ابن عباس: (إنها أرجى آية في كتاب الله) لعدة أسباب، منها:**

١- قال الإمام القرطبي رحمه الله في ما معناه: إن الله ﷻ قَبِل من إبراهيم عليه السلام قوله: (بلى) أي إنّ الإيمان كافٍ لا يُحتاج معه إلى تنقير وبحث وطلب معاينة ومشاهدة.

٢- أن النّفوس قد يعترض فيها وسوسة الشيطان وإلقاء الشُّبه في الصدور

الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «**ذاك صريح الإيمان**» أي انه لا يضر المؤمن بل فيه إشارة إلى ثباته ويقينه.

٣- هذه الآية فيها دليل على قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى عِيانًا أمام البشر وتجلّي قدرته ﷻ في إعادة الخلق كما بدأه أول مرّة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

**فالحاصل** أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرتقي إلى درجة عين اليقين في إحياء الله ﷻ للموتى، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ليس الخبر كالمعاينة**»، فأجاب الله ﷻ دعوته محبّة له ورحمة لعباده ليظهر لهم من دلائل وبراهين قدرته ﷻ ليزداد الذين آمنوا ايمانًا، قال ﷻ: ﴿**قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ أي: خذ أربعة من الطير ولم يبيّن أي الطيور هي، فآية الإحياء حاصلة بأي نوع من الطيور، ثم أمره ﷻ أن يضمّهن ويذبحهن ويمزقن، ثم يفرّق أجزاءهن على الجبال. فلما فعل ذلك عليه السلام أمره الله ﷻ أن يَدْعُهن بأسمائهن، فلما دعاهن أقبلن إليه مسرعات طائرات لا ماشيات؛ لأن السعي هو الإسراع لا المشي، وإنما أقبلت الطيور التي كانت ممزقة ومتفرّقة على رؤوس الجبال على إبراهيم عليه السلام طائرات على أكمل ما يكون من الحياة ليكون ذلك ظاهرًا علنًا، يُشاهَد من قرب ومن بعد.

**قال الشيخ عبد الرحمن السعدي** رحمه الله: (وفيه تنبيه على أن البعث فيه يظهر للعباد كمال عزة الله وحكمته وعظمته وسعة سلطانه، وتمام عدله وفضله).

**٢- البلاء المبين في ذبح إبراهيم عليه السلام لابنه الأكبر اسماعيل عليهما السلام:**

كان إبراهيم عليه السلام يزور زوجه هاجر وابنه اسماعيل عليه السلام من حين لآخر، وفي إحدى هذه الزيارات رأى إبراهيم عليه السلام في منامه أن الله ﷻ يأمره بذبح

ولده إسماعيل، ورؤية الأنبياء حق لأنها بمنزلة الوحي من الله ﷻ.

قال الله تعالى مخبرًا عن ذلك البلاء المبين: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠١ - ١١١].

لمّا رغب إبراهيم عليه السلام بالولد دعا ربّه قائلًا: رَبِّ هَبْ لِي ولدًا يكون مِنَ الصَّالِحِينَ ينفعني في حياتي وبعد مماتي. فاستجاب اللّه له وقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي: لما أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنًّا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته وأقبلت منفعته، قال له إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء وحي ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾ فإن أمر اللّه تعالى لا بد من تنفيذه، قال إسماعيل عليه السلام صابرًا محتسبًا، مرضّيًا لربه، وبارًّا بوالده: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ﴾ يعني امضِ لما أمرك اللّه ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فأخبر أباه أنه موطّن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة اللّه تعالى؛ لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة اللّه تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ يعني لما انقاد واستسلم إبراهيم وابنه إسماعيل لأمر الله عز وجل، فالوالد انقاد واستسلم لأمر الله بقتل ابنه وثمرة فؤاده؛ امتثالًا لأمر ربه، وخوفًا من عقابه، والابن قد استسلم بأن وطَّن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه، ورضا والده وطاعته، تلّ

إبراهيمُ إسماعيلَ على جبينه ليضجعه فيذبحه، وقد انكب لوجهه لئلا ينظر إلى وجه ابنه وقت الذبح.

وفي تلك الحال المزعجة، والأمر المدهش ناداه الله ﷻ: ﴿أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ أي: قد فعلتَ ما أُمرتَ به، فإنك وطَّنت نفسك على ذلك، وفعلت كل سبب، ولم يَبْقَ إلا إمرار السكين على حلق ابنك إسماعيل ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٨٠﴾ في العبادة والاستسلام والتسليم لأوامر الله ﷻ، والمحسنين في تقديم رضا الله ﷻ على شهوات أنفسهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَـٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦﴾ أي: إن هذا الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام هو الامتحان الواضح، الذي تبين به صفاء إبراهيم وكمال محبته لربه وخُلته، فإن إسماعيل عليه السلام لما وهبه اللّه لإبراهيم، أحبه حبًّا شديدًا، وهو خليل الرحمن، والخُلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلما تعلقت شعبة من شُعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفي وُدَّه ويختبر خُلته، فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه، فلما قدّم حب اللّه وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه؛ فلهذا قال: ﴿وَفَدَيۡنَـٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝١٠٧﴾ فصار بدله ذبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم، فكان عظيمًا من جهة أنه كان فداء لإسماعيل عليه السلام، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قربانًا وسنة إلى يوم القيامة.

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٧٨ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝١٠٩﴾ أي: وأبقينا عليه ثناء صادقًا في الآخرين كما كان في الأولين، فكل وقت بعد إبراهيم عليه السلام فإنه

محبوب مُثنى عليه وعليه التحية من الله ﷻ وهو الثناء والمباهاة بالخليل عليه السلام، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠﴾ في عبادة اللّه، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة والثناء الحسن.

ثم قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١﴾ بما أمر اللّه بالإيمان به، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥].

**٣- النار لا تحرق الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:**

قال تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

فقد عاب إبراهيم عليه السلام على قومه في العراق شركهم بالله وعبادتهم الأصنام، وجادل أباه وقومه في ذلك، ثم أراد أن يَلفت أنظارهم إلى باطل ما هم عليه من عبادة غير الله بما جاء به من حجج مقنعة وقوية وقيامه بتكسيره أصنامهم إلا كبيرهم، ولكن لم يرجعوا عن كفرهم وضلالهم، وإنما قرروا قتله بإلقائه في النار فنجاه الباري تعالى منها.

هذه السطور هي ملخص سريع لمعجزة خروجه عليه السلام من النار ونجاته منها.

**معجزات موسى عليه السلام والخلاف حول عددها:**

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ۝١٠٠﴾ [الإسراء: ١٠٠].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١].

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ بَعَثَ مُوسَى بِتِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، وَهِيَ الدَّلَائِلُ الْقَاطِعَةُ عَلَى

صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَمَّنْ أَرْسَلَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَهِيَ: الْعَصَا، وَالْيَدُ، وَالسِّنُونَ، وَالْبَحْرُ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ، آيَاتٍ مُفَصلاتٍ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: هِيَ الْيَدُ، وَالْعَصَا، وَالْخَمْسُ فِي الْأَعْرَافِ، والطَّمْسَة وَالْحَجَرُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ وَالشَّعْبِيُّ، وَقَتَادَةُ: هِيَ يَدُهُ، وَعَصَاهُ، وَالسِّنُونَ، وَنَقْصُ الثَّمَرَاتِ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ.

وَهَذَا الْقَوْلُ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ حَسَنٌ قَوِيٌّ. وَجَعَلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ السِّنِينَ وَنَقْصَ الثَّمَرَاتِ وَاحِدَةً، وَعِنْدَهُ أَنَّ التَّاسِعَةَ هِيَ: تَلَقُّفُ الْعَصَا مَا يَأْفِكُونَ. ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] أَيْ: وَمَعَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَمُشَاهَدَتِهِمْ لَهَا، كَفَرُوا بِهَا وَجَحَدُوا بِهَا، وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا، وَمَا نَجَعَتْ فِيهِمْ، فَكَذَلِكَ لَوْ أَجَبْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَأَلُوا مِنْكَ سَأَلُوا، وَقَالُوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] إِلَى آخِرِهَا، لَمَا اسْتَجَابُوا وَلَا آمَنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى - وَقَدْ شَاهَدَ مِنْهُ مَا شَاهَدَ مِنْ هذه الآيات -: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ قِيلَ: بِمَعْنَى سَاحِرٍ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

فَهَذِهِ الْآيَاتُ التِّسْعُ الَّتِي ذَكَرَهَا هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ هِيَ الْمُرَادَةُ هَاهُنَا، وَهِيَ الْمَعْنِيَّةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝١٢﴾ [النمل: ١٠ -١٢]. فَذَكَرَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: الْعَصَا

وَالْيَدَ، وَبَيَّنَ الْآيَاتِ الْبَاقِيَاتِ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَفَصَّلَهَا.

وَقَدْ أُوتِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً، مِنْهَا ضَرْبُهُ الْحَجَرَ بِالْعَصَا وَخُرُوجُ الْأَنْهَارِ مِنْهُ، وَمِنْهَا تَظْلِيلُهُمْ بِالْغَمَامِ، وَإِنْزَالُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا أُوتُوهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِمْ بِلَادَ مِصْرَ، وَلَكِنْ ذَكَرَ هَاهُنَا التِّسْعَ الْآيَاتِ الَّتِي شَاهَدَهَا فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، وَكَانَتْ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فَخَالَفُوهَا وَعَانَدُوهَا كُفْرًا وَجُحُودًا[1].

**وقد حاول البعض[2] الجمع فقال: إن الآيات التي أرسلها سبحانه وتعالى من أجل موسى عليه السلام ثمان عشرة آية أو مُعجزة، وهي:**

**١- العصا:**

قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل: ١٠].

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: ٣١]، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٧ - ٢١].

- ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأعراف: ١١٧] - ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٥/ ١٢٤).

(٢) هو عز الدين بن نجيب.

- ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الشعراء: ٤٥].

**٢- اليد البيضاء:**

- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأعراف: ١٠٨].

- ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: ٣٢].

- ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه: ٢٢].

**٣- الطوفان.**

**٤- الجراد.**

**٥- القمل.**

**٦- الضفادع.**

**٧- الدم.**

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

**٨- السنون ونقص الثمرات:**

(لأن السنين هي الجدب والقحط، ونقص الثمرات هي نتيجة ذلك؛ فهي ليست مُعجزة مستقلة، ولكنها تفصيل).

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠].

**٩- الطمس على الأموال:**

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟

ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

**١٠ - فلق البحر:**

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٣].

**١١- انبجاس الماء من الحجر:**

﴿۞وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: ٦٠].

**١٢- التظليل بالغمام.**

**١٣- المن والسلوى:**

﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف: ١٦٠].

**١٤- دك الجبل:**

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

**١٥- ألواح التوراة:**

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

**١٦- رفع الطور أو نتق الجبل:**

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: ٦٣].

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ١٧١].

**١٧- الصاعقة:**

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: ٥٥].

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣].

**١٨- البقرة الصفراء وإحياء الموتى:**

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٦٧-٧٣].

**إذن فكيف يذكر القرآن أنها (تسع آيات أي معجزات) مع أن هنا عددها ثماني عشرة مُعجزة؟**

**فقد يكون الامر كما يلي:**

نعود إلى الآيات:

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: ١٢].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: ١٠١].

فالآية الأولى تقول: تسع آيات إلى فرعون وقومه. والآية الثانية تقول: إذ جاءهم فقال له فرعون. أي: الآيات التي لفرعون وقومه فقط.

وإذن فالجمع فالتسع آيات هي التسع الأولى في القائمة التي كتبتها، وهي:

١- العصا ٢- اليد ٣- الطوفان ٤- الجراد ٥- القُمَّل ٦- الضفادع ٧- الدم ٨- السنون ونقص الثمرات ٩- الطمس على الأموال.

والمعجزة يُظهرها الله للقوم كي يُؤمنوا بالله، وعندما لا يُؤمنون بها يُرسل عليهم العذاب.

ولذلك فالآية العاشرة (لم تكن لفرعون وقومه) كي يتعظوا بها، (ولكنها كانت للقضاء عليهم) كي لا يُؤمنوا حتى يروا العذاب كما طلب سيدنا موسى عليه السلام.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].

وباقي الآيات أو المعجزات (من ١١ إلى ١٨) كانت في سيناء وكانت لقوم موسى فقط، وهذا ما أشار إليه ابن كثير والله أعلم[١].

### من معجزات صالح عليه السلام:

قال تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ [هود: ٦٤] (الكلام يدل على أنهم اقترحوا عليه أن يأتيهم بمعجزة، وبالأخص الناقة؛ فقالوا: أخرِج لنا ناقة عظيمة عشراء من الجبل أو الصخرة تدل على صدق دعواك الرسالة. فصلى ركعتين ودعا الله، فاضطربت الصخرة حتى خرجت منها الناقة العشراء الجوفاء العظيمة، فكانت المواشي تشرد منها فتشرب جميع المياه ويسقيهم كلهم من لبنها، واليوم الآخر تترك المياه فتستقي مواشيهم؛ كما قال تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾﴾ [القمر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩])[٢].

وقال الشيخ الأمين رحمه الله في موضع آخر: (فأخرج الله الناقة من تلك الصخرة معجزة لصالح، وفتنة لهم؛ أي ابتلاء واختبارًا، وذلك أن تلك الناقة معجزة عاينوها، وأن الله حذرهم على لسان نبيه صالح من أن يمسوها بسوء، وأنهم إن تعرضوا لها بأذى أخذهم الله بعذابه)[٣].

---

(١) «معارج الصعود» (ص١٦٢) بتصرف يسير.
(٢) «معارج الصعود» (ص١٦٢).
(٣) «أضواء البيان» (٧/ ٧٢١).

وقد ذكر الأمين رَحِمَهُ اللَّهُ أنها معجزة لكونها خرجت من الصخرة لا لكونها تشرب كل الماء أو لكثرة لبنها.

وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا أن قومًا يزعمون أن فصيل الناقة هو الدابة التي تخرج آخر الزمان، ثم بَيَّن عدم صحة ذلك، فقال: (وكل ذلك قصص لا معول عليها ولا ثبوت لها، والله أعلم بقصة الفصيل؛ لأن القرآن لم يبين ما كان مصيره. ولم يثبت خبره بوحي صحيح، وإنما هي روايات يحكيها المؤرخون والمفسرون)[١].

## معجزات عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١- ولادته عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير أب، وهذا أمر خارق لعادة الناس في التناسل والتكاثر، وهو أمر سهل هين على الله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: ٢١].

٢- نطقه في المهد حيث تكلم بكلام مفهوم معقول كحديث الرجل الكامل في خِلقته.

٣- نفخ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في تمثال مصنوع من الطين على هيئة الطير، فصار طيرًا بإذن الله.

٤- إبراء الأعمى والأبرص بإذن الله تعالى.

٥- إحياء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لعدد من الموتى بإذن الله.

٦- كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ينبئ أصحابه بالطعام والشراب الذي يأكلونه أو يدخرونه في بيوتهم بإذن الله.

---

(١) ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ في الشريط رقم (٣)، من تفسير سورة الأعراف، عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ (الأعراف، الآية ٧٣).

٧- أنزل الله المائدة من السماء كطلب القوم لتكون لهم آية بإذن الله.

**يقول الله تعالى عن معجزات عيسى** عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

ويقول سبحانه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ويقول سبحانه: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٤، ١١٥][1].

* * *

(١) «دعوة الرسل عليهم السلام» (ص: ٤٧٠).

## المبحث العاشر: بعض معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين[(١)]

### المعجزات السماوية:

**١- انشقاق القمر:**

وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ كُلِّهِ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ فِرْقَتَيْنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢].

وَقَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ مَعَ بَقِيَّةِ الْأَئِمَّةِ عَلَى أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ كَانَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ بِذَلِكَ مِنْ طُرُقٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ الْأُمَّةِ.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: (سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢][(٢)].

**٢- اسْتِسْقَاؤُهُ عليه السلام رَبَّهُ عز وجل لِأُمَّتِهِ حِينَ تَأَخَّرَ الْمَطَرُ فَأَجَابَهُ:**

وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْآيَاتِ السَّمَاوِيَّةِ فِي بَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ: اسْتِسْقَاؤُهُ عليه السلام رَبَّهُ عز وجل لِأُمَّتِهِ حِينَ تَأَخَّرَ الْمَطَرُ، فَأَجَابَهُ إِلَى سُؤَالِهِ سَرِيعًا بِحَيْثُ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ

---

(١) اختصرت مادة هذا المبحث من «البداية والنهاية» لابن كثير (ص: ٢٥).

(٢) أخرجه البخاري من حديث سعيد عن قتادة، حدثنا أَنس، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ... فذكره «فتح» (٦/ ٣١٩) كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة. وكذلك أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك من حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم (ص٢١٧٥، ٢١٧٦).

مِنْبَرِهِ إِلَّا وَالْمَطَرُ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: ثَنَا مُحَمَّدٌ- هُوَ ابْنُ سَلَامٍ- ثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ، ثَنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَذْكُرُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ وُجَاهَ الْمِنْبَرِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا يُغِيثُنَا!! قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا**».

قَالَ أَنَسٌ: وَلَا (وَاللَّهِ) مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةٍ[1] وَلَا شَيْئًا، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ. قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ. قَالَ: وَالله مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا.

ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، ادْعُ اللهَ ينسمها.

قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالجِبَالِ وَالظِّرَابِ[2] وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**»، قَالَ: فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ.

قال شريك: فسألت أنسًا: أهو الرجل الذي سأل أولًا؟ قال: لا أدري[3].

---

(١) قزعة: سحاب متفرق.

(٢) الظراب: التالة والجبال المنبسطة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء (١٠١٣) (١٣/ ٥٣٠).

**الْمُعْجِزَاتُ الْأَرْضِيَّةُ: مِنْهَا مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْجَمَادَاتِ:**

**١- نبع الماء من بين أصابعه ﷺ:**

فَمِنَ الْمُتَعَلِّقِ بِالْجَمَادَاتِ تَكْثِيرُهُ الْمَاءَ فِي غَيْرِ مَا مَوْطِنٍ عَلَى صِفَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ سَنُورِدُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَبَدَأْنَا بِذَلِك لِأَنَّهُ أَنْسَبُ بِإِتْبَاعِ مَا أَسْلَفْنَا ذِكْرَهُ مِن اسْتِسْقَائِهِ وَإِجَابَةِ اللَّهِ لَهُ:

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاةُ الْعَصْرِ وَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِك الإنَاءِ فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتوضَّئُوا مِنْهُ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ[١].

**٢- انقياد الشجرة لرسول الله ﷺ:**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ فِيهِ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، وَإِذَا بِشَجَرَتَيْنِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**»، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالبَعِيرِ المَخْشُوشِ[٢] الذي بصانع قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الْأُخْرَى فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ (بِإِذْنِ اللَّهِ)**» فَانْقَادَتْ مَعَهُ (كَذَلِك) حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمُنْتَصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لَاءَمَ بَيْنَهُمَا- يَعْنِي جَمَعَهُمَا- فَقَالَ: «**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**»، فَالْتَأَمَتَا.

قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ الله بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب (٣٥٧٣) (١٠/ ٤٣٠).

(٢) البعير المخشوش: هو البعير الذي يكون في أنفه عود يُشد به حبل لينقاد به.

فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِذَا بِالشَّجَرَتَيْنِ قَدِ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله وَقَفَ وَقْفَةً فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا: يَمِينًا وَشِمَالًا، ثُمَّ أَقْبَلَ.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالَ: «**يَا جَابِرُ هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟**» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا فَأَقْبِلْ بِهِمَا حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ شِمَالِكَ**».

قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَدَّدْتُهُ فَانْدَلَقَ[1] لِي فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي، ثُمَّ لَحِقْتُ فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَقُلْتُ: فَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: «**إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرْفَعَ ذَلِكَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطِبَيْنِ**».

قَالَ: فَأَتَيْنَا الْعَسْكَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا جَابِرُ نَادِ الوَضُوءَ**»، فَقُلْتُ: أَلَا وَضُوءَ أَلَا وَضُوءَ أَلَا وَضُوءَ؟

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَدْتُ فِي الرَّكْبِ مِنْ قَطْرَةٍ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُبْرِدُ لِرَسُولِ الله فِي أَشْجَابٍ لَهُ عَلَى حِمَارَةٍ مِنْ جَرِيدٍ.

قَالَ: فَقَالَ لِي: «**انْطَلِقْ إِلَى فُلَانٍ الأَنْصَارِيِّ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ؟**».

قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَنَظَرْتُ فِيهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي غر[2] لا شجب[3] مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أَفْرَغْتُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله

---

(١) اندلق: التقدم، وكل ما ندر خارجًا.

(٢) الغر: الشق في الأرض والنهر الدقيق.

(٣) الشجب: الخشاب الثلاث التي يعلق دلوه ومسقاه.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي غر لا شجب مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أَفْرَغْتُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ.

قَالَ: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِ**»، فَأَتَيْتُهُ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَغَمَزَنِي بِيَدِهِ ثُمَّ أَعْطَانِيهِ فَقَالَ: «**يَا جَابِرُ نَادِ بِجَفْنَةٍ**»، فَقُلْتُ: يَا جَفْنَةَ الرَّكْبِ، فَأُتِيتُ بِهَا تُحْمَلُ فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله بِيَدِهِ فِي الْجَفْنَةِ هَكَذَا فَبَسَطَهَا وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ وَضَعَهَا فِي قَعْرِ الْجَفْنَةِ وَقَالَ: «**خُذْ يَا جَابِرُ فَصُبَّ عَلَيَّ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ**»، فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُول اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ وَدَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ فَقَالَ: «**يَا جَابِرُ نَادِ مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ**»، قَالَ: فَأَتَى النَّاسُ فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا، فَقُلْتُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الجَفْنَةِ وَهِيَ مَلْأَى.

قال: وشكا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْجُوعَ، فَقَالَ: «**عَسَى اللَّهُ أَنْ يُطْعِمَكُمْ**»، فأتينا سيف البحر[١] فزجر زجرة فألقى دابة فأورينا على شقها النار فطبخنا واشتوينا وأكلنا وشبعنا.

قال جابر: فدخلت أنا وفلان وفلان وفلان - حتى عد خمسة - في محاجر عينها ما يرانا أحد، حتى خرجنا وأخذنا ضلعًا من أضلاعها فقوسناه ثم دعونا بأعظم جمل في الركب وأعظم حمل فِي الرَّكْبِ وَأَعْظَمَ كِفْلٍ فِي الرَّكْبِ فَدَخَلَ تحتها ما يطاطئ رأسه[٢].

### ٣- تَكْثِيرُهُ اللَّبَنَ في مَوَاطِنَ:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ

---

(١) سيف البحر: سمكة بحرية ذات منقار.

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) في كتاب الزهد، باب: حديث جابر الطويل.

الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَدِمْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيَسْتَتْبِعَنِي فَلَمْ يَفْعَلْ، فَمَرَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيَسْتَتْبِعَنِي فَلَمْ يَفْعَلْ.

فَمَرَّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي فَقَالَ: «**أَبَا هُرَيْرَةَ**»، قُلْتُ لَهُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «**الْحَقْ**» وَاسْتَأْذَنْتُ فَأَذِنَ لِي فَوَجَدْتُ لَبَنًا فِي قَدَحٍ. قال: «**مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا اللَّبَنُ؟**» فَقَالُوا: أَهْدَاهُ لَنَا فُلَانٌ أَوْ آلُ فُلَانٍ. قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**»، قَلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**انْطَلِقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**»، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلَامِ لَمْ يَأْوُوا إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ، إِذَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةٌ أَصَابَ مِنْهَا وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا، وَإِذَا جَاءَتْهُ الصَّدَقَةُ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يُصِبْ مِنْهَا.

قَالَ: وَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُصِيبَ مِنَ اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا بَقِيَّةَ يَوْمِي وَلَيْلَتِي، وَقُلْتُ: أَنَا الرَّسُولُ، فَإِذَا جَاءَ الْقَوْمُ كُنْتُ أنا الَّذِي أُعْطِيهِمْ، وَقُلْتُ: مَا يَبْقَى لِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ بُدٌّ.

فَانْطَلَقْتُ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ خُذْ فَأَعْطِهِمْ**»، فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِمْ فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ الْقَدَحَ، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهِمْ، وَدَفَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ فِي يَدِهِ وَبَقِيَ فِيهِ فَضْلَةٌ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ وَتَبَسَّمَ وَقَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**»، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ**»، فَقُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**فَاقْعُدْ فَاشْرَبْ**»، قَالَ: فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ لِي: «**اشْرَبْ**»، فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ لِي: «**اشْرَبْ**» فَأَشْرَبُ حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ فِيَّ مَسْلَكًا. قَالَ:

«**نَاوِلْنِي الْقَدَحَ**»، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ الْقَدَحَ فَشَرِبَ مِنَ الْفَضْلَةِ[١].

**٤- ذِكْرُ ضِيَافَةِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وتَكْثِيرُ الطَّعَامِ لَهُ:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ الله ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلَاثَتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ: قَالَ: «**بِطَعَامٍ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «**قُومُوا**»، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ!! فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله: «**هَلُمَّ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا عِنْدَكِ؟**». فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَآدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**».

فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا[٢].

---

(١) أحمد في مسنده (٢/ ٥١٥)، والبخاري في كتاب الرقاق (٦٤٥٢) (١٧/ ٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب (٣٥٧٨) (١٠/ ٤٣٢).

**٣- قصة قصعة بيت الصِّديق ﵁:**

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ ﵄: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ**» أَوْ كَمَا قَالَ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، وَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ، وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةٍ قَالَ: فَهُوَ أَنَا وَأَبِي وَأُمِّي: وَلَا أَدْرِي هَلْ قَالَ امْرَأَتِي وَخَادِمِي من بَيْتِنَا وَبَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ أَوْ ضَيْفِكَ؟ قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَغَلَبُوهُمْ.

فَذَهَبْتُ فَاخْتَبَأْتُ فَقَالَ يَا غُنْثَرُ! فَجَدَّعَ وَسَبَّ وَقَالَ: كُلُوا (فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: لَا هَنِيئًا) وَقَالَ: لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا حَتَّى شَبِعُوا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلُ، فَنَظَرَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِيَ شَيءٌ أَوْ أَكْثَرُ فَقَالَ لِامرَأَتِهِ (فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: مَا هَذا) يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ؟ قَالَتْ: لَا وَقُرَّةِ عَيْنِي هي الْآنَ أَكْثَرُ مِمَّا قَبْلُ بِثَلَاثِ مِرَارٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ، إِنَّمَا كَانَ الشَّيْطَانُ- يَعْنِي يَمِينَهُ- ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْم عَهْدٌ فَمَضَى الأَجَلُ فَعَرَفْنَا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ وَاللهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ غَيْرَ أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ أَوْ كَمَا قَالَ وَغَيْرُهُمْ يَقُولُ: فَتَفَرَّقْنَا[١].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب (٣٥٨١) (١٠/ ٤٤٤).

### ٤- قصة جابر ودَين أبيه وتكثيره عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّمْرَ:

عن جَابِرٍ أَنَّ أَبَاهُ تُوُفِّيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَأَتَيْتُ النبيَّ ﷺ فَقَلْتُ: إِنَّ أَبِي تَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا وَلَيْسَ عِنْدِي إِلَّا مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ وَلَا يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ سِنِينَ مَا عَلَيْهِ، فَانْطَلِقْ مَعِيَ لِكَيْلَا يُفْحِشَ عَلَيَّ الْغُرَمَاءُ، فَمَشَى حَوْلَ بَيْدَرٍ مِنْ بَيَادِرِ التَّمْرِ فَدَعَا ثُمَّ آخَرَ ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «**انْزِعُوهُ**» فَأَوْفَاهُمُ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ مِثْلَ مَا أَعْطَاهُمْ[1].

هَكَذَا رَوَاهُ هُنَا مُخْتَصَرًا، وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رُوِيَ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ جَابِرٍ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ، وَحَاصِلُهَا أَنَّهُ بِبَرَكَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدُعَائِهِ لَهُ وَمَشْيِهِ فِي حَائِطِهِ وَجُلُوسِهِ عَلَى تَمْرِهِ وَفَّى اللَّهُ دَيْنَ أَبِيهِ، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ بِأُحُدٍ، وَجَابِرٌ كَانَ لَا يَرْجُو وَفَاءَهُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وَلَا مَا بَعْدَهُ، وَمَعَ هَذَا فَضَلَ لَهُ مِنَ التَّمْرِ أَكْثَرُ فَوْقَ مَا كَانَ يُؤَمِّلُهُ وَيَرْجُوهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالمِنَّةُ.

## وَمِنْهَا مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْحَيَوَانَاتِ:

### ١- الجمل يصغي له ﷺ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من سَفَرٍ، حَتَّى إِذَا دَفَعْنَا إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ بَنِي النَّجَارِ، إِذَا فِيهِ جَمَلٌ لَا يَدْخُلُ الْحَائِطَ أَحَدٌ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِ. قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ حَتَّى أَتَى الْحَائِطَ فَدَعَا الْبَعِيرَ فَجَاءَ وَاضِعًا مِشْفَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى بَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَاتُوا خِطَامًا**»، فَخَطَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ. قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا عَاصِيَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب (٣٥٨٠) (١٠/ ٤٤٠).

(٢) **حسن لغيره:** أخرجه أحمد (١٤٣٧٢) وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٢٧٩) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد. =

**٢- قصة الذئب وشهادته بالرسالة:**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ فَقَالَ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ؟!

فَقَالَ: يَا عَجَبِي ذِئْبٌ يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ! فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ ﷺ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ. قَالَ: فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَزَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ. فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنُودِيَ: الصَّلَاةُ جَامِعَةً، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلرَّاعِي: «**أَخْبِرْهُمْ**»، فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**صَدَقَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخْذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَه**»[1].

---

= وأخرجه ابن أبي شيبة ١١/ ٤٧٣، وعبد بن حميد (١١٢٢)، والدارمي (١٨)، وأبو نعيم (٢٧٩) من طرق عن الأجلح، به.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٤٤)، والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٣٠ من طريق أبي بكر بن عياش، عن الأجلح، عن ذيال بن حرملة، عن ابن عباس.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ١٤٢) عن رواية الطبراني: هذا من هذا الوجه عن ابن عباس غريب جدًّا، والأشبه رواية الإمام أحمد عن جابر، اللهم إلا أن يكون الأجلح قد رواه عن الذيال، عن جابر وعن ابن عباس، والله أعلم.

وأخرجه بنحوه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٨) من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن رجل من بني سلمة ثقة، عن جابر.

(١) أحمد (٣/ ٨٤)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٢٤٣١)، وقال الهيثمي (٨/ ٢٩١): رجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٢).

## وَمِنْهَا معجزات الشفاء:

### ١- المرأة التي كانت تصرع:

عن عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَأَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي. قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ لَكِ أَنْ يُعَافِيَكِ**»، قَالَتْ: لَا، بَلْ أَصْبِرُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ - أَوْ: لَا يَنْكَشِفَ عَنِّي - قَالَ: فَدَعَا لَهَا[(١)].

### ٢- جمل جابر رضي الله عنه:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ قَدْ أَعْيَا. فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ. قَالَ: فَلَحِقَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبَهُ وَدَعَا لِي؛ فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِبِلِ قُدَّامَهَا حَتَّى كُنْتُ أَحْبِسُ خِطَامَهُ فَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٦٥٢)، وفي «الأدب المفرد» (٥٠٥)، ومسلم (٢٥٧٦) وأحمد (٣٢٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٩٠)، وأبو عوانة في البر والصلة كما في «إتحاف المهرة» (٣ورقة ٦٣)، والطبراني (١١٣٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٦٦)، وفي «دلائل النبوة» (٦/ ١٥٦).

الصرْع - بتسكين الراء -: هو علة في الجهاز العصبي تصحبها غيبوبة وتشني في العضلات.

قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ٦٦ و٧٠): الصرْع صَرْعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه... وهذه المرأة التي جاء الحديث أنها كانت تُصْرَع وتتكشف، يجوز أن يكون صَرْعُها من النوع الثاني، فوعدها النبي ﷺ الجنةَ بصبرها على هذا المرض، ودعا لها أن لا تتكشف، وخَيَّرها بين الصبر والجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان، فاختارت الصبر والجنة.

- فَقَالَ: **كَيْفَ تَرَى جَمَلَكَ؟** فَقُلْتُ: قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اشْتَرَاهُ مِنْهُ[١].

## المبحث الحادي عشر: المعجزة العظمى لرسول الله ﷺ

وهنا لابد أن تعلم أني لن أتحدث عن صور الإعجاز المختلفة للقرآن العظيم؛ فهذا بحر لا يُدرَك قعره ولا يُسْبَر غوره. ولكني فقط أعطيك تصورًا عامًّا.

إن أعظم دلائل النبوة القرآن الكريم، كتاب الله الذي أعجز الأولين والآخرين.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحيًا أَوحاه اللهُ إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[٢].

**قال ابن حجر في معنى قوله ﷺ: «وإنما كان الذي أوتيتُ وحيًا»**: أي أن معجزتي التي تَحدّيتُ بها، الوحيُ الذي أُنزِل عليّ، وهو القرآن.

ثم لفت رَحِمَهُ اللَّهُ النظر إلى أنه ليس المراد من الحديث حصرَ معجزاته ﷺ في معجزة القرآن الكريم فقال: بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختصّ بها دون غيره ﷺ[٣].

**وقال ابن كثير في معنى الحديث:** معناه أن معجزة كل نبي انقرضت بموته،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط (٢٧١٨) (٨/ ٣٠٠).

(٢) رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) واللفظ له.

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٦٢٣).

وهذا القرآن حجة باقية على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلَق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل، مَن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله[(١)].

**وقال ابن القيم في سياق حديثه عن معجزات الأنبياء:** وأعظمها معجزةً كتابٌ باقٍ غض طري لم يتغيّر ولم يتبدّل منه شيء، بل كأنه منزّل الآن، وهو القرآن العظيم، وما أخبر به يقع كل وقتٍ على الوجه الذي أخبر به[(٢)].

هذه المعجزة العظيمة تحدى الله بها الأولين والآخرين، ودعاهم للإتيان بمثله حين زعموا أن القرآن من كلامه ﷺ، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ۝٣٤﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

فلما أعجز المشركين أن يأتوا بمثله، تحداهم القرآن أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات من عندهم، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝١٣﴾ [هود: ١٣].

**قال ابن كثير:** بَيَّن تعالى إعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله؛ لأن كلام الرب تعالى لا يشبه كلام المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات، وذاته لا يشبهها شيء[(٣)].

فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة واحدة، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٢٣﴾ [البقرة: ٢٣].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٦٧٨).

(٢) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٣٤٧).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٥٥).

**قال الطبري:** ومن حجة محمد ﷺ على صدقه، وبرهانه على حقيقة نبوته، وأن ما جاء به من عندي [أي من عند الله] عَجْز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم - عن أن تأتوا بسورة من مثله. وإذا عجزتم عن ذلك. وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة. فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز(١).

ويبلغ التحدي القرآني غايته حين يخبر القرآن أن عجز المشركين عن محاكاة القرآن والإتيان بمثله عجز دائم لا انقطاع له، فيقول: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤].

**قال القرطبي:** قوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ إثارةٌ لهممهم وتحريكٌ لنفوسهم؛ ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها(٢).

وحين أراد مسيلمة معارضة القرآن فضحه الله وأخزاه، فكان قوله محلًّا لسخرية العقلاء وإعراض البلغاء، فقد قال: يا ضفدع، نقي كما تنقين، لا الماء تدركين، ولا الشراب تمنعين.

وقال أيضًا معارضًا القرآن: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج من بطنها نسمة تسعى، من بين شراشيف وحشى.

وأما النضر بن الحارث فصيح قريش وبليغها، فأتى بالمضحك من القول حين قال: (والزارعات زرعًا. والحاصدات حصدًا، والطاحنات طحنًا، والعاجنات عجنًا، والخابزات خبزًا...)(٣).

---

(١) «جامع البيان» (١/ ٣٧٢ - ٣٧٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٦٧).

(٣) انظر: «لماذا أسلم صديقي» إبراهيم خليل (ص٥٠ - ٥٤).

وعندما أراد الأديب ابن المقفع معارضة القرآن كَلَّ وعجز، وقال: أشهد أن هذا لا يُعارَض، وما هو من كلام البشر.

ومثله صنع يحيى الغزال بليغ الأندلس وفصيحها.

وصدق الله العظيم: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

**قال ابن سعدي:** وكيف يقدر المخلوق من تراب أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟.. هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل مَن له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام، إذا وزن هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلغاء ظهر له الفرق العظيم(١).

**لقد اعترف أعداء القرآن بعظمة القرآن، وذلت رقابهم لما سمعوه من محكم آياته، فها هو.**

الوليد بن المغيرة سيد قريش، يسمع النبي ﷺ وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فيقول قولته المشهورة: والله إن لقولِه الذي يقولُ لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مغدِقٌ أسفلُه، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليَحطِم ما تحته(٢).

ولما جاء عتبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ، قرأ عليه النبي ﷺ أوائل سورة «فُصلت» فرجع إلى قريش قائلًا: إني واللهِ قد سمعت قولًا ما سمعتُ بمثلِه

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٤٥، ٤٦).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٠)، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٩٨).

قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، خلّوا بين هذا الرجل وبينَ ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعتُ نبأ[(١)].

**وفي العصر الحديث أيضًا شهد المنصفون من المستشرقين بعظمة القرآن، وسجلت كلماتُهم بحقه المزيدَ من الإعجاب والدهش.**

ومنه قول المستشرق فون هامر في مقدمة ترجمته للقرآن، فقد قال: القرآن ليس دستورَ الإسلام فحسب، وإنما هو ذِروة البيانِ العربي، وأسلوبُ القرآن المدهش يشهد على أن القرآنَ هو وحيٌ من الله، وأن محمدًا قد نشر سلطانَه بإعجاز الخطاب، فالكلمةُ [أي القرآنُ] لم يكن من الممكن أن تكونَ ثمرةَ قريحةٍ بشرية[(٢)(٣)].

### المراد بإعجاز القرآن الكريم:

للعلماء في تعريف الإعجاز أقوال تختلف ألفاظها وتتحد معانيها، منها تعريف الهمداني أن معناه: أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به[(٤)].

ويمكن تعريفه بقولنا: هو: عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثل هذا القرآن، مع تمكنهم من البيان

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٤، ٢٠٥) وهو مرسل؛ لأن محمد بن كعب القُرظي تابعي، لكن يعضده رواية أخرى أخرجها البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٠٢) وابن إسحاق في السيرة (١/ ١٨٧).

(٢) «يوميات مسلم ألماني»، د. مراد هوفمان (ص١٢٢).

(٣) «دلائل النبوة» السقار (ص: ١٠٥، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٤) «المغني في أبواب التوحيد والعدل»: (ج١٦)، إعجاز القرآن (ص٢٢٦).

وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي واستمرار البواعث[١].

### مقدار المعجزة من القرآن الكريم:

ومما يتصل بالحديث الحديثُ عن القدر المعجز من القرآن الكريم، فقد وقع في هذا القدر خلاف أيضًا على أقوال هي:

**القول الأول:** أن الإعجاز متعلق بجميع القرآن لا ببعضه. وهذا القول مردود بالآيات التي تتحدى بعشر سور وبسورة واحدة أو حديث مثله.

**القول الثاني:** أن الإعجاز متعلق بسورة تامة طويلة أو قصيرة. وهذا رأي الجمهور، وزاد بعضهم أنه يتعلق أيضًا بقدر سورة تامة من الكلام[٢] بحيث يظهر به تفاضل قوى البلاغة، وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر ثلاث آيات، فيكون مقدار هذه السورة من الآيات معجزًا.

**القول الثالث:** أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٤].

**والتحدي بجنس القرآن لا بالمقدار كما مر بنا بيانه، وهذا هو ما نرجحه، والله أعلم[٣].**

### استمرار التحدي بالقرآن الكريم:

والتحدي في القرآن الكريم ليس خاصًّا بأمة دون أمة أو عصر دون عصر، بل هو باقٍ ما بقي القرآن يعلن للناس تحديه، فقوله عز شأنه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ...﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية - عام يشمل جميع الإنس في جميع العصور.

---

(١) «دراسات في علوم القرآن» فهد الرومي (ص: ٢٦٣).

(٢) «إعجاز القرآن»: الباقلاني ص٢٦١).

(٣) «دراسات في علوم القرآن» فهد الرومي (ص: ٢٧١).

ولأن القرآن خاتم الكتب والرسول ﷺ خاتم الرسل والإسلام خاتم الأديان، فقد اقتضت الحكمة بقاء المعجزة لتكون شاهدة على كل جيل كما هي شاهدة على الجيل الأول.

ولئن عجز الجيل الأول وهم أهل الفصاحة والبلاغة وأهل البيان والبديع عن الإتيان بمثل هذا القرآن أو بعضه أو مجرد محاولة ذلك لعلمهم سلفًا بعجزهم عن ذلك، فإن مَن بعدهم أعجز وأبعد عن الاستطاعة، فالإعجاز مستمر والتحدي قائم إلى يوم القيامة[١].

**وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.**

وهي لا تحصر، ولكن منها:

الإعجاز اللغوي.

الإعجاز العلمي.

الإعجاز التشريعي[٢].

وتفصيل ذلك له موضع آخر إن شاء الباري.

## المبحث الثاني عشر: فوائد آيات الأنبياء ومعجزاتهم

**١- بيان قدرة الله تعالى**، فإن هذه الآيات لا بد أن تكون أمورًا خارقة للعادة كشاهدة دليل على صحة ما جاء به الرسل، وإذا كانت خارقة للعادة كانت دليلًا على قدرة الخالق ، وأنه قادر على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفونها؛ ولذا تجد المرء يندهش عند هذه الآيات، ولا يمكنه إلا أن يصدق

---

(١) «المغني في أبواب التوحيد والعدل»: (ج١٦)، و«إعجاز القرآن» (ص٢٢٦).

(٢) مقتبس من «دراسات في علوم القرآن» فهد الرومي (ص: ٢٧٣).

برسالة الرسول الذي جاء بها حيث جاء بما لا يقدر عليه أحد سوى الله ﷻ.

**٢- بيان رحمة الله بعباده،** فإن هذه الآيات التي يرونها مؤيدة للرسل تَزيد إيمانهم وطُمأنينتهم لصحة الرسالة، ومن ثَم يزداد يقينهم وثوابهم ولا يحصل لهم حيرة ولا شك ولا ارتباك.

**٣- بيان حكمة الله البالغة** حيث لم يرسل رسولًا فيدعه هملًا من غير أن يؤيده بما يدل على صدقه، وإن المرء لو أرسل شخصًا بأمر مهم من غير أن يصحبه بدليل أو أمارة على صحة إرساله إياه، لعُدّ ذلك سفهًا منه وموقفًا سلبيًّا من هذا الرسول، فكيف برسالة عظيمة من أحكم الحاكمين؟ إنها لابد أن تكون مؤيدة بالبراهين والآيات البينات.

**٤- رحمة الله بالرسول الذي أرسله الخالق** حيث ييسر قَبول رسالته بما يجريه على يديه من الآيات ليتسنى إقناع الخلق بأمور لا يستطيعون معارضتها ولا يمكنهم ردها إلا جحودًا وعنادًا، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] أي: لما يرون من الآيات الدالة على صدقك.

وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

**٥- إقامة الحجة على الخلق،** فإن الرسول لو أتى بدون آية دالة على صدقه لكان للناس حجة في رد قوله وعدم الإيمان به، فإذا جاء بالآيات المقنعة الدالة على رسالته لم يكن للناس أي حجة في رد قوله.

**٦- بيان أن هذا الكون خاضع لقدرة الله وتدبيره** ولو كان مدبِّرًا لنفسه أو طبيعة تتفاعل مقوماتها وتتكون من ذلك نتائجها وآثارها، لما تغيرت فجأة واختلفت عادتها بمجرد دعوى شخص لتؤيده بما ادعاه.

فانظر إلى الأكوان الفلكية التي لا تتغير بعوامل الزمن إلا بإرادة الله، ولقد أجراها الله تعالى كما قدر لها تجري منذ خلقها الله حتى يإذن بانتهائها[١].



(١) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٥/ ٣٠٦).



# الفصل الثاني: بشارات الأمم السابقة

## المبحث الأول: إِشَارَة الْقُرْآن وَالسّنة إِلَى بشارات الْكتب السَّابِقَة

قد حكى الله سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآن الْكَرِيم مَا تتضمنه الْكتب الْمنزلَة وَالرسل الْمُرْسلَة من التبشير بنبينا مُحَمَّد ﷺ، فَمن ذَلِك:

١- قَوْله سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٢- قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

٤- قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

٥- قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

٦- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣].

٧- وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٧].

٨- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣].

٩- وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

١٠- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

وَهَذَا بعض مَا اشْتَمَل عَلَيْهِ الْكتاب الْعَزِيز.

**وَفِي الْأَحَادِيث مَا يُؤَيّد ذَلِك ويؤكده، فمن ذلك:**

١- مَا رَوَاهُ ابْن إسحاق قَالَ: حَدثنِي مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد عَن عِكْرِمَة أَو عَن سعيد بن جُبَير عَن ابْن عَبَّاس: أَن الْيَهُود كَانُوا يستفتحون على الْأَوْس والخزرج برَسُول الله ﷺ قبل بعثته، فَلَمَّا بَعثه الله من الْعَرَب كفرُوا بِهِ وجحدوا مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِيهِ، فَقَالَ معَاذ بن جبل وَبشر بن الْبَراء بن معْرور وَدَاوُد بن سلم: يَا معشر الْيَهُود اتَّقوا الله وَأَسْلِمُوا فقد كُنْتُم تستفتحون علينا بِمُحَمد ﷺ وَنحن أهل شرك وتخبرونا أَنه مَبْعُوث وتصفونه بِصفتِهِ!! فَقَالَ سَلام بن مِشْكم أحد بني النَّضِير: مَا جَاءَنَا بِشَيْء نعرفه وَمَا هُوَ بِالَّذِي كُنَّا نذكرهُ لكم فَأنْزل الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وروى ابْن إسحاق نَحْو هَذِه الْقِصَّة الَّتِي هِيَ سَبَب نزُول هَذِه الْآيَة من طرق، وَمِنْهَا أَنه قَالَ: حَدثنِي صَالح بن إِبْرَاهِيم بن عبد الرَّحْمَن بْن عَوْف

عَن مَحْمُود بن لبيد حَدثنَا يحيى بن عبد الله بن عبد الرَّحْمَن بن أسعد بن زُرَارَة الْأنْصَارِيّ قَالَ: حَدثنِي من شِئْت من رجال قومِي عَن حسان بن ثَابت الْأنْصَارِيّ قَالَ: وَالله إِنِّي لغلام يفعة ابْن سبع سِنِين أَو ثَمَان سِنِين أَعقل كل ما سَمِعت، إِذْ سَمِعت يَهُودِيًّا يَقُول على أَطَم يثرب فَصَرَخَ: يَا معشر الْيَهُود!! فَلَمَّا اجْتَمعُوا عَلَيْهِ قَالُوا: مَا لك وَيلك! قَالَ: طلع نجم أَحْمد الَّذِي يُبْعَث اللَّيْلَة.

٢- وَمن ذَلِك مَا كَانَ من خُرُوج زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل وسؤاله لأهل الْكتاب وإخبارهم عَن أَن نَبيًّا يُبْعَث فِي الْعَرَب فَرجع وَأدْركَ النَّبِي ﷺ قبل أَن يُبْعَث وَمَات قبل الْبعْثَة. وَهَذَا الحَدِيث فِي البُخَارِيّ وَغَيره.

٣- وَأخرج الْبَيْهَقِيّ بِإِسْنَاد صَحِيح من حَدِيث أنس بن مَالك أَن غُلَامًا يَهُودِيًّا كَانَ يخْدم النَّبِي ﷺ فَمَرض فَأَتَاهُ النَّبِي ﷺ يعودهُ فَوجدَ أَبَاهُ عِنْد رَأسه يقْرَأ التَّوْرَاة فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «**يَا يَهُودِيّ، أنْشدك بِاللَّه الَّذِي أنزل التَّوْرَاة على مُوسَى، هَل تجِد فِي التَّوْرَاة صِفَتي ومخرجي؟**» قَالَ: لَا. قَالَ الْفَتى: بلَى وَالله يَا رَسُول الله إِنَّا نجد فِي التَّوْرَاة نعتك ومخرجك، وَإِنِّي أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَنَّك رَسُول الله. فَقَالَ ﷺ «**أقِيمُوا هَذَا من عِنْد رَأسه ولوا أَخَاكُم**».

٤- وَثَبت فِي البُخَارِيّ وَمُسلم وَغَيرهمَا من حَدِيث ابْن عَبَّاس عَن لأحسنت لقاءه وَلَو كنت عِنْده لغسلت عَن قَدَمَيْهِ.

٥- وَفِي البُخَارِيّ حِكَايَة عَن هِرقل هَذَا إِنَّه كَانَ حَزَاء ينظر فِي النُّجُوم فَنظر فَقَالَ: إِن ملك الْخِتَان قد ظهر فَمن يختتن من هَذِه الْأمة؟ قَالُوا: يختتن الْيَهُود فَلَا يهمك شَأْنهمْ، وَابعث إِلَى من فِي مملكتك من الْيَهُود فيقتلونهم، ثمَّ وجد إنْسَانًا من الْعَرَب فَقَالَ: انْظُرُوا أفختتن هُوَ. فنظروا فَإِذا هُوَ مختتن وَسَأَلَهُ عَن الْعَرَب فَقَالَ: يختتنون.

وَفِيه أَيْضًا: وَكَانَ بروميةَ صَاحب لهرقل كَانَ هِرقل نَظِيره فِي الْعلم فَأرْسل إِلَيْهِ وَسَار إِلَى حمص فَلم يرم حمص حَتَّى أَتَى كتاب من صَاحبه يُوَافق رَأْيه على خُرُوج النَّبِي ﷺ.

٦- وَمن هَذَا مَا ثَبت فِي كتب السّير والْحَدِيث من إِسْلَام النَّجَاشِيّ وتصديقه بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ فِي الْحَبَشَة لم يُشَاهد النَّبِي ﷺ، وَإِنَّمَا وصل إِلَيْهِ بعض أَصْحَابه وَسمع مَا تلوه عَلَيْهِ من الْقُرْآن فَآمن وَصَدَّق.

٧- وَثَبت فِي الصَّحِيح أَن ورقة بن نَوْفَل الَّذِي دَار فِي طلب الدّين وَسَأَلَ طوائف أهل الْكتاب لما أخبرهُ رَسُول الله ﷺ بِمَا رأى من نزُول جِبْرِيل عَلَيْهِ فِي غَار حراء وَمَا قَالَ لَهُ، فَقَالَ ورقة: هَذَا الناموس الَّذِي أَنْزَلَ الله على مُوسَى لَيْتَني كنت جذعًا أدْرك إِذْ يخْرجك قَوْمك. فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**أَو مخرجي هم؟**» فَقَالَ ورقة: لم يَأْتِ أحد بِمثل مَا جِئْت بِهِ إِلَّا عودي، وَإِن يدركني يَوْمك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثمَّ لم ينشب ورقة أَن توفّي.

٨- وَمن هَذَا مَا رَوَاهُ ابْن إِسْحَاق قَالَ: حَدثنِي عَاصِم بن عمر بن قَتَادَة عَن شيخ من بني قُرَيْظَة قَالَ: هَل تَدْرِي عَمَّا كَانَ إِسْلَام أسيد وثعلبة ابْني سعية وَأسد بن عبيد نفر من هُذَيْل لم يَكُونُوا من بني قُرَيْظَة وَلَا النَّضِير كَانُوا فَوق ذَلِك؟ قلت: لَا. قَال: فَإِنَّهُ قدم علينا رجل من الشَّام من يهود يُقَال لَهُ ابْن الهيبان فَأَقَامَ عندنَا وَالله مَا رَأينَا رجلًا قطّ لَا يُصلي الْخمس خيرًا مِنْهُ، فَقدم علينا قبل مبعث النَّبِي ﷺ بسنين وَكُنَّا إِذا قحطنا أَو قل علينا الْمَطَر نقُول: يَا ابْن الهيبان أخرج فاستقِ لنا. فَيَقُول: لَا وَالله حَتَّى تُقدمُوا أَمَام مخرجكم صَدَقَة. فَنَقُول: كم؟ فَيَقُول: صَاع من تمر أَو مَدين من شعير. فنخرجه ثمَّ يخرج إِلَى ظَاهر حرتنا وَنحن مَعَه فيستقي، فوَاللَّه مَا نقوم من مَجْلِسه حَتَّى تمر السَّحَاب، وَقد فعل ذَلِك غير مرّة وَلَا مرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَة، فحضرته الْوَفَاة

فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا معشر يهود مَا تَرَوْنَهُ أخرجني من أَرض الْخمر والخمير إِلَى أَرض الْبُؤْس والجوع؟ قَالُوا: أَنْت أعلم. قَالَ: فَإِنَّهُ إِنَّمَا أخرجني أتوقع خُرُوج نَبِي قد أظل زَمَانه هَذِه الْبِلَاد مهاجره فَاتَّبعُوهُ وَلَا تُسبَقُن إِلَيْهِ، إِذا خرج يَا معشر يهود فَإِنَّهُ يُبْعَث بسفك الدِّمَاء وَسبي الذَّرَارِي وَالنِّسَاء، فَمن يُخَالِفهُ فَلَا يمنعكم ذَلِك مِنْهُ!! ثمَّ مَاتَ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلَة الَّتِي فُتحت فِيهَا قُرَيْظَة قَالَ أُولَئِك الثَّلَاثَة الْفتية وَكَانُوا شبانًا أحداثًا: يَا معشر يهود وَالله إِنَّه الَّذِي ذكر لكم ابْن الهيبان! فَقَالُوا: مَا هُوَ بِهِ. قَالُوا: بلَى وَالله إِنَّه بِصفتِهِ. ثمَّ نزلُوا فأسلموا وخلوا أَمْوَالهم وَأَوْلَادهمْ وأهاليهم، فَلَمَّا فتح الْحصن رد ذَلِك عَلَيْهِم.

٩- وَأخرج البُخَارِيّ فِي تَارِيخه وَالْبَيْهَقِيّ فِي «دَلَائِل النُّبُوَّة» عَن مُحَمَّد بن عمر بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن جُبَير بن مطعم عَن أَبِيه قَالَ: سَمِعت أبي جُبَيرًا يَقُول:

لما بعث الله نبيه وَظهر أمره بِمَكَّة، خرجت إِلَى الشَّام، فَلَمَّا كنت ببصرى أَتَتْنِي جمَاعَة من النَّصَارَى فَقَالُوا لي: أَمن الْحرم أَنْت؟ قلت: نعم. قَالُوا: تعرف هَذَا الَّذِي تنبأ فِيكُم؟ قلت: نعم. قَالَ: فَأخذُوا بيَدي فأدخلوني ديرًا لَهُم فِيهِ تماثيل وصور قَالُوا لي: انظر هَل ترى صُورَة هَذَا الَّذِي بُعث فِيكُم؟ فَنَظَرت فَلم أر صورته قلت: لَا أرى صورته. فأدخلوني ديرًا أكبر من ذَلِك الدَّيْر الَّذِي فِيهِ صور أَكثر مِمَّا فِي ذَلِك الدَّيْر فَقَالُوا لي: انظر هَل ترى صورته؟ فَنَظَرت فَإِذا أَنا بِصفة رَسُول الله ﷺ وَصورته وَإِذا أَنه بِصفة أبي بكر وَصورته وَهُوَ آخذ بعقب رَسُول الله ﷺ، فَقَالُوا لي: انْظُر هَل ترى صفته؟ قلت: نعم. قَالُوا: هُوَ هَذَا؟ وأشاروا إِلَى صفة رَسُول الله ﷺ قلت: اللَّهُمَّ نعم. قَالُوا: أتعرف هَذَا الَّذِي أَخذ بعقبه؟ قلت: نعم. قَالُوا:

تشهد أَن هَذَا هُوَ صَاحبكُم وَأَن هَذَا الْخَلِيفَة من بعده.

١٠- وَقَرِيب من هَذِه الْقِصَّة مَا رَوَاهُ مُوسَى بن عقبَة بن هِشَام بن الْعَاصِ ونعيم بن عبد الله وَرجل آخر قد سَمَّاهُ - بعثوا إِلَى ملك الرّوم زمن أبي بكر، قَالَ: فَدَخَلْنَا على جبلة بن الْأَيْهَم وَهُوَ بالغوطة - فَذكر الحَدِيث - وَأَنه انْطلق بهم إِلَى الْملك وَأَنَّهُمْ وجدوا عِنْده شبه الربعة الْعَظِيمَة مذهبَة وَإِذا فِيهَا أَبْوَاب صغَار فَفتح فِيهَا بَابًا فاستخرج مِنْهُ حريرة وفيهَا صُورَة نوح ثمَّ إِبْرَاهِيم ثمَّ حريرة فِيهَا صُورَة مُحَمَّد ﷺ وَقَالَ: هَذَا آخر الْأَبْوَاب وَلَكِنِّي عجلته لأنظر مَا عنْدكُمْ.

وأمثال هَذَا كَثِيرَة جدًّا يطول الْمقَام ببسط بَعْضهَا فضلًا عَن كلهَا.

وَفِي الْقُرْآن الْكَرِيم من دَلَائِل إِثْبَات النبوات على الْعُمُوم وَإِثْبَات نبوة نَبينَا ﷺ على الْخُصُوص - مَا لَا يخفى على من يعرف الْقُرْآن وَيفهم كَلَام الْعَرَب، فَإِنَّهُ مُصَرح بِثُبُوت جَمِيع الْأَنْبِيَاء من لدن آدم إِلَى مُحَمَّد ﷺ، وَفِيه ذكر كل وَاحِد مِنْهُم بِصفتِهِ وإلى من أُرسل وَفِي أَي زمَان كَانَ مَعَ تَقْدِيم الْمُتَقَدّم وَتَأْخِير الْمُتَأَخر وَذكر مَا وَقع لكل وَاحِد مِنْهُم من إِجَابَة قومه لَهُ وامتناعهم عَلَيْهِ وردهم لما جَاءَ بِهِ وَمَا وَقع بَينه وَبينهمْ من المقاولة والمحاولة والمقاتلة.

وَمن نظر فِي التَّوْرَاة وَمَا اشْتَمَلت عَلَيْهِ من حِكَايَة حَال الْأَنْبِيَاء من لدن آدم إِلَى مُوسَى، وجد الْقُرْآن مُوَافقًا لما فِيهَا غير مُخَالف لَهَا.

وَهَكَذَا مَا اشْتَمَلت عَلَيْهِ التَّوْرَاة مِمَّا اتّفق لمُوسَى وَبني إِسْرَائِيل فِي مصر مَعَ فِرْعَوْن وَمَا كَانَ من تِلْكَ الْحَوَادِث من الْآيَات الْبَينَات الَّتِي جَاءَ بهَا. وَمن تِلْكَ الْعُقُوبَاتُ الَّتِي عُوقِبَ بهَا فِرْعَوْن وَقَومه ثمَّ مَا كَانَ من بني إِسْرَائِيل مَعَ مُوسَى من بعد خُرُوجهمْ من مصر إِلَى عِنْد موت مُوسَى مَعَ طول تِلْكَ

الْمدَّة وَكَثْرَة تِلْك الْحَوَادِث، فَإِن الْقُرْآن حكى ذَلِك كَمَا هُوَ وَذكره بِصفتِهِ من غير مُخَالفَة.

ثمَّ مَا كَانَ من الْأَنْبِيَاء الَّذين جَاءُوا بعد مُوسَى إِلَى عِنْد قيام الْمَسِيح فَإِن الْقُرْآن الْكَرِيم حكى قصصهم وَمَا جرى لَهُم وَمَا قَالُوهُ لقومهم وَمَا قَالَه قَومهمْ لَهُم وَمَا وَقع بَينهم من الْحَوَادِث، وَكَانَ مَا حَكَاهُ الْقُرْآن مُوَافقًا لما فِي كتب نبوة أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاء من غير مُخَالفَة.

ثمَّ هَكَذَا مَا حَكَاهُ الْقُرْآن عَن نبوة الْمَسِيح وَمَا جرى لَهُ وأحواله وحوادثه فَإِنَّهُ مُوَافق لما اشْتَمَل عَلَيْهِ الْإِنْجِيل من غير مُخَالفَة.

وَمَعْلُوم لكل عَاقل يعرف أَحْوَال نَبينَا ﷺ أَنه كَانَ أُمِّيًّا لَا يقْرَأ وَلَا يكْتب وَكَانَ مُنْذُ وُلد إِلَى أَن بَعثه الله عز وَجل بَين قومه وهم قوم مشركون لَا يعْرفُونَ شَيْئًا من أَحْوَال الْأَنْبِيَاء وَلَا يَدْرُونَ بِشَيْء من الشَّرَائِع وَلَا يخالطون أحدًا من الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَلَا يعْرفُونَ شَيْئًا من شرائعهم، وَإِن عرفُوا فَردًا مِنْهَا فَلَيْسَ ذَلِك إِلَّا فِي مثل مَا هُوَ متقرر بَينهم يعْملُونَ بِهِ فِي عباداتهم ومعاملاتهم بِاعْتِبَار مَا يشْتَهر عَنْهُم فِي ذَلِك، كَمَا يبلغ بعض أَنْوَاع الْعَالم عَن الْبَعْض الآخر فَإِنَّهُ قد يبلغهم بعض مَا يتمسكون بِهِ فِي دينهم بِاعْتِبَار اشتهار ذَلِك عَنْهُم.

وَأما الْعلم بأحوال الْأَنْبِيَاء وَمَا جَاءُوا بِهِ وإلى من بَعثهمْ الله وَمَا قَالُوا لقومهم وَمَا أجابوهم بِهِ وَمَا جرى بَينهم من الْحَوَادِث كلياتها وجزئياتها وَفِي أَي عصر كَانَ كل وَاحِد مِنْهُم وإلى من بَعثه الله وَكَون هَذَا النَّبِي كَانَ مُتَقَدمًا على هَذَا وَهَذَا كَانَ مُتَأَخِّرًا عَن هَذَا مَعَ كَثْرَة عَددهمْ وَطول مددهم وَاخْتِلَاف أَنْوَاع قَومهمْ وَاخْتِلَاف ألسنتهم وتباين لغاتهم - فَهَذَا أَمر لَا يُحِيط بِعِلْمِهِ إِلَّا الله عز وَجل، وَلَوْلَا اشْتِمَال التَّوْرَاة على حِكَايَة أَحْوَال من قبل مُوسَى من

الْأَنْبِيَاء لانقطع علم ذَلِك عَن الْبشر وَلم يَبْقَ لأحد مِنْهُم طَرِيق إِلَيْهِ البتة.

فَلَمَّا جَاءَنَا هَذَا النَّبِي الْعَرَبِيّ الْأُمِّي الْمَبْعُوث من بَين طَائِفَة مُشركَة تعبد الْأَوْثَان وتكفر بِجَمِيع الْأَدْيَان قد دبروا دنياهم بِأُمُور جَاهِلِيَّة تلقاها الآخر عَن الأول وسمعها اللَّاحِق من السَّابِق لَا يرجع شَيْء مِنْهَا إِلَى مِلَّة من الْملَل الدِّينِيَّة وَلَا إِلَى كتاب من الْكتب الْمنزلَة وَلَا إِلَى رَسُول من الْأَنْبِيَاء الْمُرْسلَة، بل غَايَة علمهمْ وَنِهَايَة مَا لديهم مَا يجْرِي بَين أسلافهم من المقاولة والمقاتلة وَمَا يَحْفَظُونَهُ من شعر شعرائهم وخُطب خطبائهم وبلاغات بلغائهم وجود أجوادهم وإقدام أهل الجرأة والجسارة مِنْهُم، لَا يلتفتون مَعَ ذَلِك إِلَى دين وَلَا يُقبلُونَ على شَيْء من أَعمال الْآخِرَة وَلَا يشتغلون بِأَمْر من الْأُمُور الَّتِي يشْتَغل بهَا أهل الْملَل، فَإِن راموا مطلبًا من مطَالب الدُّنْيَا وَرَغبُوا فِي أَمر من أمورها، قصدُوا أصنامهم وطلبوا حُصُولهَا مِنْهَا وقَرَّبوا إِلَيْهَا بعض أَمْوَالهم ليبلغوا بذلك مقاصدهم ومطالبهم.

وَكَانَ هَذَا النَّبِي الْعَرَبِيّ الْأُمِّي لَا يعلم إِلَّا بِمَا يعلمُونَ وَلَا يدْرِي إِلَّا بِمَا يَدْرُونَ، بل قد يعلم الْوَاحِد مِنْهُم المتمكن من قِرَاءَة الْكتب وَكِتَابَة المقروء بِغَيْر مَا يُعلمهُ هَذَا النَّبِي.

فَبَيْنَمَا هُوَ على هَذِه الصّفة بَين هَؤُلَاءِ الْقَوْم الْبَالِغين فِي الْجَهَالَة إِلَى هَذَا الْحَد، جَاءَنَا بِهَذَا الْكتاب الْعَظِيم الحاكي لما ذَكَرْنَاهُ من تفاصيل أَحْوَال الْأَنْبِيَاء وقصصهم وَمَا جرى لَهُم مَعَ قَومهمْ على أكمل حَال وَأتم وَجه، ووجدناه مُوَافقًا لما فِي تِلْكَ الْكتب غير مُخَالف لشَيْء مِنْهَا؛ كَانَ هَذَا من أعظم الْأَدِلَّة الدَّالَّة على ثُبُوت نبوته على الْخُصُوص وَثُبُوت نبوة مَن قبله من الْأَنْبِيَاء على الْعُمُوم.

وَمثل دلَالَة هَذَا الدَّلِيل لَا يَتَيَسَّر لجاحد وَلَا لمكابر وَلَا لزنديق مارق أَن

يقْدَح فِيهَا بقادح أَو يعارضها بِشُبْهَة من الشُّبَه كائنة مَا كَانَت، إِن كَانَ مِمَّن يعقل وَيفهم ويدري بِمَا يُوجِبهُ الْعقل من قَبُول الْأَدِلَّة الصَّحِيحَة الَّتِي لَا تقَابل بِالرَّدِّ وَلَا تُدفع بالمعارضة وَلَا تقبل التشكيك وَلَا تحْتَمل الشُّبْهَة.

وَمَعَ هَذَا فقد كَانَ النَّبِي ﷺ الْأُمِّي الْمَبْعُوث بَين هَؤُلَاءِ - يُصَرح بَين ظهرانيهم بِبُطْلَان مَا هم عَلَيْهِ ويزيف مَا هم فِيهِ أبلغ تزييف، ويقدح فِيهِ أعظم قدح وَيبين لَهُم أَنهم أَعدَاء الله وَأَنَّهُمْ مستحقون لغضبه وَسخطه وعقوبته وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا على شَيْء؛ فَبِهَذَا السَّبَب صَارُوا جَمِيعًا أَعدَاء لَهُ يطعنون عَلَيْهِ بالمطاعن الَّتِي يعلمُونَ أَنه منزه عَنْهَا مبرأ مِنْهَا كَقَوْلِهِم: إِنَّه كَذَّاب وَإِنَّهُ مَجْنُون وَإِنَّهُ سَاحر.

فَلَو علمُوا أَنه تعلم من أحد من أهل الْكتاب أَو أَخذ عَن فَرد من أفرادهم، لجاءوا بِهَذَا المطعن بادئ بَدْء وجعلوه عنوانًا لتِلْك المطاعن الكاذبة، بل لَو وجدوا إِلَى ذَلِك سَبِيلًا لعولوا عَلَيْهِ وَلم يحتاجوا إِلَى غَيره، فَلَمَّا لم يَأْتُوا بذلك وَلَا تكلمُوا بِهِ وَلَا وجدوا إِلَيْهِ سَبِيلًا، علم كل عَاقل أَنه لم يتَعَلَّم من أحد من الْيَهُود وَلَا من النَّصَارَى وَلَا من غير هَاتين الطَّائِفَتَيْنِ إِذْ لم يطعن عَلَيْهِ بذلك هَؤُلَاءِ الَّذين هم قومه وَقد وُلد بَينهم وعاش فِي دِيَارهمْ يخالطهم ويخالطونه ويواصلهم ويعرفون جَمِيع أَحْوَاله، وَلَا سِيمَا من كَانَ من قرَابَته مِنْهُم الَّذين صَارُوا لَهُ بعد الْبعْثَة أَشد الْأَعْدَاء وَأعظم الْخُصُوم كَأبي لَهب وَأَمْثَاله، فَإِنَّهُ لَا شكّ وَلَا ريب أَنه لَا يخفى عَلَيْهِم مَا هُوَ دون هَذَا من أَحْوَاله.

وَأَيْضًا: لَو كَانَ قد تعلم من أحد من أهل الْكتاب لم يَخْفَ ذَلِك على أهل الْكتاب الَّذين صرح لَهُم بِأَنَّهُم إِن لم يُؤمنُوا بِهِ فهم من أَعدَاء الله وَمن الْمُسْتَحقّين لسخطه وعقوبته وَأَنَّهُمْ على ضَلَالَة وَأَنَّهُمْ قد غيروا كِتَابهمْ

وحرفوه وبدلوه وَأَنَّهُمْ أحقاء بلعنة الله وغضبه، فَلَو كَانَ لَهُ معلم مِنْهُم أَو من أمثالهم من أهل الْكتاب لجعلوا هَذَا المطعن عَلَيْهِ مقدمًا على كل مطْعن يطعنونه بِهِ من تِلْك المطاعن الكاذبة، بل كَانَ هَذَا المطعن مستغنيًا عَن كل مَا طعنوا بِهِ عَلَيْهِ؛ لِأَن مسافته قريبَة وتأثيره ظَاهر وَقبُول عقول الْعَامَّة لَهُ من أهل الْكتاب وَمن الْمُشْركين أيسر من قبُولهَا لتِلْك المطاعن الكاذبة الَّتِي جَاءُوا بهَا، هَذَا مَعْلُوم لكل عَاقل، لَا يشك فِيهِ شَاك وَلَا يتلعثم عِنْده متلعثم وَلَا يكابر فِيهِ مكابر. فَلَمَّا لم يطعن عَلَيْهِ أحد مِنْهُم بِشَيْء من ذَلِك، علمنَا علمًا يَقِينًا انْتِفَاء ذَلِك وَأَنه لم يتَعَلَّم من أحد مِنْهُم.

وَإِذا تقرر هَذَا الْبُرْهَان الَّذِي هُوَ أوضح من شمس النَّهَار أَنه لم يكن لَهُ معلم من الْيَهُود وَلَا من النَّصَارَى وَلَا من غَيرهم مِمَّن لَهُ علم بأحوال الْأَنْبِيَاء، فَلم يَبْقَ إِلَّا أَن يكون اطلع بِنَفسِهِ مُنْفَردًا عَن النَّاس على مثل التَّوْرَاة وَالزَّبُور وَالْإِنْجِيل وَنَحْو ذَلِك من كتب الْأَنْبِيَاء، وَقد علمنَا علمًا يقينيًا بِأَنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا لَا يقرا الْمَكْتُوب وَلَا يكْتب المقروء، ثَبت هَذَا بِالنَّقْلِ الْمُتَوَاتر عَن أَصْحَابه مَعَ عدم مُخَالفَة الْمُخَالفين لَهُ فِي ذَلِك، فَإِنَّهُ لم يُسمع عَن وَاحِد مِنْهُم أَنه نسب إليه أَنه يقدر على قِرَاءَة الْمَكْتُوب أَو كِتَابَة المقروء، وَحِينَئِذٍ انْتَفَت هَذِه الطَّرِيقَة - أَعنِي كَونه اطلع على الْكتب الْمُتَقَدّمَة بِنَفسِهِ مُنْفَردا عَن النَّاس - وَإِنَّمَا قُلْنَا: (مُنْفَردًا عَن النَّاس) لأَنا لَو فَرضنَا قدرته على ذَلِك فِي محْضر أحد من النَّاس لم يَخْفَ ذَلِك على أَتْبَاعه وَلَا على أعدائه.

فَإِذا انْتَفَت قدرته على قِرَاءَة الْمَكْتُوب من حَيْثُ كَونه أُمِّيًّا، وانتفى اطلَاع أحد من النَّاس على شَيْء من ذَلِك، علمنَا أَنه لم يَأْخُذ شَيْئًا من ذَلِك لَا بطرِيق التَّعْلِيم وَلَا بطرِيق الْمُبَاشرَة مِنْهُ لتِلْك الْكتب، وَلم يُسمع عَن أحد لَا من أَتْبَاعه وَلَا من أعدائه أَنه كَانَ بِمَكَّة من يعرف أَحْوَال الْأَنْبِيَاء وقصصهم

وَمَا جَاءُوا بِهِ من الشَّرَائِع وَلَا كَانَ بِمَكَّة مِن كتب الله سُبْحَانَهُ الْمنزلَة على رسله شَيْء وَلَا كَانَت قُرَيْش مِمَّن يرغب إِلَى ذَلِك أَو يَطْلُبهُ أَو يحرص على مَعْرفَته.

وَمَعَ هَذَا فقد كَانَ أعداؤه من كفار قُرَيْش معترفون بصدقه ويقرون بِأَنَّهُم لم يجربوا عَلَيْهِ كذبًا.

وَفِي حَدِيث ابْن عَبَّاس فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيرهمَا فِي قصَّة سُؤال هِرقل لأبي سُفْيَان أَنه قَالَ لَهُ: فَهَل كُنْتُم تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قبل أَن يَقُول مَا قَالَ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَان: لَا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيرهمَا من حَدِيث عبد الله بن مَسْعُود أَن سعد بن معَاذ لما قَالَ لأمية بن خلف أَن النَّبِي ﷺ ذكر أَنه سيقتل فَقَالَ ذَلِك لامْرَأَته فَقَالَت: وَالله مَا يكذب مُحَمَّد!! وعزم على أَلا يخرج خوفًا من هَذَا.

وَأخرج البُخَارِيّ فِي صَحِيحه من حَدِيث ابْن عَبَّاس أَن النَّبِي ﷺ قَالَ لقريش: «**لَو أَخْبَرتكُم أَن خيلًا بالوادي تُرِيدُ أَن تغير عَلَيْكُم أَكُنْتُم مصدقي؟**» قَالُوا: نعم، مَا جربنَا عَلَيْك إِلَّا صدقًا.

وَأخرج البُخَارِيّ فِي تَارِيخه وَأَبُو زرْعَة فِي دلائله وَابْن إسحاق أَن أَبَا طَالب لما قَالَ للنَّبِي ﷺ أَن يكف عَن قُرَيْش فَقَالَ: «**وَالله مَا أقدر على أَن أدع مَا بُعثتُ بِهِ!**» فَقَالَ أَبُو طَالب لقريش: وَالله مَا كذب قطّ فَارْجِعُوا راشدين.

وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه فِي كتاب التَّفْسِير وَأَبُو يعلى الْموصلي فِي مُسْنده وَعبد بن حميد: أَن عتبَة بن ربيعَة قَالَ لقريش: وَقد علمْتُم أَن مُحَمَّدًا إِذا قَالَ شَيْئًا لم يكذب.

## المبحث الثاني: شروط صحة الكتاب المقدس

**قال الشيخ رحمة الله بن خليل الهندي في كتابه إظهار الحق**[١]: اعلم أرشدك الله تعالى أنه لابد لكون الكتاب سماويًّا واجب التسليم:

- أن يثبت أولًا بدليل تام أن هذا الكتاب كُتب بوساطة النبي الفلاني.
- ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل، بلا تغيير ولا تبديل.

والاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم - لا يكفي لإثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص. اهـ.

**ونحن على ضوء هذه القاعدة سنرى مدى صحة الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب، ولكن قبل ذلك أحب أن أذكر لمحة موجزة عن توثيق المسلمين لنصوصهم:**

**قسم علماء مصطلح الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ إلى ثلاثة أقسام:**

١- الحديث الصحيح: وهو ما يرويه شخص من رجل أو امرأة عدل أي مسلم معروف بالثقة والأمانة ضابط لما يسمعه حفظًا وفهمًا، أو كتابة وفهمًا عن مثله ممن عاصره وسمع منه. وسلم الحديث وسنده أي رجاله من شذوذ أو علة.

٢- الحديث الحسن: وهو ما اجتمعت فيه شروط الحديث الصحيح، بيد أن رواته أدنى ضبطًا وحفظًا من رواة الحديث الصحيح.

وكلاهما يؤخذ منه الحكم ويُحتج به، غير أن الصحيح أقوى وأثبت.

٣- الحديث الضعيف: وهو ما اختل فيه شرط من الشروط السابقة، كأن يوجد فيه راوٍ مجهول، أو كان فيه انقطاع في السند أو غير ذلك.

---

(١) طبعة المغرب (١/٥٦).

وهو غير صالح للاحتجاج به ولا يؤخذ منه حكم.

وهذه المعلومات يحفظها صغار طلاب العلم.

والحديث الصحيح درجات في القوة، فهناك أصح الأسانيد، وما اتفق عليه البخاري ومسلم، وغير ذلك.

وأقوى الأحاديث هو المتواتر، وهو الذي يرويه ويتناقله جمع عظيم من الناس عن جمع عظيم آخر في كل جيل من الأجيال، بحيث يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب.

### توثيق النص القرآني:

لقد انفرد القرآن الكريم من بين الكتب المقدسة التي سبقته بتوثيقه توثيقًا مكينًا وصل إلى الذروة. وهذا هو سر خلوده وأحد مفاتيح إعجازه.

كان النبي ﷺ دقيقًا كل الدقة، وحريصًا كل الحرص على كتابة القرآن، فكان له كُتاب وحي يتلقفون ما ينزل عليه، فيكتبونه في وعي وإدراك ودقة وإتقان.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون هذا القرآن من فم النبي ﷺ ويتسابقون إلى حفظه، ويتبارون في تلاوته، والنبي ﷺ بينهم يعرضون عليه ما حفظوا، ويسمعون منه تلاوة القرآن في الصلوات الجهرية وغيرها مع بيان أحكامه وكشف معانيه. وقد شارك النساء الرجال في هذه المنافسة والشرف العظيم.

وكان حفظ القرآن وكتابته يسيران جنبًا إلى جنب ليلتقي المكتوب بالمحفوظ، فكلاهما توثيق للآخر.

لقد كان الحفظة كثيرين جدًّا، قُتل منهم في بئر معونة قرابة سبعين، وكُتاب الوحي بلغ عددهم تسعة وعشرين كاتبًا، منهم الخلفاء الخمسة

الأوائل.

وهكذا تواتر نقل القرآن حفظًا وكتابة من جيل إلى جيل في مشارق الأرض ومغاربها حتى وصل إلينا مصونًا من أي تحريف، منزهًا عن أي تغيير، سالمًا من أي نقص.

وما خوف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حين استحر القتل بالقراء يوم اليمامة إلا من زيادة الحرص على القرآن وحفظه؛ لأن طريقة أدائه لا تتأتى إلا عن طريق التلقين والرواية.

ولا يشك أحد في أن محمدًا ﷺ أتى به، وأخبر أن الله أوحى به إليه، وأن من اتبعه أخذه عنه حفظًا وكتابة بشكل متواتر، ثم أخذ عنهم حتى وصل إلينا[(١)].



(١) «وجاء النبي المنتظر» (ص: ٩).

## المبحث الثالث: الكتاب المقدس لدى النصارى

**تعريفه:**

يدعي النصارى أن كتابهم المقدس هو مجموعة الأسفار الإلهية التي كُتبت بإلهام الروح القدس خلال الحقبة الزمنية الممتدة من القرن السادس عشر قبل الميلاد، حتى آخر القرن الأول بعده.

**أقسامه:**

**يقسم كتابهم المقدس إلى قسمين كبيرين:**

العهد القديم أو العتيق، وقد يطلق عليه مجازًا: التوراة.

العهد الجديد، وقد يطلق عليه مجازًا: الإنجيل.

**وسندرس كل قسم على حدة:**

### ١- العهد القديم:

ويزعمون أن هذا القسم وصل إليهم بوساطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه الصلاة والسلام ويعرفون منه أخبار العالم في عصوره الأولى وأجياله القديمة، كما يعرفون منه البشارات بالأنبياء اللاحقين والشرائع الاجتماعية، وغير ذلك من شعر وحكمة ومواعظ.

**أجزاء العهد القديم:**

**يتألف هذا القسم من ستة وأربعين سفرًا، منها خمسة أسفار تسمى التوراة.**

والتوراة كلمة عبرية، تأتي بمعنى التعليم أو الشريعة.

**أما خمسة الأسفار فهي ما يلي:**

**أ- سفر التكوين أو الخليقة:**

ويبحث عن قصة الخليقة وقصة نوح عليه الصلاة والسلام وعن السلالات

البشرية. وينتهي بسرد قصة يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام.

**ب- سفر الخروج:**

ويروي قصة نشأة موسى عليه الصلاة والسلام وظهوره، وما وقع له في مصر، وخروجه منها على رأس بني إسرائيل، إلى أن يصل إلى احتلال فلسطين وارتحال موسى عليه الصلاة والسلام.

**ج- سفر الأحبار أو اللاويين**

د- سفر العدد.

هـ- سفر التثنية أو الاستثناء.

وتبحث هذه الأسفار في أمور دينية واجتماعية ومواعظ ووصايا وتشريعات.

أما ما تبقى من أسفار العهد القديم، فهو خليط عجيب من الروايات والقصص التاريخية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية. وهي تفتقر بمجملها إلى الأمانة والجدية.

**ومن الجدير بالذكر** أن نسخة التوراة لدى اليهود تخالف نسخة التوراة لدى النصارى، وأن بعض الأسفار الهامة عند اليهود مرفوضة عند النصارى لعدم اعتقادهم بصحة الوحي فيها.

وكذلك، فإن نسخة التوراة لدى طائفة السامرة من اليهود مخالفة لنسخة جمهور اليهود، ولنسخة النصارى أيضًا.

كما أن بعض طوائف النصارى لا يسلمون بجميع هذه الأسفار.

فالتوراة إذًا نُسخ متعددة، لا تُعرف لواحدة منها شِبه سند من الرواة.

وقد بحث علماء التاريخ عن مصدر التوراة، وتقصوا حقيقة ما ورد فيها. وكان الحافز لذلك ما يزخر به هذا الكتاب من قصص وروايات بلغت حد

الأساطير.

ولما كثرت المكتشفات العلمية الحديثة، وظهرت للوجود حقائق تاريخية كانت مجهولة؛ انكشف الستار عن كثير من الأحداث التاريخية التي شيد اليهود أكثرها عبر الزمن.

**هذا، ويرى كثير من العلماء المعاصرين أن التوراة كُتبت بعد قرون عديدة من عهد موسى عليه الصلاة والسلام.**

**ويتألف من سبعة وعشرين سفرًا، منها الأناجيل الأربعة المعترف بها لديهم، وهي:**

أ- إنجيل متى، ويتألف من سبعة وعشرين إصحاحًا.

ب- إنجيل مرقس، ويتألف من ستة وعشرين إصحاحًا.

ج- إنجيل لوقا، ويتألف من أربعة وعشرين إصحاحًا.

د- إنجيل يوحنا، ويتألف من واحد وعشرين إصحاحًا.

ويُذكر في هذه الأناجيل كما يدعون خلاصة حياة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام وتعاليمه التي تشتمل على العقيدة.

ولفظ الإنجيل مختص بهذه الكتب. وقد يطلق مجازًا على مجموع كتب العهد الجديد.

والإنجيل كلمة يونانية تأتي بمعنى البشارة والتعليم، كما تأتي بمعنى الإخبار بخبر.

أما ما تبقى من أسفار العهد الجديد فتشتمل على أعمال لبعض مقدسيهم ورسائل لهم.

كما تُعنى أيضًا بالناحية التعليمية التي تبين ديانتهم.

**هذا، والنصارى مختلفون في هذه الأناجيل، فلا يُسلِّم جميعهم بها، وأكثرهم**

**رفضًا لكثير منها طائفة البروتستانت[(١)].**

### أين الإنجيل الذي أُنزل على عيسى؟

الشواهد متضافرة على أن الله تعالى أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام الإنجيل، وأنه كتاب فيه هدى ونور، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [آل عمران: ١ - ٤].

وقال سبحانه: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

**فأين هذا الإنجيل؟**

إن الإنجيل الذي أتى به المسيح عليه الصلاة والسلام قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل.

فجاءت كلمة الإنجيل بلا إضافة لأحد.

ب- وجاء في رسالة بولس إلى الرومانيين:

١-١ من بولس المدعو ليكون رسولًا المفروز لإنجيل الله، الذي سبق فوعد به على ألسنة أنبيائه في الكتب المقدسة.

١-٩ فإن الله الذي أعبده - وفي بعض النسخ: أخدمه - بروحي في

---

(١) انظر «إظهار الحق» (ص ٥١، ٥٥ و٥٧-٧٥)، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية (١/ ٣٩٣، ٣٩٤)، «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبو زهرة (ص٣٨-٣٩-٦٧)، «المفسدون في الأرض» لـ س. ناجي (ص ٩- ١٠و١٤)، «المسيح عيسى ابن مريم» (ص ٤٦-٤٨)، نشرته دار الكتب بالقاهرة، العهد الجديد المطبوع بلبنان حريصا سنة (١٩٦٤) المقدمة ص أ-ب، «قصص الأنبياء» لعبد الوهاب النجار (ص٣٩٩).

التبشير بإنجيل ابنه، يشهد لي بأني أذكركم بلا انقطاع.

١٥-١٦ لأكون خادمًا للمسيح يسوع لدى الأمم، وأقوم بخدمة إنجيل الله المقدسة.

ج- وجاء في رسالته إلى أهل تسالونيكي:

٢-٨ هكذا إذا كنا حانين إليكم، كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط، بل أنفسنا أيضًا.

١-٩ فإنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدنا إذ كنا نكرز لكم. وفي بعض النسخ نبشركم بإنجيل الله.

فهذه النصوص التي تُسلِّم بها الكنيسة تبين أن المسيح عليه الصلاة والسلام جاء بكتاب هو الإنجيل. ولا شك أن الإنجيل المذكور في هذه النصوص وفي غيرها، ليس واحدًا من الأناجيل الأربعة؛ لأنها لا تضاف إلا إلى أصحابها باتفاق النصارى، ولأن المسيح عليه الصلاة والسلام قد وعد بهذا الإنجيل، ولم يكن واحد منها قد وُجد في عهده بالاتفاق، وليس من المعقول أن يعظ هو بأقوال تلاميذه أو من بعدهم.

**إذًا، ضاع إنجيل المسيح الذي فيه هدى ونور على مر الزمان، وتمسك النصارى بكتب ألفها أناس نُسبت إليهم وأضيفت لهم.**

**ولو أن هذا الكتاب وصل إلينا كما كتبه ولا يَكتب إلا ما أنزل إليه، لكان من أهم الكنوز وأغلاها**[1].

---

(١) انظر «إظهار الحق» (١/ ٥٢)، و«قصص الأنبياء» للنجار (ص ٣٩٩)، «المسيح عيسى ابن مريم» (ص ٤٩-٥١ و ٦٩)، «محاضرات في النصرانية» (ص ٥٤، ٥٥)، العهد الجديد لبنان حريصا المقدمة ص أوالرسائل (ص٢٩٣، ٤٠٢)، العهد الجديد جمعية الكتاب المقدس (ص٣٣١).

## لمحة عن الأناجيل والأدوار التي مرت بها:

فُقد إنجيل المسيح ولم يعد له وجود، وإنما يوجد الآن قصص ألفها التلاميذ وغير التلاميذ، لم تَسْلَم من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف، كما هو واضح لدى مقارنتها ببعضها.

ويطلق اسم الإنجيل عرفًا الآن على هذه القصص التي وُجدت بعد زمان المسيح عليه الصلاة والسلام، تقص أحواله وأعماله وأقواله التي وعظ بها، ومعجزاته التي أجراها الله على يديه.

ومكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد؛ لأنها تشتمل على أخبار المسيح من وقت الحمل إلى وقت الصلب كما يزعمون وقيامته من قبره بعد ثلاث ليالٍ، ثم رفعه بعد أربعين ليلة.

وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح بزعمهم والصلب والفداء.

والأناجيل المقدسة عندهم الآن والتي تعترف بها الفِرق النصرانية وتأخذ بها هي الأربعة الآنفة الذكر. والتي لم يُكتب شيء منها في زمن المسيح، ولكن بعد انتهاء أمره من الأرض، قام بعض التلاميذ وكتبوا قصصًا كثيرة، وكل واحد منهم يسمي ما كتبه إنجيلًا.

**وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة، ويروي التاريخ أنه كانت هنالك أناجيل أخرى أخذت بها فرق قديمة في العصور الغابرة، وراجت عندها، بحيث لم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها.**

**ونذكر منها على سبيل المثال ما يلي:**

١- عند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ديصان إنجيل يخالف بعض هذه الأناجيل.

٢- ولأصحاب ماني إنجيل يخالف هذه الأربعة، وهو الصحيح عندهم.

٣- هناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين، يُنسب إلى تلامس. والنصارى ينكرونه.

٤- هناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة.

٥- وإنجيل سرن تهس.

٦- وهناك إنجيل يسمى إنجيل الصبوة أو الطفولة.

ذكرت فيه الأشياء التي صدرت من المسيح في طفولته، وهو ينسب لبطرس عن مريم

٧- الإنجيل الأغنسطي ، وقد طُمست رسومه وعفت آثاره، وهو يبتدئ بمقدمة تندد بمقدسهم بولس، وينتهي بخاتمة فيها مثل ذلك التنديد.

٨- وهناك إنجيل برنابا الذي سأتكلم عنه قريبًا.

إذًا، لقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة، كما أجمع على ذلك مؤرخو النصرانية، ثم بعد أن أفاق النصارى من الاضطهادات التي توالت عليهم. نظروا في تلك القصص فهالهم أمرها.

وفي أواخر القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث، اختارت الكنيسة من بينها القصص التي لا تتعارض مع نزعتها، وسَلَّمت بها وجعلتها قانونية، ورفضت ما يخالف رغبتها، وأجبرت ولم تكترث لما بين مضامين هذه الأربعة من التخالف والتناقض، ما دام ذلك لا يخالف المنزع العام الذي قصدته، رغم ما فيها من انقطاع في السند، وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقي أو المترجم ومبلغ أمانته على الدين وحرصه على الصدق، كما لا توجد نسخة بخط تلميذ من التلاميذ، ولا ما يضمن شبهة صحة فيها.

فإنجيل متى على سبيل المثال يذكرون في تعريفه ما يلي: كتب متى إنجيله باللغة الآرامية، وهي فرع عن العبرية، ثم نقله إلى اليونانية هو أو

غيره . فمَن هو المترجم؟ هذه جهالة في السند لأقدم أناجيلهم، وليس ثمة نسخة أصلية باللغة الآرامية عندهم.

هذا، ولاختلاف مصنفي الأناجيل اختلفت مصنفاتهم اختلافًا يفضي إلى أن أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب. وبعضهم يذكر في إنجيله حالات أو عجائب لا يذكرها الآخر، وكثيرًا ما يروى الخبر الواحد في إنجيل ما بعبارة تناقض بالزيادة والنقصان ما ذُكر في الآخر.

ويذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا قبل آخر القرن الثاني. وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة أرينوس سنة (٢٠٩م).

**وقد بحث بعض الباحثين المحققين من علماء أوروبا في الأناجيل الأربعة، فتبين لهم أنه لا يُعرف متى كُتبت، ولا بأي لغة أُلفت. وقال بعضهم: إن مؤلفيها غير معروفين، واتهم بعضهم بولس الذي كان يهوديًّا بوضع أكثرها. بل منهم من جعل تعالىمها مأخوذة من الوثنية. كما في دائرة المعارف الفرنسية وغيرها**[1].

### كلمة عن إنجيل برنابا:

إنجيل برنابا من الكتب التي لا يعترف بها النصارى، بل يَدَّعون أنه حديث عهد في الوجود، أخرجته يد مرتد عن النصرانية جد خبير بالتوراة اللاتينية، يصف شتى نواحي الحياة الدينية والمدنية والتاريخية والجغرافية

---

(١) «محاضرات في النصرانية» (ص ٣٨، ٣٩)، «قصص الأنبياء» للنجار (ص ٣٩٩)، «المسيح عيسى ابن مريم» (ص ٥٢، ٦٩، ٧٠، ٩٠) مقدمة العهد الجديد المطبوع في حريصا لبنان (ص أ). و«إظهار الحق» (١/ ٧٦-٨٦)، «مقدمة إنجيل برنابا» للدكتور خليل سعادة (ص ١٣).

والاجتماعية في عهد المسيح عليه الصلاة والسلام على ما رأى بعينه في بيئته الإيطالية في القرن السادس عشر.

ويرى الدكتور خليل سعادة أن كاتبه يهودي أندلسي، اعتنق الدين الإسلامي بعد تنصره واطلاعه على أناجيل النصارى.

جلس على الأريكة البابوية سنة (٤٩٢م) يعدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها، وفي عدادها كتاب يسمى إنجيل برنابا.

وأقوال العلماء والمؤرخين والمحققين تترى في تحريم قراءة أناجيل كثيرة، ومصادرة الكنيسة لها.

إذًا فالإنجيل كان موجودًا قبل ظهور محمد ﷺ بزمن طويل، فإنه وُلد سنة ٥٨٥م تقريبًا.

وأول من عثر على النسخة الإيطالية هو كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا. ولا تزال هذه النسخة محفوظة في مكتبة البلاط الملكي في فينا حتى الآن.

وفي أوائل القرن الثامن عشر وُجدت نسخة أخرى أسبانية.

ويقول الدكتور خليل سعادة: إن الأسبانية ترجمة حرفية عن الإيطالية إلا في مواضع قليلة.

وقد اكتشف النسخة الإيطالية راهب لاتيني اسمه فرامرينو. وكان هذا الراهب قد عثر على رسائل لإيرينايوس ، وفي عدادها رسالة يندد فيها بالقديس بولس، وأنه أسند تنديده هذا إلى إنجيل القديس برنابا. فأصبح الراهب من ذلك الحين شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل. واتفق أن أصبح حينًا من الدهر مقربًا من البابا سكتس الخامس. وحدث يومًا أنهما دخلا معًا مكتبة البابا، وأخذت البابا سِنة من النوم، فأحب فرامرينو أن يقتل

الوقت بالمطالعة، فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو هذا الإنجيل، فكاد يطير فرحًا، وخبأه في أحد ردنيه، ولبث إلى أن استيقظ البابا، فاستأذن بالانصراف، ثم طالع الكتاب بشوق عظيم، فاعتنق الإسلام.

هذا، ومن الملاحظ أنه لم يرد ذكر هذا الإنجيل في كتابات مشاهير المسلمين في الأعصر القديمة والحديثة، حتى في مؤلفات من انقطع منهم إلى الأبحاث والمجادلات الدينية ممن تصدوا لمناقشة النصارى، مثل ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن حزم الأندلسي والشهرستاني وغيرهم، مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم في تلك المناقشات، حتى إنه لم يرد له ذكر في فهارس الكتب العربية القديمة عند العرب أو العجم. وإذا كان المسلمون هم الذين وضعوه، فمتى استفادوا منه؟ وإذا لم يستفيدوا منه فلمَ وضعوه؟

فالكتاب إذًا نصراني، ونسخته الأولى وُجدت في جو نصراني خالص[(١)].

علمًا بأن برنابا هو أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر[(٢)].

❊ ❊ ❊

---

(١) «مقدمة إنجيل برنابا» للدكتور خليل سعادة، ومقدمة الناشر السعيد محمد رشيد رضا، و«مقدمة العهد الجديد» للقس جورج فاخوري المطبوع في حريصا بلبنان، «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبو زهرة (ص ٥٩-٦٣).

(٢) «وجاء النبي المنتظر» (ص: ١٣).

## المبحث الرابع: بشارات العهد الجديد

### ١- بشارات متى:

**البشارة الأولى:**

**قال متى في الإصحاح الثالث مخبرًا عن يوحنا المعمدان - يحيى** عليه السلام - أنه قال: (أنا أعمدكم بالماء - وذلك للتوبة وغفران الخطايا - ولكن هناك شخص قادم بعدي وهو أقوى مني، لدرجة أنني لا أستحق حل سيور حذائه، وسيعمدكم بالروح والنار).

هذه البشارة أوردها كل من المهتدي عبد الأحد داود والنجار.

وأضاف إليها النجار بعض العبارات التي تذكر صفة هذا القادم المنتظر، وهو قوله: (الذي رفشه بيده، وينقي بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ).

وأوضح هذه العبارات فقال: (قوله: «الذي رفشه بيده». ونسخة الآباء العيسويين: (الذي بيده المذرى). إشارة إلى ما قام من حروب وجهاد مع الكفار لنصرة دين الله وإعلاء كلمته.

وقوله: «وينقي بيدره» بمعنى يُطهر موطنه من الأصنام ومن عبدتها المشركين.

وقوله: (ويجمع قمحه إلى المخزن) أي: يجمع صحابته والمؤمنين به عند بيت الله الحرام.

«أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ». أي: يقضي على عناصر الشر والفساد في العالم، ويناهض أهل الشرك والضلالة وعبادة الأصنام).

**البشارة الثانية:**

**قال متى في الإصحاح الخامس مخبرًا عن المسيح أنه قال:** (الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، ولا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل).

**لتوضيح هذه البشارة يقال:** (الكل هنا - كما سبقت إليه الإشارة - هو القرآن الكريم الذي فيه نبأ السلف، وأخبار الخلف، فيه قصص من سبق من الأنبياء وابتلاؤهم على أيدي أقوامهم، فيه هدى للمتقين، ووعيد للكافرين، وتنظيم للحياتين الدنيا والآخرة، روح من رب العالمين نزل على قلب بشر لم يؤتَ من قبل فنون الكلام).

وفي هذا النص إشارة إلى وجوب العمل بالتوراة والإنجيل إلى غاية محدودة وهي مجيء الكل، فإذا جاء الكل - وهو القرآن الكريم - بطل العمل بهما، وحان نسخهما، وأذن الله بزوالهما. والمراد بالزوال هنا زوال الحكم لا زوال الوجود.

**ولعل مقصود عيسى عليه السلام من قوله: (الأصغر) أي: الأصغر سنًّا. هذا على فرض صحة نسبة هذا النص إلى عيسى عليه السلام.**

**البشارة الثالثة:**

**قال متى في الإصحاح الحادي عشر:** (وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي). بعد هذه النبوة: (أي إن أردتم أن تتبعوا فاتبعوا أحمد الذي سيُبعث، وشدد عليهم في التمسك بهذه الوصية والمحافظة عليها فقال: (من له أذنان للسمع فليسمع).

**البشارة الرابعة:**

روى متى في الإصحاح السابع عشر ذلك الحوار الذي دار بين المسيح عليه السلام وتلامذته وهو قولهم: (لماذا يقول الكتبة: إن إيلياء ينبغي أن يأتي

أولًا؟ فأجاب وقال لهم: إن إيلياء يأتي أولًا، ويرد كل شيء).

وهنا يجدر الإشارة للتالي: (ونجد المحرفين يشيرون بأن هذا الكلام على يوحنا - أي سيدي يحيى - مع أن سيدنا يحيى ليس له شرع ولا كتاب).

**البشارة الخامسة:**

**قال متى في الإصحاح العشرين مخبرًا عن المسيح أنه قال:** (أما قرأتم قط في الكتب: أن الحجر الذي رذله البناؤون، هذا صار رأسًا للزاوية، من قِبل الرب كانت هذه، وهي عجيبة في أعيننا، من أجل هذا أقول لكم: إن ملكوت الله تنزع منكم، وتعطي لآخرين، لأمة يصنعون ثمرتها، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن يسقط عليه يطحنه).

**أجدني مضطرًا أمام هذه البشارة إلى تقسيم الكلام عنها إلى قسمين:**

**القسم الأول: يختص بالكلام عن الحجر الذي رفضه البناؤون**، وهذا الحجر المشار إليه هو محمد ﷺ، فهو الحجر المتمم للبناء الذي ابتدأه الأنبياء من آدم حتى المسيح، وبَيَّن المسيح عليه السلام ما خُص به محمد ﷺ، من النصر والتأييد بقوله: (ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن يسقط عليه يطحنه).

قوله: (من قِبل الرب): أي: مرسل من قبل الله حقًّا وصدقًا.

قوله: (عجيب في أعيننا). هذا القول يطابق قول إشعياء: إن اسمه عجيب. أو أن تكون بمعنى عجيب؛ لأنه كريم في طبعه عربي غريب من غير بني إسرائيل.

وإن قيل: إن المسيح عنى نفسه بهذا المثل. فيقال: إنه قال: (في أعيننا) ولم يقل: في أعينكم.

إن خاتمة البشارة وهي قوله: (مَن سقط على هذا الحجر يترضض) تفيد

جليًّا أن هذه العبارة واردة في حق شخص آخر غير المسيح عليه السلام؛ لأن عيسى عليه السلام لم يرضّ غيره، ولم يسحق من سقط عليه.

لا يجوز عند علماء اللغة أن يعود اسم الإشارة على المتكلم وهو عيسى، إذًا، فلابد أن يعود على شخص أشار إليه عيسى وهو محمد ﷺ.

وهذه البشارة تماثل قوله ﷺ عن نفسه: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»(١).

وهذا القول منه ﷺ معجزة وأي معجزة، فمن أخبره ﷺ بوصفهم له بأنه حجر الزاوية؟ وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتتلمذ على يد معلم أو راهب!! ولكنه الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والحق الذي لا يختلف في كل عصر ومصر، فلا عجب أن تماثلت أقوالهم واتفقت أمثالهم، أليس الجميع يخرج من مشكاة واحدة؟؟!!

**القسم الثاني: يختص بالكلام عن نزع ملكوت الله من بني إسرائيل، ووضعه في أمة أخرى:** والحديث عن ملكوت الله يتطلب الحديث عن حقيقته، وصفات أتباعه، وملكوت الله في تفسير الكنائس، وبيان أن النصرانية ليست ضمن ملكوت الله، وأن الملكوت نُزع من بني إسرائيل وأُعطي لأمة أخرى، وهذه الأمة هي الأمة الإسلامية.

### ٢- بشارات يوحنا:

**البشارة الأولى:**

لما ابتدأ يوحنا يعمد الناس في نهر الأردن، وكان ذلك في زمن المسيح

(١) البخاري، كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين ﷺ، برقم (٣٥٣٥)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، برقم (٢٢٨٦).

عليه السلام، تصدى له اليهود - المكتوب عندهم في التوراة أن المسيح آتٍ وسيأتي بعده نبي - وسألوه سؤالًا كما جاء في الإصحاح الأول: (هل أنت المسيح؟ هل أنت إيلياء؟، هل أنت النبي؟ وعندما أجابهم بالنفي قالوا: إذا لم تكن المسيح ولا إيلياء ولا ذلك النبي المنتظر، إذًا فلماذا تعمد؟؟).

يقال بعد هذه البشارة: (من سؤال اليهود ليوحنا نستطيع أن نستنتج أن هناك نبيًّا بشرت به كتبهم، حيث إن السؤال كان في عهد السيد المسيح، وأن إيلياء كان نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل جاء بعد موسى وقبل المسيح).

**وهنا عدة تساؤلات ملزمة حول هذا النص وهي:**

مَن يعني أولئك الأحبار اليهود واللاويون بقولهم: ذلك النبي؟ وإذا كنتم تدعون معرفتكم مقصد رجال الدين العبرانيين، فهل يعرف باباواتكم وبطارقتكم من هو ذلك النبي؟ وإذا كانوا لا يعرفون فما الفائدة الدنيوية من هذه الأناجيل المشكوك في صحتها؟ وإذا كان الأمر على العكس، وكنتم تعرفون من هو ذلك النبي فلماذا تبقون صامتين؟؟!

**ويستنتج من هذه البشارة:** أن اليهود منذ زمن موسى إلى زمن مجيء المسيح عليه السلام كان يتداول بينهم - نقلًا عن آبائهم وأجدادهم - أن الله يرسل نبيًّا، وهم بانتظار ثلاثة أفراد عظام هم: إيلياء والمسيح والنبي، فحيث جاء إيلياء والمسيح لم يَبْقَ إلا (النبي) الذي ينتظرونه، وقد ورد في هذا النص بعد المسيح فتعين أن هذا النبي هو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قد جاء بعد المسيح عليهما الصلاة والسلام.

وهذه البشارة تفند ادعاء اليهود أن بشارة موسى عن نبي يقيمه الله لهم دالة على يوشع بن نون؛ لأنه لو كان المقصود لما ظل اليهود إلى زمن المسيح يسألونه عن ذلك النبي.

وتفند - أيضًا - ادعاء النصارى بأن بشارة موسى السابقة مقولة على المسيح عليه السلام، لأن علماء اليهود قالوا ليوحنا: (إن كنت لست المسيح ولا إيلياء ولا النبي...) وهذا يدل على أن هذا النبي غير المسيح عليه السلام.

**البشارة الثانية:**

**قال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله:** إن المسيح عليه السلام قال: (إن الفارقليط الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء).

**وقال - أيضًا - في الفصل السادس عشر:** (إن الفارقليط لن يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئًا، لكنه يسوسكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب).

**وقال - أيضًا -:** (إني سائل أبي أن يرسل إليكم فارقليطًا آخر يكون معكم إلى الأبد).

والنص الأخير لا يتضح المعنى المراد منه إلا بإعادة الكلمات المسروقة أو المحرفة، فتكون الصيغة الصحيحة كالتالي: (وسوف أذهب إلى الأب، وسيرسل لكم رسولًا سيكون اسمه (البرقليطوس)، لكي يبقى معكم إلى الأبد) والكلمات التي أضافها هي ما تحتها خط.

**هذه البشارة تكاد أن تكون محل إجماع من الذين لا يكتمون الحق، وسيكون الحديث عنها من جانبين:**

**الجانب الأول:** بشارة المسيح عليه السلام بخاتم الرسل محمد ﷺ وذلك من خلال النقاط التالية:

أن هذا النبي الذي بشر به المسيح عليه السلام علّم الناس ما لم يعلموه من قبل، ولم يكن في تلاميذ المسيح ومَن بعدهم من علّم الناس شيئًا غير الذي كان علمهم المسيح.

تضمن النص أن هذا الشخص المبشر به لا يتكلم من تلقاء نفسه، وأنه يخبر بالحوادث والغيوب، ولقد كان محمد ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد تواتر عنه إخباره بالحوادث المقبلة والغيوب التي تحققت في حياته وبعد مماته.

وتتفق هذه البشارة مع بشارة موسى عن هذا النبي المنتظر عندما أخبر أن الله قال: (وأجعل كلامي في فيه). والحديث عن هذه البشارة ضمن بشارات العهد القديم.

أن هذا النبي المنتظر بَكَّت العالم على الخطيئة، ولا خطيئة أعظم من الشرك، ولم يقتصر عمل محمد ﷺ على اقتلاع الشرك من جزيرة العرب وبَعْث رسله وكتبه إلى ما جاوره من الدول والإمبراطوريات يدعوهم إلى عبادة الله وحده، بل لما لم تقبل دعوته استل سيفه مؤذنًا بإعلان الحرب على الشرك مهما كان موقعه.

أن الشخص المبشر به يؤنب العالم. ولقد اعتقد اليهود أنهم صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه. واعتقد النصارى أن المسيح قد صُلب وأنه الله أو ابن الله.

ولم يزل العالم يعتقد هذا الاعتقاد حتى جاء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وجلّى كل الحقيقة عن المسيح من أنه عبد الله ورسوله، وأنه لم يُصلب ولم يُقتل، بل رُفع إلى السماء.

في هذا النص صرح المسيح عليه السلام أن الشخص المبشر به هو (روح الحقيقة) ومحمد ﷺ هو الذي أظهر كل الحقيقة عن الله وعن وحدانيته ورسله وكتبه ودينه، وصحح كثيرًا من الافتراءات والأكاذيب التي كانت مدونة ومعتقدًا بها، فهو الذي وبخ النصارى على اعتقادهم في الثالوث وادعائهم أن المسيح هو ابن الله، وكشف مفتريات اليهود والنصارى ضد

أنبياء الله ورسله وطهر ساحتهم من الدنس والعيب الذي ألحقه بهم اليهود.

ذكر رجل هداه الله لنور الإسلام المهتدي الترجمان في سبب إسلامه أن أحبار النصارى كان لهم مجلس يجتمعون فيه، ويتذاكرون فيه أنماطًا من المسائل، فاختلفوا يومًا حول النبي الذي يأتي بعد المسيح والمسمى في الإنجيل (البارقليط) وانفض المجلس في ذلك اليوم ولم يصلوا إلى حقيقة هذا اللفظ، وقد تخلف عنهم في ذلك اليوم أكبر علمائهم، فلما رجع الترجمان إليه أخبره الخبر، وطلب الترجمان من هذا العالم أن يبين له الحقيقة فأخبره أن (البارقليط) هو اسم من أسماء نبي المسلمين محمد بن عبد الله ﷺ.

**البشارة الثالثة:**

**قال يوحنا في إنجيله الإصحاح السادس عشر مخبرًا أن المسيح قال:** (إن أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما أمتي جاء ذاك روح الحق فهو سيرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني).

(وهذه البشارة في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

وقال وفي هذه الشارة تري: (والمسيح يبصر أمته بأن لديه أمورًا كثيرة تفوق طاقة احتمالهم، وأنه سيأتي الوقت المناسب لمجيء الرسول الذي يعنيه بالروح الحق. فتكون العقول قد تفتحت، والقلوب قد ذهب عنها رينها، والنفوس قد أُلهمت بعد فجورها تقواها، في هذه اللحظة - فقط - يكون الناس قد استعدت أفهامهم، واتسعت مداركهم لاحتمال كل ما يلقى إليهم على لسان هذا النبي الذي لا يتكلم من نفسه، وإنما من وحي يوحى إليه من ربه بالقرآن).

ويذكر المسيح عليه السلام بعض أوصاف هذا الرسول الخاتم التي تساعد على تمييز شخصيته، منها قوله: (ذاك يمجدني).

فمن صفات هذا الرسول أنه يمجد المسيح، ولم يأتِ أحد بعد المسيح ويمنحه من التمجيد والثناء ما يستحقه، ويرفع عنه وعن أمه افتراءات اليهود، ويضعه في المنزلة التي وضعه الله فيها - وهي العبودية والرسالة - سوى محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن صفات هذا الرسول أنه سيرشد الخلق إلى أمور وحقائق لم يُبلغها المسيح، وذلك في قوله: (ويخبركم بأمور آتية).

### ٣- بشارة سفر أعمال الرسل:

بشارة بولس في رسالته إلى أهل غلاطية:

قال بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: (إنه كان لإبراهيم ابنان أحدهما من أَمَة والآخر من حرة، وقد كان مولد ابنه الذي من الأَمَة كمولد سائر البشر، فأما مولد الذي من الحرة فإنه وُلد بالعدة من الله.

فهما مثالان مشبهان بالفرضين والناموسين، فأما هاجر فإنها تشبه بجبل سينا الذي في بلاد أرابيا الذي هو نظير أوراشلم هذه، فأما أوراشلم التي في السماء فهي نظير امرأته الحرة).

**قال المهتدي الطبري:** (فقد أثبت بولس في قوله هذا معاني جمة:

**أولها:** أن إسماعيل وهاجر قد كانا استوطنا بلاد العرب، وهي التي سماها بلاد أرابيا.

**الثاني:** أن جبل سيناء الذي بالشام يتصل ببلاد البوادي بقوله: (إن هاجر تشبه بطور سينا الذي ببلاد أرابيا). وسينا هو الذي ذكرته التوراة في صدر هذه النبوات في قولها: (إن الرب جاء من سينا، وطلع لها من ساعير، وظهر

من جبل فاران).

فشهد بولس هذا بأن الذي قالت عنه التوراة: (إنه جاء من سينا) هو النبي ﷺ، وهو الذي ظهر في بلاد أرابيا. وأين يكون من الإبانة والإيضاح أكثر من تسمية بلاد أرابيا التي عني بها بلاد العرب.

**الثالث:** أن بيت المقدس هو نظير مكة.

**الرابع:** أن هذا الناموس الثاني والفريضة الثانية وهي (الشريعة الإسلامية) سماوية لا شك فيها، فقد سماهما باسم واحد، ولم يفرق بينهما بمعنى من المعاني.

فأما تقديمه الحرة، وقوله: (ابن الأمة لم يولد بالعدة) فذلك منه بالعصبية والميل. وفيما استشهدت به من قوارع التوراة على إسماعيل ما فيه كفاية وبرهان على أنه - أيضًا - وُلد ليس بعدة واحدة بل بعدات كثيرة.

### الخاتمة:

ليست هذه البشارات التي أوردتها هي كل ما في التوراة والإنجيل[1].

## المبحث الخامس: بشارات العهد القديم

**البشارة الأولى:**

**رؤيا رآها يعقوب** عليه السلام **في منامه**، وذلك أنه رأى سُلَّمًا منصوبًا من الأرض إلى السماء، وله خمس درجات، ورأى في منامه أُمة عظيمة صاعدة في ذلك الدرج والملائكة يعضدونهم، وأبواب السماء مفتوحة، فتجلى له ربه قائلًا: يا يعقوب، أنا معك أسمع وأرى، تَمَنَّ يا يعقوب. فقال: يا رب مَن

(١) «بشارات العهد الجديد بمحمد ﷺ» بتصرف (١/ ١).

أولئك الصاعدون في ذلك الدرج؟ فقال الله له: هم ذرية إسماعيل. فقال: يا رب بماذا وصلوا إليك؟ فقال: بخمس صلوات فرضتهن عليهم في اليوم والليلة فقبِلوهن وعملوا بهن.

فلما استيقظ يعقوب من منامه فرض على ذريته الخمس الصلوات، ولم يكن الله ﷻ قد فرض على بني إسرائيل صلاة في التوراة إلا القرابين يقربونها، وما زالت بنو إسرائيل وعلماؤهم يصلون الصلوات الخمس اتباعًا لسنة جدهم يعقوب عليه السلام.

ولم تزل أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام يبشرون بظهور محمد ﷺ، ويتمنون أن يكونوا في زمانه.

**البشارة الثانية:**

**أن يعقوب عليه السلام لما دنت وفاته جمع أولاده وقال لهم:** (تقربوا إليّ أقول لكم ما يظهر آخر الزمان. فلما اجتمعوا قال لهم: ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا. قال الإسكندراني: (ولم يوجد في التوراة أنه ذُكر شيء مما وعد به، بل مكتوب في التوراة أنه دعا لهم وتُوفي، عُلم من ذلك أنهم محوا اسم النبي محمد ﷺ من هذه الآية.

قلت: إن الله صرفهم عن محو اسم النبي ﷺ من وصية يعقوب، ففي هذا الإصحاح وبعد هذه الفقرة بفقرات يسيرة يرد إخبار يعقوب لأبنائه بما سيكون في آخر الزمان، وقد بقي هذا الإخبار إلى الآن يحمل بعض ألفاظه العبرية، وهو قول يعقوب عليه السلام: (لا يزول صولجان من يهوذا أو مشرّعٌ من بين قدميه حتى يأتي شيلوه، ويكون له خضوع الشعوب).

**وقد منّ الله على المهتدي عبد الأحد داود فكشف اللثام عن هذه الوصية، وفي الأسطر التالية أقتبس بعض استدلالاته واستنتاجاته على أن هذه البشارة خاصة**

**برسولنا محمد ﷺ، وهذه الاستدلالات هي:**

أن كلمة (شيلوه) كلمة فريدة في العهد القديم، ولم تكرر في أي مكان آخر في العهد القديم.

أن كلمة (شيلوه) تتكون من أربعة أحرف عبرية هي: (شين)، (يود)، (لاميد)، (وهي)، وتوجد بلدة اسمها شيلوه ولكن لا يوجد فيها حرف (يود)، ولذلك لا يمكن أن يكون الاسم مطابقًا أو مشيرًا للبلدة، إذًا فالكلمة حيثما وُجدت تشير إلى شخص وليس إلى مكان.

أن هذه العبارة اشتملت على ضمير لغير العاقل، وقد يشير إلى القضيب أو الصولجان، أو المشرع بصورة منفصلة أو مجتمعة، وربما يشير للطاعة.

وعليه فإن معنى العبارة: (إن الطابع الملكي المتنبي لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجيء الشخص الذي يخصه هذا الطابع ويكون له خضوع الشعوب).

بعد أن أورد بعض تحولات الترجمة لهذه الكلمة بين العبرية والسريانية قال: يمكن أن تقرأ هذه العبارة بالصورة التالية: (حتى يأتي الشخص الذي تخصه..).

أن الكلمة (شيلوه) مشتقة من الفعل العبري (شله) وهي تعني المسالم والهاي والوديع والموثوق.

من المحتمل أنه تم على هذه العبارة تحريف متعمد فتكون (شالوه) فحينئذٍ يكون معناها (شيلوح) وهذه العبارة مرادفة لكلمة (رسول ياه) وهو نفس اللقب الموصوف به محمد ﷺ (وشيلواح إلوهيم) تعني: رسول الله.

لا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على المسيح حتى لو آمن اليهود بنبوته؛ لأنه لا توجد أي من العلامات أو الخصائص التي توقعها اليهود في هذا النبي المنتظر في المسيح عليه السلام، فاليهود كانوا ينتظرون مسيحًا له سيف وسلطة، كما أن المسيح رفض هذه الفكرة القائلة بأنه هو المسيح المنتظر

الذي تنتظره اليهود.

أن هذه النبوة قد تحققت حرفيًّا وعمليًّا في محمد ﷺ، فالتعابير المجازية (الصولجان) و(المشرع) قد أجمع الشراح المعلقون على أن معناها السلطة الملكية والنبوة. وهذا يعني علميًّا أنه صاحب الصولجان والشريعة، أو الذي يملك حق التشريع وتخضع له الشعوب.

لا يمكن أن تنطبق هذه البشارة في حق موسى؛ لأنه أول منظم لأسباط بني إسرائيل، ولا في حق داود؛ لأنه أول ملك فيهم.

لو تم تفسير (شيلوه) بـ(شالا) الآرامية فهي تعني: هادي ومسالم وأمين، وهذا يتفق مع تفسير (شله) العبرية. وقد كان محمد ﷺ قبل الرسالة هو الأمين، وهو محل الثقة، وهو المسالم الهادي الصادق.

**وبعد هذه المحاولات التفسيرية والترجمة ينتقل المهتدي عبد الأحد إلى إلزام الخَصم بهذه النبوة ومدلولاتها وهي ما يلي:**

أن الصولجان والمشرع سيظلان في سبط يهوذا طالما أن شيلوه لم يظهر.

بموجب ادعاء اليهود في هذا (الشيلوه) فإن شيلوه لم يظهر، وأن الصولجان الملكي والخلافة تخصان ذلك السبط، وقد انقرضت منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا.

أن سبط يهوذا اختفى مع سلطته الملكية وشقيقتها الخلافة النبوية، ومن الشروط الأساسية لظهور (الشيلوه) إبقاء السبط على وجه الأرض يعيض في أرض آبائه، أو في مكان آخر بصورة جماعية.

اليهود مضطرون أن يقبلوا واحدًا من الخيارين: إما التسليم بأن (شيلوه) قد جاء من قبل وأن أجدادهم لم يتعرفوا عليه. أو أن يتقبلوا أن سبط يهوذا لم يعد موجودًا وهو السبط الذي ينحدر منه (شيلوه).

أن النص يتضمن بصورة واضحة ومعاكسة جدًّا للاعتقاد اليهودي والنصراني - أن (شيلوه) غريب تمامًا على سبط يهوذا وبقية الأسباط؛ لأن النبوة تدل على أنه عندما يجيء (شيلوه) فإن الصولجان والمشرع سوف يختفيان من سبط يهوذا، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان (شيلوه) غريبًا عن يهوذا، فإن كان (شيلوه) منحدرًا من يهوذا فكيف ينقطع هذان العنصران من ذلك السبط؟! ولا يمكن أن يكون (شيلوه) منحدرًا من أي سبط آخر؛ لأن الصولجان والمشرع كانا لمصلحة إسرائيل كلها، وليس لمصلحة سبط واحد.

وهذه الملاحظة الأخيرة تقضي على الادعاء النصراني في أن المسيح هو (شيلوه)؛ لأن المسيح منحدر من يهوذا من جهة أمه.

وقد أورد هذه البشارة النجار وقال: إن المعنى: أن النبوة تبقى في سبط يهوذا - أكبر أولاد سيدنا يعقوب - حتى يأتي (شيلون) أي: الإسلام، وتخضع له الأمم.

**أولًا: بشارة سفر العدد:**

**ما ورد في قصة بلعام بن باعوراء أنه قال:** (انظروا كوكبًا قد ظهر من آل إسماعيل، وعضده سبط من العرب، ولظهوره تزلزلت الأرض ومن عليها).

قال المهتدي الإسكندراني: (ولم يظهر من نسل إسماعيل إلا محمد ﷺ، وما تزلزلت الأرض إلا لظهوره ﷺ. حقًّا، إنه كوكب آل إسماعيل، وهو الذي تغير الكون لمبعثه ﷺ، فقد حُرست السماء من استراق السمع، وانطفأت نيران فارس، وسقطت أصنام بابل، ودُكت عروش الظلم على أيدي أتباعه.

وقد حُرف هذا النص في الطبعات المحدثة إلى: (يبرز كوكب من

يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم موآب، ويهلك من الوغى).

**ثانيًا: بشارات سفر التثنية:**

**البشارة الأولى:**

لما هُزمت جيوش بني إسرائيل أمام العمالقة، توسل موسى إلى الله ﷻ مستشفعًا بمحمد ﷺ قائلًا: (اذكر عهد إبراهيم الذي وعدته به من نسل إسماعيل أن تنصر جيوش المؤمنين. فأجاب الله دعاءه ونصر بني إسرائيل على العمالقة ببركات محمد ﷺ).

وقد استبدل هذا النص بالعبارات التالية: (اذكر عبيدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيئته) ولا يمكن أن يكون هذا الدعاء - الذي في النص الأول - قد صدر من موسى عليه السلام لأنه ينافي كمال التوحيد.

**البشارة الثانية:**

**في الفصل الحادي عشر أن موسى قال لبني إسرائيل:** (إن الرب إلهكم يقيم نبيًّا مثلي من بينكم، ومن إخوتكم فاسمعوا له).

وقد ورد في هذا الإصحاح ما يؤكد هذا القول ويوضحه، وهو ما ورد في التوراة أن الله قال لموسى: (إني مقيم لهم نبيًّا مثلك من بين إخوتهم، وأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها ذلك الرجل باسمي، أنا أنتقم منه).

وتكاد أن تكون هذه البشارة محل إجماع من كل من كتب في هذا الجانب.

**وقد بَيَّنَ هؤلاء المهتدون كيف تنطبق هذه البشارة على نبينا محمد ﷺ من خلال الوجوه التالية:**

اليهود مجمعون على أن جميع الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل من

بعد موسى لم يكن فيهم مثله. والمراد بالمثلية هنا أن يأتي بشرع خاص تتبعه عليه الأمم من بعده، وهذه صفة نبينا محمد ﷺ؛ لأنه من إخوتهم العرب، وقد جاء بشريعة ناسخة لجميع الشرائع السابقة، وتبعته الأمم عليها، فهو كموسى، هذا فضلًا عن أن لفظة (من بينهم) الواردة في البشارة قد أكدت وحددت الشخص المراد.

هذا النص يدل على أن النبي الذي يقيمه الله لبني إسرائيل ليس من نسلهم، ولكنه من إخوتهم، وكل نبي بُعث من بعد موسى كان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم يَبْقَ رسول من إخوتهم سوى نبينا محمد ﷺ.

أن إسماعيل وذريته كانوا يسمون إخوة لبني إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن الله قال في التوراة لهاجر - حَسَب رواية العهد القديم - عن ابنها إسماعيل: (بأنه قبالة إخوته ينصب المضارب) كما دعي إسحاق وذريته إخوة لإسماعيل وذريته.

أن في هذه الآية إشارة خفية غير صريحة فائقة الحكمة؛ لأن موسى لو كان قصد بالنبي الموعود أنه من بني إسرائيل، لكان ينبغي أن يقول بدلًا من (من إخوتكم): (منكم)، أو (من نسلكم)، أو (من أسباطكم)، أو (من خلفكم)، وبما أنه ترك هذا الإيضاح، علمنا أنه قصد بهذه الإشارة أنه من بني إسماعيل المباينين لهم.

اشتمل هذا النص على مفردة كافية للتدليل على أن هذه النبوة خاصة بسيدنا محمد ﷺ وهي قوله: (أنتقم منه). وفي بعض الترجمات: (وكل نفس لا تسمع لذلك النبي وتطيعه تستأصل). فهي تدل على أن من لا يسمع له ويطعه ينتقم منه ويُستأصل. وهذا ينطبق تمامًا مع حال المخالفين لرسول الله ﷺ، ولا يمكن أن تنطبق على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي طارده وحاربه

اليهود، ولم يقع عليهم الانتقام منه أو من أتباعه، وهذه المفردة كافية للتدليل على صدقها على نبينا محمد ﷺ.

**البشارة الثالثة:**

**جاء في الفصل العشرين:** (أن الرب جاء من طور سينين، وطلع لنا من ساعير، وظهر من جبل فاران، ومعه عن يمينه ربوات القديسين فمنحهم العز، وحببهم إلى الشعوب، ودعا بجميع قديسيه بالبركة).

وهذه البشارة كالتي قبلها كادت أن تكون محل إجماع وقَبول ممن كتب في هذا الجانب.

وفاران هي مكة وأرض الحجاز، وقد سكنها إسماعيل، ونصت على ذلك التوراة (وأقام في برية فاران، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر).

وإذا كانت التوراة أشارت إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل لأنهم سكان فاران.

أما من توهم أن فاران الواردة في هذه البشارة هي التي بقرب جبل سيناء - فليس ظنه صحيحًا؛ لأن فاران تلك هي برية فاران كما أفادت عنها التوراة. وهنا ذكر جبلًا. ودعيت تلك فاران بسبب أنها ظليلة من الأشجار. ولفظة فاران عبرية تحتمل الوجهين، فإذا ذكرت البرية لزم أنها ظليلة، وإن ذكر الجبل ينبغي أن يفهم بأنه جبل ذو غار، وفي هذه البشارة ذكر جبل فعلم أنه جبل فاران الذي فيه المغارة. كما أن لفظة فاران مشتقة من (فاري) بالعبرية وعربيتها: المتجمل. أي المتجمل بوجود بيت الله. وهذه الجبال قد تجملت ببيت الله.

ومعنى جاء الرب: أي ظهر دينه ودُعي إلى توحيده. كما أن لفظة (رب) هنا تقع على موسى وعيسى ومحمد وهي مستعملة بهذا الإطلاق في اللغة السريانية والعربية فتقول العرب: (رب البيت) بمعنى صاحب البيت ويقول

السريان لمن أرادوا تفخيمه (مار) ومار بالسريانية هو الرب.

وقد أورد المهتدي الإسكندراني هذه البشارة باللغة العبرية ثم ترجمها إلى اللغة العربية، ونص ترجمته هكذا: (جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، وظهر من ربوات قدسه عن يمينه نور وعن شماله نار، إليه تجتمع الأمم، وعليه تجتمع الشعوب).

وقال: (إن علماء بني إسرائيل الشارحين للتوراة شرحوا ذلك وفسروه بأن النار هي سيف محمد القاهر، والنور هي شريعته الهادية ﷺ.

وقد يقول قائل: إن موسى تكلم بهذه البشارة بصيغة الماضي فلا تنطبق على محمد ﷺ.

والجواب أن من عادة الكتب الإلهية أن تستعمل الماضي في معنى المستقبل، ألم تر أنه أخبر عن عيسى في هذه البشارة كذلك بصيغة الماضي، فإن قُبلت هذه البشارة في حق عيسى فهي في حق محمد أدعى للقبول.

وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ما يقتضي للعقلاء أن يبحثوا عن المعنى المراد منه المؤدي به إلى اتباع دينهم.

وقد ربط المهتدي إبراهيم خليل بين هذه البشارة وبين صدر سورة التين واستنتج منه تطابقًا كاملًا في الوسيلة والتعبير.

**البشارة الرابعة:**

لما بُعث المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل وأظهر لهم المعجزات، نهض إليه عالِم من علمائهم يقال له شمعون بلقيش وقال له: (لا نؤمن بك ولا نسلم لك فيما ادعيته، ولا فيما أتيت به؛ لأن موسى عليه السلام أخبرنا في شريعته عن

الله ﷻ أن النبي المبعوث في آخر الزمان هو من نسل إسماعيل، وأنت من بني إسرائيل. واستدل على ذلك بقول موسى في التوراة: (لا يقوم في بني إسرائيل مثل موسى) وأفتوا بقتل عيسى عليه السلام. وعيسى لم يدعِ أنه مثل موسى، وإنما دعاهم إلى عبادة الله وحده، والعمل والتصديق بما في التوراة.

### ثالثًا: بشارة اليأس:

ذكر المهتدي الإسكندراني أنه جاء في صحف إلياس عليه السلام أنه خرج في سياحته وصحبه سبعون رجلًا، فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه: انظروا هؤلاء الذين يملكون حصونكم العظيمة. فقالوا: يا نبي الله! ما الذي يكون معبودهم؟ فقال عليه السلام: يوحدون الله تبارك وتعالى فوق كل منبر عالٍ. فقال له أتباعه: يا نبي الله! من يدلهم على ذلك؟ فقال: ولد يولد من نسل إسماعيل، اسمه مقرون باسم الله، حيث يُذكر اسم الله تعالى يُذكر اسمه.

قال المهتدي الإسكندراني: ولم يكن ذلك إلا لمحمد ﷺ.

### رابعًا: بشارات المزامير:

**البشارة الأولى:**

**قول داود** عليه السلام **في المزمور الخامس والأربعين:** (من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد فتقلد السيف أيها الجبار؛ لأن بهاءك وحمدك البهاء الغالب، وأركب كلمة الحق، وسميت التأله، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك).

وقد أورد هذه البشارة المهتدي الشيخ زيادة في البحث الصريح بصورة أطول من هذه، وكل الصفات الواردة في كلا النصين تنطبق تمامًا على

سيدنا محمد ﷺ.

**البشارة الثانية:**

**قول داود عليه السلام في المزمور الثامن والأربعين:** (إن ربنا عظيم محمود جدًّا، وفي قرية إلهنا وفي جبله قدوس ومحمد، وعمت الأرض كلها فرحًا).

فقد صرح وأبان عن اسمه، وذكر مبعثه وهي أم القرى، ووصف حال الكون بعد مبعثه وهو الاستبشار والفرح، ألم تتلق الشعوب المغلوبة على أمرها جنوده بالفرح والاستبشار كما هو مدون في كتب السير والتأريخ.

وقد حُرف هذا النص في الطبعة التي بين يدي إلى: (عظيم هو الرب وحميد جدًّا في مدينة إلهنا قدسه) وقد يتضح القصد من إبدال القرية بالمدينة، حتى تنطبق هذه البشارة على أنبياء بني إسرائيل المبعوثين في مدنهم. وقد أعماهم الله عن تحريف الجزء الأول منه، فلله الحمد والمنة.

**البشارة الثالثة:**

قول داود عليه السلام في المزمور الخمسين: (إن الله صهيون إكليلًا محمودًا، فالله يأتي ولا يهمل، وتحرق النيران بين يديه، وتضطرم حواليه اضطرامًا).

قال المهتدي الطبري تعليقًا على هذه البشارة: (أفما ترون أنه لا يخلى داود عليه السلام شيئًا من نبواته من ذكر محمد أو محمود، كما تقرءون، ومعنى قوله: (إكليلًا محمودًا): أي أنه رأس وإمام محمد ومحمود، ومعنى محمد ومحمود وحميد شيء واحد في اللغة، وإنما ضرب بالإكليل مثلًا للربانية والإمامية).

وقد حُرف هذا النص إلى: (من صهيون كمال الجمال الله أشرق، يأتي إلهنا ولا يصمت).

**البشارة الرابعة:**

**قول داود في المزمور الثاني والسبعين:** (إنه يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على رُكَبهم، وتلحس أعداؤه التراب، تأتيه ملوك تاريس والجزائر بالقرابين، وتقرّب إليه ملوك سابا القرابين، وتسجد له الملوك كلهم، وتدين له الأمم كلها بالطاعة والانقياد؛ لأنه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، ويفتقد الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، وينجي أنفسهم من الضر والضيم، وتعز عليه دماؤهم، وأنه يبقى ويعطي من ذهب سبأ، ويُصلَّى عليه في كل وقت، ويبارك عليه كل يوم مثل الزروع الكثيرة على وجه الأرض، ويطلع ثماره على رؤوس الجبال، كالتي تطلع من لبنان، وينبت في مدينته مثل عشب الأرض، ويدوم ذِكره إلى الأبد، وإن اسمه لموجود قبل الشمس، فالأمم كلهم يتبكون به، وكلهم يحمدونه).

قال المهتدي الطبري: (ولا نعلم أحدًا يصلَّى عليه في كل وقت غير محمد ﷺ) وغني هذا النص عن زيادة تعليق أو شرح، فلم تتحقق هذه الصفات متكاملة لنبي أو ملك قبل محمد ﷺ مثل ما تحققت له.

وبمقارنة سريعة بين الآيات التي سأوردها وهذا النص يتضح التماثل التام بينهما، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقد تضمن المزمور الذي وردت فيه هذه البشارة بعض الألفاظ التي لا تزال مشرقة وشاهدة، وهي قول داود: (ويشرق في أيامه الصِّديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر) وهذا اللفظ يقع مباشرة قبل قوله: (إنه يجوز من البحر إلى البحر..) ولنفاسة هذا اللفظ أحببت إيراده. وقد ضُبطت لفظة (الصديق) بالشكل الذي نقلته، فهل بعد هذا الإيضاح يبقى إشكال لذي عقل؟ وقد ذكر صاحبه الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر سُنة من سنن دينه وهي كثرة السلام إلى أن يضمحل القمر، واضمحلال القمر تعبير عن الساعة، يشهد له أول سورة التكوير والانفطار، وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من علامات الساعة أن يكون السلام على الخاصة.

**البشارة الخامسة:**

**قال داود في المزمور الحادي عشر بعد المائة:** (قال يهوه لسيدي: اجلس على يميني إلى أن أجعل أعداءك مسندًا لقدميك).

**ويبرر المهتدي عبد الأحد داود إطلاق داود عَلَيْهِ السَّلَامُ لهذا الوصف (سيدي) بما يلي:**

أن داود كان ملكًا قويًّا، ولا يتأتى أن يكون خادمًا لأي كائن بشري.

لا يمكن أن نتصور أنه كان يعني بهذا اللقب أحد الأنبياء المتوفين.

لا يمكن لداود أن يدعو أحدًا من سلالته (سيدي) لأن اللقب المعقول حينئذٍ سيكون: يا بني.

لا يمكن أن يكون المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي عناه داود بسيدي؛ لأن المسيح قد استثنى نفسه من هذا اللقب بنص إنجيل برنابا.

**أما الحجج التي احتج بها عبد الأحد على أن الموصوف بـ (سيدي) في هذا النص هو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي كالتالي:**

أنه أعظم نبي؛ لأنه هو الذي نشر التوحيد، وقضى على الشرك، وطهّر

الكعبة من الأصنام، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، إذًا، ليس لداود فحسب بل سيد الأنبياء ولا فخر.

أن عيسى اعترف أنه لم يكن سيد داود، فلم يَبْقَ سوى محمد ﷺ سيدًا لداود.

بمقارنة ما قدمه محمد ﷺ للبشرية مع ما قدمه كافة الأنبياء، نخرج بنتيجة تفرض نفسها وهي أن محمدًا ﷺ وحده هو الذي يستحق هذا اللقب المميز.

تفوقه ﷺ في التنديد بالشرك والوثنية وبالثالوث النصراني.

أن هذا التشريف قد تم ليلة المعراج.

**البشارة السادسة:**

**قول داود عليه السلام في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة:** (من أجل أن الرب أتاح لشعبه وتَطَوَّل على المساكين بالخلاص، فليتعزز الأبرار بالكرامة، ويسبحونه على مضاجعهم، ويكرمون الله بحناجرهم؛ لأن في أيديهم السيف ذا الشفرتين للانتقام من الشعوب وتوبيخ الأمم، وإثقال ملوكهم بالقيود، وعليّتهم ومكرّميهم بالسلاسل؛ ليحملهم على القَدَر المكتوب المبرم، فالحمد لجميع أبراره).

ألم تحقق هذه النبوة في محمد ﷺ وصحبه؟ ألم يقل الحق عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] أما قوله: (ويكرمون الله بحناجرهم). فهذا من أخص خصائص هذه الأمة، وهو الأذان والإقامة والتكبير والتسبيح والذكر.

وقال المهتدي الطبري معلقًا على هذه البشارة: (أما ترون - يهديكم الله - هذه الصفات خالصة للنبي ﷺ ولأمته؟ فهو الذي معه السيف ذو

الشفرتين، وهو المنتقم بأمته من جبابرة فارس وطغاة الروم وغيرهم، وهو الذي قيّدت أمته الملوك وساقت جلّتهم وأولادهم في السلاسل والأغلال).

**البشارة السابعة:**

**قول داود** عليه السلام **في المزمور الثاني والخمسين بعد المائة:** (لترتاح البوادي وقراها، ولتَصِرْ أرض قيدار مروجًا، وليسبح سكان الكهوف، ويهتفوا من قُلَل الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر؛ لأن الرب يجيء كالجبار، كالرجل المجرب المتلظي للتكبر، فهو يزجر ويتجبر، ويقتل أعداءه).

قال المهتدي الطبري: (من قيدار إلا ولد إسماعيل عليه السلام، وهم سكان الكهوف الذي يحمدون الرب ويذيعون تسابيحه في الهواجر والأسحار) ولم يختص أبناء إسماعيل بسكنى الكهوف، وإنما ذكر في هذه البشارة سكان البوادي والقرى والكهوف وقُلل الجبال والجزائر إشارة إلى شمول رسالته ﷺ كافة أرجاء المعمورة ولجميع الأماكن الممكنة لسكنى البشر كالبوادي والقرى والكهوف والجزائر وقُلل الجبال، وليس وراء هذه الأماكن ما ينفع لإقامة البشر فيها واتخاذها مسكنًا.

**البشارة الثامنة:**

**قول داود** عليه السلام: (طوبى لكم يا بني إسماعيل!! سيُبعث منكم نبي تكون يده عالية على كل الأمم، وكل الأمم تحت يده).

وعَلَّق الإسكندراني على هذه البشارة بقوله: (ومن المعلوم أن إسماعيل عليه السلام لم يكن ظهر له ملك، ولا علت يده على إخوته، ولا نزل إلى الشام ولا سكن، ولم يكن ذلك إلا لمحمد ﷺ، وأمته هم الذين سكنوا بمساكن بني إسرائيل بمصر والشام).

وهذه البشارة مماثلة للبشارة الأولى في سفر التكوين، وقد سبق إيرادها في هذا المبحث.

**البشارة التاسعة:**

**قول داود** عليه السلام **في المزمور:** (عَظِّموا الله يا كل الأمم، ووحِّدوا الله يا أهل الأرض، سيُبعث لكم نبي الرحمة).

فهل بعد هذا التصريح من تصريح؟ ومَن غير محمد ﷺ نبي الرحمة؟

### خامسًا: بشارات إشعياء:

**البشارة الأولى:**

**قول إشعياء في الإصحاح الأول:** (اسمعي يا سماوات، وقرّي يا أرض، ولماذا تقلقي؟ سيبعث عليك نبي به تُرحمي).

هذه النبوة توافق النبوة الماضية في مزامير داود عليه السلام التي قال فيها: سيُبعث لكم نبي الرحمة.

**البشارة الثانية:**

**قول إشعياء في الفصل الثالث:** (إني رافع آية للأمم، من بلد بعيد، وأصفر لهم من أقاصي الأرض صفيرًا، فيأتون سراعًا عجالًا، ولا يميلون ولا يتعثرون ولا ينعسون ولا ينامون ولا يحلون مناطقهم، ولا ينقطع معقد خفافهم، سهامهم مسنونة، وقسيهم موترة، وحوافر خيلهم كالجلاميد صلابة، وعجلهم مسرعة مثل الزوابع، وزئيرهم كنهيم الليوث، وكشبل الأسد الذي يزأر وينهم للفريسة، فلا ينجو منهم ناجٍ، ويرهقهم يومئذ مثل دوي البحر واصطكاكه، ويرمون بأبصارهم إلى الأرض فلا يرون إلا النكبات والظلمات، وينكشف النور عن عجاج جموعهم).

**وقد استنبط المهتدي الشيخ زيادة من هذا النص الدلالات التالية:**

هذه البشارة منطبقة على نبينا محمد ﷺ من كل وجه، بدليل قوله: (رافع آية للأمم) ومحمد ﷺ هو العلامة المرفوعة لسائر الأمم.

أن قوله: (من بلد بعيد)، إشارة إلى أن هذه العلامة تُرفع للأمم من خارج أرض بني إسرائيل، ويتضح ذلك من قوله بعده: (من أقاصي الأرض). فكأنه قال: إن أقصى أرض إسرائيل هي الأرض التي يخرج منها ذلك النبي ﷺ.

نفي التعب والإعياء والنوم عن جيوشه وإثبات السرعة - برهان ظاهر على أن المراد بهذه النبوة محمد ﷺ؛ لأن الملائكة كانت تشارك في جيوشه، وهم الذين لا ينامون ولا يسأمون.. كما أن نفي النوم عنه يدل أيضًا على نبينا؛ لأنه كان يقضي الليل في العبادة والذكر والصلاة، حتى تورمت قدماه.

الشهادة لحوافر خيله بأنها مثل الصوان، مطابق لوصف الله لها في القرآن بقوله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ١، ٢] ولا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على عيسى عليه السلام لأنه لم يكن له خيل.

ولعل المراد من قوله: (وأصفر لهم من أقاصي الأرض فيأتون سراعًا عجالًا). هو النداء بالحج إلى بيت الله الحرام الوارد في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ [الحج: ٢٧]. وعَبَّر بالصفير عن النداء والأذان.

**البشارة الثالثة:**

**قول إشعياء في الفصل الخامس مفسرًا ما تقدم من نبواته:** (إن الأمة التي كانت في الظلمات رأت نورًا باهرًا، والذين كانوا في الدجى وتحت ظلال الموت سطع عليهم الضوء، أكثرت من التبع والأحزاب، ولم تستكثر بهم، فأما هم

فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصاد، وكالذين يفرحون عند اقتسام الغنائم؛ لأنك فككت النير الذي كان أذلهم، والعصا التي كانت على أكتافهم، وكسرت القضيب الذي كان يستبعد بهم مثل كسرك من كسرت في يوم مدين.

قال الطبري: (وذلك شبيه بما وصف الله تعالى عن النبي في القرآن وقال: إنه يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم).

وهذا النص يصور حال أمته قبل بعثته، فقد كانت ترتع في ظلمات الجهل والشرك، ثم أضاء لها نور الوحدانية فاتبعته، وبعد أن كانت أمة مستضعفة، كثر أتباعها وفرحوا بانضمامهم إليها، وبسبب هذه الرسالة رفع الله عنهم استعباد الأمم لهم، وانقلبت حالهم فإذا هم المسيطرون على بني البشر.

**البشارة الرابعة:**

**قول إشعياء في الفصل الخامس:** (إنه وُلد لنا مولود، ووُهب لنا ابنٌ سلطانه على كتفه).

هذا النص عن الترجمة السريانية، أما ترجمته عن اللغة العبرية فهو: (إن على كتفه علامة النبوة).

**وقد أورد المهتدي الشيخ زيادة هذه البشارة بالنص العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية، وكانت بصورة أطول مما ذكره الطبري هنا، واستنتج منها الأدلة التالية الدالة على نبينا محمد ﷺ وهي:**

أن اسمه عجيب، فلم يَتَسَمَّ أحد بهذا الاسم الشريف من قبل.

أنه من سلالة إسماعيل الذي لم يظهر منهم سواه.

أن لفظه (عجيبًا) التي تضمنتها البشارة قد وُجدت في التوراة اليونانية (رسولًا) وهو الاسم المتغلب عليه ﷺ.

هذه النبوة تضمنت أن إشعياء سماه (مشاورًا)، ولم يكن أحد أكثر منه مشاورة لأصحابه ﷺ.

أن إشعياء قال عنه: (سيد سلام)، وهذا يدل على أنه رئيس الإسلام والمسلمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين. ولا تنطبق هذه الأوصاف على عيسى عليه السلام، لأنه لا توجد على كتفه علامة النبوة، ولم يكن اسمه عجيبًا فقد سبقه من تسمى بمثل اسمه، ولم يأتِ بشريعة مستقلة.

**والمقصود بهذه البشارة** الإشارة إلى خاتم النبوة الذي كان على كتفه الشريف، وقد استفاضت كتب السنة والسيرة والدلائل بذكر خبره وصفته، وكذلك القصص والحوادث المتعلقة به كقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقصة بحيرا الراهب.

**البشارة الخامسة:**

**قول إشعياء في الفصل العاشر:** (هكذا يقول الرب: إنك تأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، ومن أرض البادية مسرعًا، مقدًا مثل الزعازع من الرياح، ورأينا منظرًا رائعًا هائلًا ظالمًا يظلم، ومنتهيًا ينتهب... ولتقم السادة والقادة إلى أترستهم، فيدهنوها لأن الرب قال لي: هكذا أمض فأقم الربيئة على المنظرة، ليخبر بما يرى، فكان الذي رأى راكبين: أحدهما راكب حمار، والآخر راكب جمل.. فبينما أنا كذلك إذ أقبل أحد الراكبين وهو يقول: هوت بابل وتكسرت جميع آلهتها المنجورة على الأرض، فهذا الذي سمعت من الرب إله إسرائيل العزيز قد أنبأتكم).

ويستنتج من هذا النص الدلالات التالية المؤكدة على أن المعنى بهذه البشارة هو نبينا محمد ﷺ:

أن إشعياء قال: ستأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، من أرض البادية،

لئلا يدع حجة لمحتج، لأنه لم يأتِ أحد بهذه النوبة من أرض التيمن الواقعة في البادية البعيدة عن أرض إسرائيل سوى محمد ﷺ.

أنه قال: (هوت بابل وانكسرت جميع آلهتها). ولم تزل الأوثان تُعبد في بابل حتى ظهر محمد ﷺ، فأطفأ نيرانهم، وهدم أوثانهم، وأذعنوا لدين الله طوعًا أو كرهًا.

إذا كان راكب الحمار ينطبق على المسيح، فليس في الدنيا راكب جمل أَوْلى بهذه النبوة من محمد ﷺ.

وقد أورد المهتدي الإسكندراني النص العبري المتعلق براكب الحمار وراكب الجمل، ثم أتبعه بالترجمة العربية وجاء فيه: (فرأى ركب رديف خيل، ركب رديف حمار، ركب رديف جمل) وقال: هذه حال جيوشه ﷺ، خلاف عساكر الملوك؛ لأن الملوك لا تُركب جيوشها مراديف، ولا يركبون الحمير والجمال.

أما قوله: (ظالمًا بظلم، ومنتهبًا ينتهب). فقصد به الإمبراطورية الفارسية والرومانية.

### سادسًا: بشارات إرميا:

#### البشارة الأولى:

خاطب الله بها النبي ﷺ على لسان إرميا في الفصل الأول فقال: (من قبل أن أصورك في الرحم عرفتك، ومن قبل أن تخرج من البطن قدستك، وجعلتك نبيًّا للأمم، لأنك بكل ما آمرك تصدع، وإلى كل من أُرسلك تتوجه، فأنا معك لخلاصك، يقول الرب: وأفرغت كلامي في فمك إفراغًا، فتأمل وانظر، فقد سلطتك اليوم على الأمم والممالك لتنسف وتهدم وتتبر وتسحق، وتغرس من رأيت).

قال المهتدي الطبري عن هذه البشارة: (هي شبيهة بنبوات إشعياء وغيره) وهو يقصد قول إشعياء: (إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، وجعل لساني كالسيف الصارم) وهذه هي البشارة الرابعة عشرة من بشارات إشعياء حسب ترتيب هذا البحث.

ويتفق أول هذه البشارة مع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١] ورسول الله ﷺ هو الذي جاء بالحق مصدقًا لما معهم، بدليل قوله تعالى عنه: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ٣].

أما قول إرميا: (لأنك بكل ما أمرك تصدع) فيصدقه قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤].

ويشهد لقوله: (وأفرغت كلامي في فمك) قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤].

وبقية النص متوافق مع البشارات التي تحدثت عن جهاده ﷺ.

**البشارة الثانية:**

**قال إرميا في الفصل التاسع عشر مخبرًا عن الله ﷻ أنه قال:** (إني جاعل بعد تلك الأيام شريعتي في أفواههم، وأكتبها في قلوبهم، فأكون لهم إلهًا، ويكونون لي شعبًا، ولا يحتاج الرجل أن يعلم أخاه وقريبه الدين والملة، ولا إلى أن يقول له اعرف الرب؛ لأن جميعهم يعرفونه صغارهم وكبارهم، وأنا أغفر لذلك ذنوبهم، ولا أذكرهم بخطاياهم).

**قال المهتدي الطبري معلقًا على هذه النبوة:** (وقد صدق وعد الله، وازدرع حبه في قلوب هذه الأمة صغارها وكبارها، وأنطق ألسنتهم بشرائعه

وتحاميده، وكل عارف بالله مؤمن به). واقرأ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقوله عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله ﷻ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وتأمل ما وصف الله به هذه الأمة في هذه النصوص من صفات خيّرة مباركة، فستجد أنها مماثلة لما وصفها الله به على لسان إرميا.

**البشارة الثالثة:**

**قول إرميا في الإصحاح الثامن والعشرين:** (النبي الذي تنبأ بالسلام، فعند حصول كلمة النبي عرف ذلك النبي أن الله أرسله حقًّا).

هذه النبوة أوردها المهتدي عبد الأحد داود بالمعنى، ويرى أنها بمعنى: (إن النبي الذي تدور نبوءاته حول الإسلام (شالوم) عند ورود كلمة النبي، ذلك النبي المعروف أنه المرسل من قِبل الله الحق).

وبعد دراسته للنص السابق خرج منه بالنتائج التالية:

أنه لا يمكن أن يكون النبي صادقًا إلا إذا بَشَّر بدين الإسلام ونشره، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

من الحقائق المسلّم بها أن كلمة (شالوم) العبرية و(سلام) السريانية و(إسلام) العربية - كلها من نفس الجذر السامي (شلام) وتحمل نفس المعنى، وهذا أمر يعترف به جميع علماء اللغات السامية، وفعل (شلام) يدل على الخضوع أو الاستسلام، ولا يوجد نظام ديني في العالم يحمل اسمًا أو وصفًا أفضل وأشمل من الإسلام. فالدين الحق لله الحق.

أن إرميا هو النبي الوحيد قبل المسيح عليه السلام الذي استخدم كلمة (شالوم)

بمعنى الدين، وهو النبي الوحيد الذي يستخدم هذه الكلمة بهدف إثبات صدق أحد من رسل الله. أي أن إرميا هو الوحيد قبل المسيح الذي جعل الإسلام هو المقياس الذي يُعرف من خلاله النبي الصادق من الكاذب، وإلا فإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وكافة الرسل عليهم السلام كانوا مسلمين، واتخذوا الإسلام دينًا.

أن دين الإسلام - أي الإسلام - هو وحده القادر على تحديد الخصائص المميزة للنبي الصادق من النبي الكاذب، كما أنه لا يوجد في العالم دين يتبنى ويدافع عن هذه الوحدانية المطلقة سوى الإسلام.

**البشارة الرابعة:**

**قال إرميا في الفصل الثاني والثلاثين مخاطبًا النبي ﷺ**: (اعدوا لي آلات الحرب، فإني أبدد بك الشعوب، وأبدد بك الخيل وفرسانها، وأبدد بك الطغاة والولاة، وأجازي بابل وجميع سكان بلاد الكلدانيين بجميع أوزارهم التي ارتكبوها. هذا قول الرب).

وبمقارنة النهاية التي آلت إليها الإمبراطورية الفارسية على أيدي المسلمين بما ورد في هذه النبوة، نجد أن هذا الوعد لهذه الأمة الإسلامية، وذلك الوعيد المتوعد به الأمة الفارسية قد تحقق فعلًا، وأقامه الله شاهدًا من شواهد التاريخ مصدقًا لما وعد الله به المؤمنين على ألسنة رسله وأوليائه.

### سابعًا: بشارة حزقيال:

**قال حزقيال في الفصل التاسع**: (إن أمّك مغروسة على الماء بدمك، فهي كالكرمة التي أخرجت ثمارها وأغصانها من مياه كثيرة، وتفرعت منها أغصان كالعصي قوية مشرفة على أغصان الأكابر والسادات، وارتفعت

وبسقت أفنانهن على غيرهن، وحسنت أقدارهن بارتفاعهن والتفاف سعفهن، فلم تلبث الكرمة أن قُلعت بالسخط، ورُمي بها على الأرض، وأحرقت السمائم ثمارها، وتفرقت قواها، ويبس عصي عزها، وأتت عليها النار فأكلتها، فعند ذلك غرس في البدو وفي الأرض المهملة العطشى، وخرجت من أغصانه الفاضلة نار أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصا قوية بعدها ولا قضيب ينهض بأمر السلطان).

فتأمل ما في هذا النص من بلاغة في التصوير، ودقة في التعبير، فشبه الأمة اليهودية إبان عزها وسؤددها - لما كانت تعيش تحت مظلة الأنبياء - بالكرمة الحسنة، وبعد أن نُزعت منها النبوة، وأغضبت ربها استأصل شأفتها، واقتلع جذورها، فذرتها الرياح، وأكلتها النار، وانتهى مجدها. واستبدل الله بها أمة هي خير أمة أُخرجت للناس، وشبهها بشجرة قد غُرست في أرض البادية العطشى من الماء المعنوي والحسي، فأثمرت هذه الشجرة الأغصان الفاضلة التي قضت على تلك الشجرة الأولى ولم تُبْقِ فيها عصا ولا قضيبًا.

وهذا حال الأمة اليهودية والأمة الإسلامية التي أشرق عزها، وتوسع نفوذها، حتى شمل بلاد بني إسرائيل وغيرها.

**البشارة الأولى:**

**قال دانيال في الإصحاح السابع:** (إن ملكوت الله وعظمة المملكة الممتدة تحت رقعة السماء كلها سوف تعطى لعباد الله تعالى وأوليائه. وسيكون ملكوتهم هذا مملكة أبدية، تخدمها جميع الممالك الأخرى، وتعمل بطاعتها).

إن هذه البشارة لتدل بوضوح على أن في الإسلام توجد وحدة لا انفصام

لها بين الدين والدولة. فالإسلام ليس دينًا فحسب، بل أيضًا المملكة الدنيوية.

**ولا بد من إلقاء نظرة خاطفة على التدرج التأريخي لهذا الملكوت حتى بلغ غايته، واكتمل بناؤه على يد سيدنا محمد ﷺ، وهذا التدرج هو كما يلي:**

إن الإسلام قبل محمد ﷺ لم تمثله دولة تحكم باسمه وتدافع عنه، وإنما كان الإسلام دينًا قائمًا في حياة الأقوام التي آمنت به، ولم تقم له دولة في حياتهم، بل كان السلطان والقوة في أيدي الكفرة الوثنيين، في العموم الغالب، ويستثنى من ذلك فترات حكم كل من سليمان وداود ويوشع عليهم السلام.

إن المسيح عليه السلام قد بشر تلاميذه باقتراب ملكوت الله. وهذا الملكوت يعني وجود دين ومجتمع قوي من المؤمنين بالله، وهذا المجتمع يتسلح بالإيمان بالله وبالسيف لقتال أعدائهم الذين يريدون أن يَحُولوا بينهم وبين تبليغ كلمة الله إلى البشرية، أو بمعنى أوضح: إن ملكوت الله هو الإسلام. إذًا فالمسيح عليه السلام بشر تلاميذه باقتراب ظهور الإسلام على يد محمد ﷺ، وأكد لليهود أن النبي الذي تنتظره اليهود ليس يهوديًّا، ولا من نسل داود عليه السلام، بل هو من نسل إسماعيل عليه السلام واسمه أحمد، وسيقيم الدولة الإسلامية وَفق المنهج الذي ارتضاه الله لهم، وهذه الدولة مؤيدة بنصر الله ثم بسواعد المجاهدين في سبيله.

**طبيعة هذا الملكوت وتكوينه:** يتألف هذا الملكوت من المؤمنين بالله الذين يلازمهم ذكر الله ﷻ في كل أحوالهم، فلا يقومون بأي عمل إلا ويبدءونه بذكر الله، ويحمدونه بعد الانتهاء منه.

وطبيعة هذا الملكوت أنه يتكون في جوهره من شقين:

الأول: دين صحيح قائم على وجه الأرض وَفق المنهج الذي ارتضاه الله

في كتابه القرآن.

والثاني: دولة إسلامية تقوم على هذا المنهج.

ويتصف المؤمنون بهذا المنهج بما يأتي:

أ- أنهم يكونون أمة واحدة تربطهم أخوة واحدة هي أخوة الدين.

ب- أنهم كما وصفهم دانيال: جماعة القديسين. وهذه صفة تنطبق على محمد ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار وعلى سائر المؤمنين بالله.

ديمومة هذه المملكة ورفعة شأنها: هذه الحقيقة أكدها دانيال بقوله: إن جميع الأمم تحت قبة السماء تخدم شعب الأبرار العامل بطاعة الله. ولم تتحقق هذه الصفة - وهي خدمة الأمم - إلا للأمة الإسلامية التي خدمتها الأمم في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن دواعي استمرار هذه الأمة وديمومتها أنها لا تعرف التمييز الطبقي في تشريعاتها بين أفرادها فالكل سواء أمام شرع الله، لا فرق بين الأبيض والأسود أو بين الحاكم والمحكوم.

**البشارة الثانية:**

**قال دانيال:** (طوبى لمن أَمَّل أن يدرك الأيام الألف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين).

**قال المهتدي الطبري:** (فأعملت فيه الفكر فوجدته يوحي إلى هذا الدين، وهذه الدولة العباسية خاصة، وذلك أنه لا يخلو دانيال من أن يكون أراد بهذا العدد: الأيام والشهور والسنين، أو سرًّا من أسرار النبوة يخرجه الحساب.

فإن قال قائل: إنه أراد به الأيام. فإنه لم يحدث لبني إسرائيل ولا في العالم بعد أربع سنين فرح ولا حادثة سارة، ولا بعد ألف والثلاثمائة

وخمسة وثلاثين شهرًا، فإن ذلك مائة وإحدى عشرة سنة وأشهر.

فإن قالوا: عنى به السنين. فإنما ينتهي ذلك إلى هذه الدولة؛ لأن من زمن دانيال إلى المسيح نحوًا من خمسمائة سنة. . . ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمانمائة وسبع وستون سنة، ينتهي ذلك إلى هذه الدولة العباسية منذ ثلاثين سنة أو يزيد شيئًا).

وبمقارنة هذا التاريخ الميلادي بالتاريخ الهجري تكون السنة التي أشار إليها هي سنة (٢٥٣هـ) تقريبًا.

ولعل في هذه البشارة سرًّا عجيبًا وهو الإشارة إلى بلوغ الدولة الإسلامية غاية مجدها، وكمال سيطرتها، ونهاية فتوحاتها.

### ثامنًا: بشارات هوشاع:

**البشارة الأولى:**

**قول هوشاع:** (قال الرب: إني أنا الرب الإله الذي رعيتك في البدو، وفي أرض خراب قفر غير مأهول، ليس بها أنيس).

**قال المهتدي الطبري:** فلسنا نعرف أحدًا رعاه الله في البدو وفي أرض قفر غير النبي ﷺ.

**البشارة الثانية:**

**قال هوشاع يصف أمة محمد** ﷺ: (إنها أمة عزيزة لم يكن مثلها قط ولا يكون، وإن النار تحرق أمامها، وتتوقد خلفها الضرائر).

ولم تنل أمة من العز والمنعة والسلطان في فترة طويلة وعلى رقعة واسعة كما نالت الأمة الإسلامية.

### تاسعًا: بشارة ميخا:

**قال ميخا:** (إنه يكون في آخر الأيام جبل بيت الرب مبنيًّا على قلال الجبال، وفي أرفع رؤوس العوالي، وتأتيه جميع الأمم، وتسير إليه أمم كثيرة، وهم يقولون: تعالوا نطلع جبل الرب).

ويرى الطبري أن هذا النص يتضمن صفة مكة. بينما يرى الترجمان أن الجبل المشار إليه هو جبل عرفات، وأن الأمة المشار إليها في النص الذي أورده الترجمان هي الأمة الإسلامية. وعلى كلا الحالين فهذه النبوة شاهدة ومبشرة بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ومبينة صفة أمته، ومشاعر ملته.

وقد حُرف آخر هذا النص في الطبعة التي بين يدي فصار هكذا (... هلم نصعد إلى جبل الرب، وإلى بيت إله يعقوب من طرقه، ونسلك في سبيله؛ لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب).

وقد أعماهم الله عن تحريف أول هذا النص حتى يبقى شاهدًا على الحقيقة، دالًّا على النبوة.

وقد توقع المهتدي الطبري مثل هذا التحريف فقال: عنى بيت المقدس. فكيف يصح له ذلك؟ وقد بَيَّن الله أن يكون ذلك في آخر الأيام، وكان بيت المقدس في زمان هذا النبي موجودًا، وإنما تنبأ النبي على شيء يحدث، لا على ما كان ومضى).

### عاشرًا: بشارات زكريا عليه السلام:

**البشارة الأولى:**

**قال النبي زكريا عليه السلام في الإصحاح الثامن:** (هكذا يقول رب الجنود: في تلك الأيام يجتمع عشرة رجال من كل لسانات الشعوب ويتمسكون بذيل رجل حميد، أعني أبو حيد، ويقولون: لنذهب معك؛ لأننا سمعنا أن الله

معك).

ووَفقًا لكتب أصول اللغة العبرية - وللوقوف من خلالها على حقيقة هذا اللفظ (يا أودي) وأنه إذا ترجم إلى اللغة العربية صار: (حميد).

**الحادي عشر: بشارات ملاخي:**

**البشارة الأولى:**

**قال ملاخي مخبرًا عن الله أنه قال:** (انظروا، إنني أبعث برسولي، وسوف يمهد السبيل أمامي، وسوف يأتي فجأة إلى هيكله السيد الذي تبحثون عنه، ورسول العهد الذي ترغبون. انظروا إنه قادم. هكذا يقول رب الجيوش أو الجموع).

ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن التحديد الدقيق لموضوع هذه النبوة أمر في غاية الأهمية؛ لأن الكنائس المسيحية اعتقدت منذئذٍ أن المقصود بها شخصان.

**ومما يدحض هذا الزعم الذي انتهجته الكنائس ما يلي:**

أن السيد أو الرسول الموعود كُلف بتأسيس وإقامة دين قويم صالح، ومكلف بإزالة كافة العقبات التي تَحُول بين البشرية وربها، ومكلف أيضًا بأن يجعل الطريق سهلًا ممهدًا مستنيرًا... وبالتأكيد فإن الرسول الرفيع الشأن المبعوث من الله لم يكن قادمًا لإصلاح الطريق من أجل حفنة من اليهود، ولكن من أجل إقامة دين عام وثابت للناس كافة.

والديانة اليهودية ديانة خاصة لشعب خاص، هذا بالإضافة إلى ما تشتمل عليه من طقوس وتضحيات، وخلوها من العقائد الإيمانية الإيجابية، كل ذلك يُفقد هذه الديانة جوهرها، ويجعلها غير ملائمة إطلاقًا، وغير وافية باحتياجات الشعوب المختلفة.

أما الديانة النصرانية فإن طقوسها السبعة، واعتقادها بالخطيئة الأصلية، وتجسد الإله والتثليث - وهي أمور لم تعهد في الديانات السابقة - بالإضافة إلى افتقادها إلى كتابها الأصلي الذي أنزل على مؤسسها ﷺ، كل ذلك يجعلها غير مؤهلة لأن تقدم خيرًا للبشر.

وإذا كان الرسول الخاتم مكلفًا بإلغاء هذين الدينين، وإقامة دين إبراهيم وإسماعيل ودين كافة الأنبياء على أسس وتعاليم تصلح للبشر كافة، فإن هذا الدين الذي أقامه ودعا إليه هو الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق الموصلة إلى الله ﷻ، وأسهل الأديان لعبادته، وأسلم العقائد الباقية على طهارتها ونقائها الأبدي. إذا كان منوطًا بهذا الرسول المبشر به في هذا النص أن يرسخ هذا الدين، ويقيم الوحدانية، ويَحُول دون تدخل الوسطاء بين الله والناس.

هذا النص أكد على أن هذا الرسول المبشر به لا بد أن يصل بصورة مفاجئة إلى بيت المقدس، منطلقًا من الحرم الأول مكة. وهذا ما تحقق في ليلة الإسراء، وهذا يعني أن مهمة هذا الرسول تطهير هذه البقاع من الوثنية، ويلقن روادها الوحدانية والإيمان بالله الواحد الأحد. وإذا تحقق هذا فهو بمثابة بناء طريق جديد يربط العبد بربه، وهذا الطريق الذي شرعه هو دين عالمي شامل يدعو إلى إلغاء الوسائط بين الله وعباده، فلا قديس ولا قسيس، ولا سر مقدس. وهذا لم يتحقق إلا على يد الرسول المنعوت بأنه محمد ﷺ(١).

(١) «أعظم إنسان في القرآن والسنة» بتصرف (٢/ ١).

## المبحث السادس:
## شهادات الكتب السابقة وأتباعها بالنبي ﷺ

إن وجود البشارة بالنبي ﷺ في كتب الأنبياء من أهم ما أكدت عليه النصوص القرآنية والنبوية التي أخبرت أنه ما من نبي إلا وذكّر أمته بأمر هذا النبي، وأخذ عليهم في ذلك الميثاق: لئن بُعث محمد ﷺ ليؤمنن به قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما بعث الله نبيًّا آدم فمن دونه؛ إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بُعث محمد ﷺ وهو حي؛ ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه)(١).

وأهل الكتاب يعرفون رسول الله ﷺ معرفتهم بأبنائهم؛ لكثرة ما حَدَّثهم الأنبياء والكتب عنه ﷺ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٠].

وقد أكد القرآن الكريم على وجود البشارة بنبينا في كتب اليهود والنصارى، فقال ذاكرًا بعض صفاته فيها: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ٣٣٢).

**ورغم ما تعرضت له كتب اليهود والنصارى من التحريف؛ فإنه لم يختفِ من ثنايا سطورها شهادات صادقة تشهد بالنبوة لنبينا ﷺ.**

**منها** ما جاء في سفر النبي إشعيا، وهو من أسفار التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى اليوم، وفيه يتوعد النبي إشعيا بني إسرائيل الذين يحرفون كتاب الله ولا يلتزمون شريعته، يتوعدهم بالنبي صاحب السِّفر المختوم، النبيِ الذي لا يعرف القراءة، فيقول في الإصحاح التاسع والعشرين: (أو يُدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا. فيقول: لا أعرف القراءة) (إشعيا ٢٩/ ١٠ - ١٣).

**وهذا النص يسجل اللحظة العظيمة التي ستشهد نزول الوحي على النبي ﷺ!!**

ففي «صحيح البخاري» عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: .. جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملَك، فقال: اقرأ. فقال: «ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١- ٣]»[١].

فرسولنا ﷺ هو النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة، والذي دُفع إليه السفر المختوم، فقال: لا أعرف القراءة. فجعل الله سِفره وحيًا ينطقه بشفتيه، ويتلوه من بعده المؤمنون إلى قيام الساعة.

ونزل النبي ﷺ من غار حراء خائفًا فزعًا، وذهب إلى ورقة بن نوفل -

(١) رواه البخاري (٤).

وكان من علماء أهل الكتاب - فقص عليه الخبر، فعرف ورقة نبوة النبي بما قرأ في سِفر النبي إشعيا، فقال: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى، ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك.. لم يأتِ رجل بما جئت به إلا أوذي، وإنْ يُدركني يومُك حيًّا أنصرك نصرًا مؤزرًا[(١)].

**وأما معرفته بإخراج قريش للنبي ﷺ ومعاداتها، فقد عرفه ورقة من سفر إشعيا أيضًا حيث جاءتْ فيه البشارة بالنبي الذي يُبعث في بلاد وعرة من أرض العرب،** يقول السفر التوراتي في الإصحاح الحادي والعشرين: (وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب تبيتين، يا قوافل الددانيين هاتوا ماء لملاقاة العطشان، يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه، فإنهم من السيوف قد هربوا) (إشعيا ٢١/ ١٣ - ١٤).

فالنص التوراتي يتحدث إلى قبائل الددانيين في أرض تيماء، لينجدوا النبي الذي خرج مع أصحابه هربًا من وجه السيوف، ويشير إلى مكان بعثته الوعر من بلاد العرب، وهي صفة مكة المكرمة، مكان مولده وبعثته ﷺ.

فشهادة ورقة - وهو من علماء أهل الكتاب - دليل ساطع على نبوة النبي ﷺ.

وهذه الشهادة موثقة معتبرة، فقد استخرجها من كتب أهل الكتاب، مما تبقى بها من آثار الأنبياء وأنوار الوحي ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: ٤٣].

**وممن شهد لنبينا بالرسالة من أهل الكتاب النجاشي ملك الحبشة؛** فإنه آمن بالرسول ﷺ لما دخل عليه جعفر بن أبي طالب فقال له: إن الله بعث فينا

(١) رواه البخاري (٤).

رسوله، وهو الرسول الذي بشّر به عيسى بن مريم: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] فأمرنا أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئًا، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قولَ الله، هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر.

قال: فتناول النجاشي عودًا من الأرض فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه!! مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، والذي بشّر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من المُلك لأتيته حتى أحمل نعليه[1].

لقد أسلم رَحِمَهُ اللهُ بما آتاه الله من معرفة بالكتب قبل الإسلام، ورأى فيها دليلًا صادقًا من دلائل نبوته ﷺ.

فلما مات رَحِمَهُ اللهُ؛ نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه في اليوم الذي مات فيه، وصلى عليه صلاة الغائب، وقال: «**مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة**»[2] رَحِمَهُ اللهُ، فقد كان إسلامه دليلًا من دلائل نبوة النبي ﷺ.

**ومن عرف هذا الحق ملكُ الروم هرقل:**

ويروي لنا أبو سفيان بن حرب خبره، فقد كان بالشام حين أرسل النبي ﷺ كتابه إلى هرقل الذي علم بوجود قافلة لقريش يتاجرون بالشام، وذلك في زمن هدنة الحديبية.

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٠٥)، وأحمد (٤٨٣٦) وابن أبي شيبة (٣٦٦٤٠).

(٢) رواه البخاري (٣٨٧٧)، ومسلم (٩٥٢).

فأرسل إليهم، فجاؤوا إليه بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فقال أبو سفيان: فقلتُ - أي أبو سفيان، وكان على الكفر حينذاك -: أنا أقربهم نسبًا.

فقال: أدنوه مني، وقَرِّبوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كَذَبَني فكذِّبوه.

يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟

قلتُ: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟

قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟

قلتُ: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

قال أبو سفيان: ولم تمكني كلمة أُدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة.

قال هرقل: فهل قاتلتموه؟

قلتُ: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلتُ: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

قال: ماذا يأمركم؟

قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرتَ أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرتَ أن لا، فقلتُ: لو كان أحد قال هذا القول قبله؛ لقلتُ رجل يأتسي بقول قيل قبله.

وسألتك: هل كان من آبائه من مَلِك؟ فذكرت أن لا، قلتُ: فلو كان من آبائه من ملك؛ قلتُ: رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرتَ أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرتَ أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرتَ أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: بمَ يأمركم؟ فذكرتَ أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف.

فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلُص إليه لتجشمتُ لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدمه(١).

**قال المازري:** (هذا الذي قاله هرقل أخذه من الكتب القديمة، ففي التوراة هذا أو نحوه من علامات رسول الله ﷺ، فعرفه بالعلامات(٢).

**ثم دعا هرقل بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحيةَ إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه:** (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

**قال أبو سفيان:** فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب؛ كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأُخرجنا، فقلت لأصحابي حين أُخرجنا:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، حديث رقم: (٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٠٧).

لقد أَمِرَ [أي بلغ] أمرُ ابن أبي كبشة[١] أنه يخافه مَلِكُ بني الأصفر، فما زلتُ موقنًا أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

ويمضي الخبر ليخبرنا أن هرقل جاءه رجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فسأل هرقل عن النبي هذا، هل هو مختون أم لا؟ فأخبروه أنه مختون، وأن العرب يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر!!

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومِيَّة، وكان نظيره في العلم.

وسار هرقل إلى حمص فلم يرم [أي يصل] حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي.

فأذن هرقل لعظماء الروم في قصر له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبُت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟

فحاصوا حيْصَة حُمُر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غُلِّقَت.

فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم عليَّ.

وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدتكم على دينكم. فقد رأيتُ، فسجدوا له ورضُوا عنه[٢].

**لقد أنكر هرقل الحق الذي عرفه وتيقنه ضنًّا بملكه وخشية عليه.**

**قال النووي: ولا عذر له في هذا؛ لأنه قد عرف صدق النبي ﷺ، وإنما شح في المُلك، ورغب في الرياسة ، فآثرها على الإسلام.. ولو أراد الله هدايته لوفقه كما**

---

(١) وهو اسم كان كفار قريش يعيرون به النبي ﷺ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي حديث رقم: (٧). ومسلم (١٧٧٣).

وفَّق النجاشي وما زالت عنه الرياسة[١].

**ومن دلائل نبوته ﷺ بشارة النبيين موسى وحبقوق بنبي قدوس طاهر يخرج من بلاد فاران، وهو اسم للحجاز كما سيتبين لنا.**

جاء في سفر التثنية المنسوب إلى موسى عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل قبيل وفاته: (جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران) (التثنية ٣٣/ ٢).

فقد أخبرهم عليه السلام بأنه كما جاءت رسالة الله إليه على جبل الطور في سيناء، فإن النبوة ستشرق من جبل ساعير في وسط فلسطين، وذلك بنبوة عيسى عليه السلام، ثم ستتلألأ النبوة من فوق جبل فاران بنبي عظيم يخرج فيها.

وأكد سفر النبي حبقوق البشارةَ بالنبي المبعوث في فاران، فقال: (والقدوس من جبل فاران، جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه) (حبقوق ٣/ ٣).

فمَن هو هذا العبد الطاهر ذو الهيبة الذي يخرج من فاران، وتمتلئ الأرض من تسبيحه وتسبيح أتباعه؟

لن نستطيع القول بأنه محمد ﷺ إلا إذا عرفنا المقصود من كلمة (فاران).

فاسم فاران تستخدمه التوراة في حديثها عن مكة المكرمة، فقد جاء في سفر التكوين أن إسماعيل عليه السلام نشأ وتربى في برية فاران، يقول السِّفر عن إسماعيل: (كان الله مع الغلام فكبر.. وسكن في برية فاران ) (التكوين ٢١/ ٢١).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٠٧).

وهكذا استبانت النبوءة في أبهى صورها، فكما عاش إسماعيل في برية فاران التي هي الحجاز، فإن النبوة ستتلألأ من على جبل فاران، فمن هو النبي المبعوث في فاران؟ إنه محمد ﷺ.

**إن أمثال هذه النبوءة الباهرة والشهادة الواضحة دفعت المنصفين من أهل الكتاب إلى الإيمان بالنبي ﷺ والاعتراف بأنه الرسول الخاتم المبشر به في كتب السابقين.**

ومن هؤلاء حَبْرُ اليهود عبدُ الله بن سلام الذي أسلم على يد النبي ﷺ، فقد وفد على النبي في يوم هجرته ومقدمه المدينة.

يقول: فجئت في الناس لأنظر إليه. فلما استثبتُ وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهَه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به ﷺ أن قال: «**أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[1].

قال السندي: قوله: (عرَفْت أن وجهه ليس بوجه كذاب) لما لاح عليه من سواطع أنوار النبوة، وإذا كان أهل الصلاح والصلاة في الليل يُعرَفون بوجوههم.. فكيف هو، وهو سيدهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله؟[2].

**وفي البخاري أن ابن سلام أتى النبي ﷺ فجلس بين يديه، وقال: إني سائلك عن ثلاث، لا يعلمهن إلا نبي:** ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومِن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٢٣٤)، وأحمد في المسند (٢٣٢٧٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٠٩٧).

(٢) «شرح سنن ابن ماجه» (٢/ ٢٣١).

فقال رسول الله ﷺ: «**خبَّرني بهن آنِفًا جبريلُ.. أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة، فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**».

قال: أشهد أنك رسول الله.

ثم قال ابن سلام: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله ﷺ لليهود: «**أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟**» قالوا: أعلمُنا وابنُ أعلمِنا، وأخيَرِنا وابنُ أخْيَرنا. فقال رسول الله ﷺ: «**أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟**» قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسولُ الله. فقالوا: شرُّنا وابنُ شرنا**!!** ووقعوا فيه[1].

فإسلام عبد الله بن سلام وهو حبر عالم في الكتب السابقة دليل صدق وشاهد حق على نبوة النبي ﷺ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: ٤٣][2].

**ولقد بشر المسيح** عليه السلام **بنبينا محمد** ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦].

**وقد جدَّ النصارى ومِن قبلهم اليهود في حذف هذه البشارات من كتبهم أو**

---

(١) رواه البخاري (٣٣٢٩).

(٢) «دلائل النبوة» للسقار (ص: ١١٢، بترقيم الشاملة آليًّا).

**صرفها عن وجهها، ويزعمون أنه لا يوجد في كتبهم إشارة إلى النبي ﷺ وإن وُجد شيء صرفه النصارى إلى عيسى بن مريم، وصرفه اليهود إلى المسيح الذي ينتظرونه، وهي في الواقع لا تنطبق إلا على نبي هذه الأمة سيدنا محمد ﷺ وأمته.**

وقد بقي من هذه البشارات الشيء الكثير مع تحريفهم لكتبهم.

**وقد ذكر منها الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه «إظهار الحق» ثماني عشرة بشارة، منها إحدى عشرة بشارة في العهد القديم، وسبع بشارات في العهد الجديد، فنذكر بعضًا من تلك البشارات مما ورد في العهدين القديم والجديد.**

**البشارة الأولى:**

**ورد في سفر التثنية (١٨/١٧):** (قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه).

هذا الكلام لا ينطبق إلا على النبي محمد ﷺ لأنه قال: (من وسط إخوتهم) وإخوتهم هم أبناء إسماعيل عليه السلام لأنه أخو إسحاق الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل حيث هما ابنا إبراهيم عليه السلام.

وأيضًا قال: (مثلك) ومعلوم أن اليهود يرون أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى حيث قالوا في سفر التثنية (٣٤/ ١٠): (ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه) وفي النسخة السامرية من التوراة هكذا: (ولا يقوم أيضًا نبي في إسرائيل مثل موسى الذي ناجاه الله شفاهًا).

واليهود يزعمون أن هذه البشارة لنبي لم يأتِ بعد، وإن زعم بعضهم أن المراد بها يوشع بن نون، فهذا غير صحيح لأنه ليس مثل موسى، ويزعم النصارى أن المراد بها عيسى عليه السلام[(١)].

**وهي في الواقع لا تَصْدُق عليه بأي وجه لأنه:**

**أولًا:** من بني إسرائيل وليس من إخوتهم.

ثانيًا: هو ليس مثل موسى عليه السلام، فإنه تابع له، كما أنه عند النصارى إله وابن إله، فلو أقروا بأنه مثل موسى لهدموا ديانتهم وما هم عليه.

أما النبي صلى الله عليه وسلم فتصدق عليه من جميع الوجوه، فإنه من إخوتهم، وهو مثل موسى عليه السلام نبي رسول، وأتى بشريعة جديدة، وحارب المشركين، كما فعل موسى عليه السلام.

ثم إنه قال: (أجعل كلامي في فمه)، فهذا كناية عن القرآن المحفوظ في الصدور، الذي تلقاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم مشافهة من جبريل عليه السلام، وحفظه في قلبه، وتلاه بعد لأمته من فمه عليه الصلاة والسلام، حيث كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب عليه الصلاة والسلام.

ثم إن الله جل وعلا أتم وعده للنبي صلى الله عليه وسلم أن الذين لا يطيعونه فإن الله سيطالبهم، وقد طالبهم، فانتقم من أعدائه المشركين واليهود ثم ممن عداهم من الأمم. وهذا لم يكن لنبي غيره، وعيسى عليه السلام لم ينتقم الله من أعدائه، بل كان أعداؤه في مكان المنتصر فأرادوا قتله إلا أن الله جل وعلا أنجاه منهم، وفي زعم النصارى أنهم قبضوا عليه وأهانوه وصلبوه[(٢)].

---

(١) انظر «قاموس الكتاب المقدس» (ص ٨٦١).

(٢) المصدر السابق.

**البشارة الثانية:**

**جاء في سفر التثنية (١/٣٣):** (وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله - بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم).

فمجيء الرب من سيناء معناه إعطاء موسى ﷺ التوراة، وقوله: (أشرق من سعير) التبشير بالمسيح ﷺ لأن ساعير جبل في أرض يهوذا في فلسطين[١]، وقوله: (وتلألأ من جبل فاران) المراد به التبشير بالنبي محمد ﷺ لأن فاران جبل من جبال مكة، وقد سموه بكتابهم بهذا الاسم فقالوا عن إسماعيل ﷺ في سفر التكوين (٢١/ ٢١): (سكن برية فاران وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر) وإسماعيل ﷺ لم يسكن إلا مكة[٢].

**البشارة الثالثة:**

جاء في سفر (حجي) (٢/ ٧) أن حجي - وهو أحد أنبيائهم - أخبر بني إسرائيل بعد تدمير الهيكل وسبيهم إلى بابل وعودتهم مرة أخرى بما قال الله له معزيًا لهم: (لأنه هكذا قال رب الجنود: هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات، والأرض، والبحر، واليابسة، وأزلزل كل الأمم، ويأتي مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجدًا. قال رب الجنود: ولي الذهب. يقول رب الجنود: مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. قال رب الجنود: وفي هذا المكان أعطي السلام).

فقوله هنا: (مشتهى كل الأمم) ترجمة بالمعنى لكلمة (حمدا) بالعبري،

---

(١) انظر: «قاموس الكتاب المقدس» (ص ٤٦٧).

(٢) انظر: «إظهار الحق» (٤/ ١١٣٤)، و«البشارات بنبي الإسلام» (١/ ٢٦٠).

كما يقول البرفسور عبد الأحد داود والتي ما زالت مكتوبة بالعبري بهذا اللفظ والتي تعني المشتهى والشهية والشائق، وأن هذه الكلمة (حمدًا) بالعبري يوازيها بالعربي (أحمد) فتكون نصًّا صريحًا.

وكذلك قوله بعد: (وفي هذا المكان أعطي السلام) والسلام والإسلام شيء واحد، وقد جاء السلام إلى بيت المقدس برحلة النبي عليه الصلاة والسلام إليه في الإسراء، ثم بفتحه في عهد عمر رضي الله عنه[(١)].

ثم إن ما تعلق بعد ذلك من الأحداث بمجيء (حمدا) لا ينطبق إلا على نبي الإسلام محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، فبعد خراب بيت المقدس سنة (٧٠م) لم يعد له مجد إلا على يد المسلمين، وهو مجد أعظم من مجده السابق، وما أحدثه الإسلام في الأرض بأن زلزل الدول وأهلك الله جل وعلا على يد المسلمين أهل الذهب القياصرة، وأهل الفضة الفرس، وصارت أموالهم تُنفق في سبيل الله.

كل هذا لم يفعله أحد من اليهود ولم يفعله المسيح عليه السلام، ولم يتحقق إلا على يد نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، وأصحابه رضوان الله عليهم، وأتباعهم.

**البشارة الرابعة:**

**ورد في إنجيل يوحنا (٧/١٦):** (لكني أقول لكم الحق أنه من الخير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم (المعزى) ولكن إن ذهبت أرسله لكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة...) ثم قال: (إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا

---

(١) «محمد في الكتاب المقدس» (ص ٥٠، ٥١)، وصاحب الكتاب هو البروفسور عبد الأحد داود، كان من القسس لطائفة الروم الكاثوليك الكلدانيين قبل إسلامه.

الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم).

فقوله (المعزى) المراد به الذي أجد به عزاءًا وهذا لا ينطبق إلا على النبي ﷺ حيث هو الذي يجد به عيسى عليه السلام العزاء لأنه يبين الحق ويظهر الله على يديه الدين الذي لم يتمكن المسيح عليه السلام من إظهاره ثم إن الذي ذكر مكان هذه اللفظة وهي: (المعزى في الترجمات الأخرى عدا العربية هي لفظة (الفارقليط) اليونانية وقد بدَّله المترجمون في النسخ العربية إلى (المعزى) لأن معنى (الفارقليط) هو المعزى، ولكن الذي بينه الشيخ رحمة الله الهندي وغيره أن (الفارقليط) هو تحريف لكلمة (بيرقليط) التي تعني محمد أو أحمد، ولحسد النصارى وبغيهم حرفوا هذه الكلمة التي هي نص في اسم النبي ﷺ في لغة اليونان، مع العلم أن النص اليوناني لإنجيل يوحنا أقل ما يقال فيه: إنه ترجمة لما نطق به المسيح؛ لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم الأرامية، وليس اليونانية، كما أن الواقع أن (المعزى) لا ينطبق إلا على النبي ﷺ لأنه لا معزى بعد المسيح إلا النبي محمد ﷺ[1]، كما أن كل بشارة بأحد وردت على لسان المسيح عليه السلام إنما تنصرف باللزوم إلى نبينا محمد ﷺ لأنه ليس بينهما نبي، وليس بعد نبينا محمد ﷺ نبي.

**بهذا يتضح أن الله ﷻ قد أقام الحجة على اليهود والنصارى بما بين أيديهم يقرأونه ويرونه، لو كانوا يبصرون[2].**

---

(١) «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» (١٣٨-١٤٥)، و«إظهار الحق» (٤/ ١١٨٥)، و«محمد في الكتاب المقدس» (ص ٢١٩).

(٢) «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية» (ص: ٣٨٩).



# الباب الساس: منكرو النبوات وشبهاتهم[١]

## الفصل الأول: الشبهات التي أثارها العرب لإنكار نبوة النبي ﷺ

**تمهيد:**

امتثل رسول الله ﷺ أمر ربه في تبليغ الدعوة وإنذار قومه ابتداء بعشيرته الأقربين إليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤].

فخرج عليه الصلاة والسلام، وصعد على جبل الصفا ونادى بأعلى صوته: «**يا صباحاه**» فاجتمع إليه الناس بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟**» قالوا: نعم. قال: «**فإنِّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد**».

فقال أبو لهب - لعنه الله - تبًّا لك سائر اليوم! أما دعوتنا إلا لهذا؟[٢].

وهكذا تصدى أهل الضلال والباطل لدعوة رسول الله ﷺ وقابلوها بالإنكار، وأثاروا الشبهات الواهية على نبوته عليه الصلاة والسلام، وسنعرض لشبهاتهم والرد عليها، وما زالوا إلى يومنا هذا يثيرون الشبهات

(١) هذا الباب مقتبس بتصرف كبير من موقع جامعة أم القري الإلكتروني.
(٢) ابن كثير: «البداية والنهاية» (٣/ ٣٧).

ويضلّلون الناس ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

### الشبهة الأولى: التنافي بين البشرية والرسالة:

يخبرنا الله ﷻ في كتابه الكريم أنه ما من رسول أُرسل إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده إلا وقد أنكر قومه رسالته، وأثاروا هذه الشبهة الواهية، ألا وهي إنكارهم أن يكون الرسول بشرًا، وما ذاك إلا لتشابه قلوبهم في الكفر والطغيان، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

وعندما بُعث رسول الله ﷺ أنكر قومه نبوته مستندين إلى هذه الشبهة، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ص: ٤]. وقال تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ [ق: ١، ٢].

وأنكروا أن يختصه الله تعالى بالرسالة وهو بشر مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولا يتميز عنهم بشيء، ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧].

وقد ذكر لنا تعالى عن أقوام الرسل السابقين أنهم أنكروا نبوتهم لهذه العلة، فعن قوم نوح عليه السلام يخبرنا تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ [المؤمنون: ٢٤].

وعن قوم هود عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا

تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المؤمنون: ٣٣، ٣٤].

وعن قوم موسى عليه السلام: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧].

وعن قوم صالح أنهم قالوا: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤].

وعن قوم ثمود: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ [القمر: ٢٤].

وقد ذكر الله هذه الشبهة عامة في قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤].

**الرد على هذه الشبهة من القرآن الكريم:**

**أولًا:** من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١].

وقد قرر الله تعالى في عدة آيات أن الرسل بشر يأكلون، ويمشون في الأسواق، ويتزوجون، ويولد لهم، إلا أنه فضَّلهم بوحيه ورسالته.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول للكفار إنه بشر وإنه رسول؛ وذلك لأن البشرية لا تنافي الرسالة. وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

فالأنبياء بشر اصطفاهم الله تعالى، واجتباهم ثم أرسلهم لهداية الناس، فالله العليم الحكيم يختار رسله من أكمل البشر، وقد خصهم الله بصفات لا يصل إليها غيرهم، وبقدرة على تلقي وحيه.

**وفي هذا يقول الألوسي – في تعليل اتصال الملك بالنبي دون غيره من البشر –:** وإنما يبعث إلى خواصهم؛ لأن الله تعالى قد وهبهم نفوسًا زكية وأيدهم بقوى قدسية، وجعل لهم جهتين: جهة ملكية بها من المَلَك يستفيضون، وجهة بشرية بها على البشر يفيضون[١].

**ثانيًا:** من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٨-٩].

**يقول ابن كثير[٢] في «تفسيره»:** فمن رحمته تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلًا منهم؛ ليدعو بعضهم بعضًا، وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى

---

(١) «روح المعاني» (١٥/ ١٧٢).

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء، الحافظ، المفسِّر، المحدِّث، المؤرخ، من مؤلفاته التفسير، والبداية والنهاية، توفي سنة (٧٧٤هـ). انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٢٣١)، و«البدر الطالع» للشوكاني (١/ ١٥٣).

ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤][(١)].

ثم إن الله تعالى زاد الأمر توضيحًا، فأخبر أنه لو كان أهل الأرض من الملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة؛ لأن الجنس إلى الجنس أميل، أمَّا لو كان أهل الأرض من البشر لوجب أن يكون رسولهم من البشر، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥].

**ثالثًا:** بما أن الله تعالى أظهر المعجزات مؤيدة لرسله، كان ذلك شهادة من الله تعالى على كونهم صادقين، فيكون قول القائلين: (إن الرسول يجب أن يكون ملكًا لا إنسانًا) تَحَكُّمًا فاسدًا، لا يُلتفت إليه.

### الشبهة الثانية: التمسك بالتقليد والتبعية للآباء والأجداد:

تَشَبَّثَ الكفار على مدى العصور السحيقة بالباطل الذي توارثوه عن آبائهم وأجدادهم، وساروا على نهجهم مقلدين لهم، وأنكروا رسالات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لمجرد الإصرار على الباطل الذي كان عليه آباؤهم.

ويخبرنا القرآن الكريم عن قوم نوح عليه السلام أنهم قالوا له: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

وعن قوم إبراهيم عليه السلام أنهم قالوا - حين أنكر عليهم عبادة الأصنام -: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٧٤]. وكذلك قالوا: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنبياء: ٥٣].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٢٠٠).

وعن قوم صالح عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ [هود: ٦٢].

وعن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود: ٨٧].

وهكذا كان موقف كفار قريش من رسول الله ﷺ فقد تمسكوا بالباطل الذي توارثوه، فكانوا كما أخبرنا تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٤].

**الرد على هذه الشبهة:**

قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

أي: أو لو كان الأمر كذلك يصرون على اتباع ما وجدوا عليه آباءهم؟!

وفي الحقيقة فإن الإسلام هو دين التحرر العقلي، يدعو الناس إلى التفكير والتدبر، وينعى على الذين يتمسكون بالتقليد الأعمى، الذين يلغون عقولهم التي وهبها الله، فلا يستعملونها للتوصل إلى إدراك الحق، والتمييز بينه وبين الباطل الذي توارثوه.

وإننا لنجد القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى عدم قَبول شيء إلا إذا قام عليه البرهان، ونجد كلمة (البرهان) قد وردت في آيات كثيرة في القرآن الكريم، فمن ذلك أن الله طالب المشركين بالبرهان على ما اتخذوا من آلهة دونه تعالى، حيث قال: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

والقرآن يأمر الإنسان أن لا يأخذ الأمور على عواهنها دون بحث وتفكر

لأن الله سيسأله عما تلقاه سمعه، ورآه بصره، وأدركه عقله من الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وفي هذا قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١].

فهذه الآية الكريمة بينت أن التقليد بغير عقل واقتناع هو شأن الكفار، وقد صَوَّر الله حال الكفار بحال البهائم، حيث قال: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وينعى القرآن الكريم على الذين يهملون عقولهم فلا يستعملونها في معرفة الحق من الباطل، فيقول تعالى: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢].

وهكذا نجد أن الإسلام رسالة للتحرر الفكري لا تقر التقليد والجمود على الباطل المتوارث، بل تدعو إلى التفكر ثم الاختيار المبني على الإدراك واليقين.

### الشبهة الثالثة: إنكار اختيار الرسول لتبليغ الرسالة دون غيره من الأغنياء:

يحكي القرآن الكريم لنا هذه الشبهة عن كفار قريش أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

والمشركون يعنون بالقريتين مكة والطائف، ويعنون بعظمته كثرة ماله وعظم جاهه، وعلو منزلته في قومه، وعظيم مكة الذي يريدون هو الوليد بن

المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وقيل: هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. وعظيم الطائف: هو عروة بن مسعود، وقيل: حبيب بن عمرو ابن عمير، وقيل: هو كنانة بن عبد ياليل، وقيل غير ذلك[(١)].

**وإيضاح الآية كما فسرها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ كما يلي:** أن الكفار أنكروا أولًا أن يبعث الله رسولًا من البشر، ثم لما سمعوا الأدلة على أن الله لم يبعث إلى البشر رسولًا إلا من البشر، تنازلوا عن افتراضهم إرسال الرسل من الملائكة إلى اقتراح آخر، وهو اقتراح تنزيل هذا القرآن على أحد الرجلين المذكورين.

وهذا الاقتراح يدل على شدة جهلهم وسخافة عقولهم، حيث يجعلون كثرة المال والجاه في الدنيا موجبًا لاستحقاق النبوة وتنزيل الوحي[(٣)]. ولذا زعموا أن محمدًا ﷺ ليس أهلًا لإنزال هذا القرآن عليه لقلة ماله، وأن أحد الرجلين المذكورين أحق أن ينزل عليه القرآن منه ﷺ.

وقد بَيَّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة شدة جهلهم وسخافة عقولهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] والظاهر المتبادر أن المراد برحمة ربك النبوة وإنزال الوحي..

**ثم يقول محمد الأمين الشنقيطي أيضًا:** وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿نَحْنُ

---

(١) محمد الشنقيطي: «أضواء البيان» (٧/ ٢٤١).

(٢) هو محمد الأمين الشنقيطي، العلامة المفسِّر اللغوي الأصولي، من علماء شنقيط (مورتيانيا) وُلد وتعلَّم بها، واستقر بعد حجه بالمدينة المنورة، وتُوفي بمكة سنة (١٣٩٣هـ) من مؤلفاته «أضواء البيان في تفسير القرآن» و«منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات». انظر ترجمته في الأعلام للزركلي (٦/ ٤٥).

(٣) «أضواء البيان» (٧/ ٢٤٢).

قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢] يعني أنه تعالى لم يفوض إليهم أمر معايشهم وحظوظهم في الدنيا، بل تولى هو جل وعلا قسمة ذلك بينهم، فجعل هذا غنيًّا وهذا فقيرًا، وهذا رفيعًا وهذا وضيعًا، وهذا خادمًا وهذا مخدومًا، ونحو ذلك، فإذا لم يفوض إليهم حظوظهم في الدنيا ولم يُحكمهم فيها بل كان تعالى هو المتصرف فيها بما شاء كيف شاء، فكيف يفوض إليهم أمر إنزال الوحي حتى يتحكموا فيمن ينزل إليه الوحي؟ فهذا مما لا يُعقل ولا يظنه إلا غبي جاهل كالكفار المذكورين[١].

### الشبهة الرابعة: زعمهم أن القرآن جاء به محمد بالاستعانة ببعض أهل الكتاب:

قال تعالى عن شبهتهم هذه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ [الفرقان: ٤].

أي: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد ﷺ وأعانه عليه قوم آخرون، قيل: اليهود، وقيل: عداس مولى حويطب بن عبد العزى، وقيل: يسار مولى العلاء بن الحضرمي، وقيل: وأبو فكيهة الرومي[٢].

وما ذكره الله ﷻ في هذه الآية من أنهم افتروا على النبي ﷺ أنه أعانه على افتراء القرآن قوم آخرون - جاء أيضًا موضحًا في آيات أُخر، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [المدثر: ٢٤] أي: يرويه محمد ﷺ عن غيره. وقوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]. أي: يزعمون أن النبي

---

(١) «أضواء البيان» (٧/ ٢٤٢).

(٢) «أضواء البيان» (٦/ ٢٧٤).

ﷺ إنما تَعَلَّم هذا القرآن بالدرس والتعليم عن غيره من أهل الكتاب[(١)].

**الرد عليهم:**

رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤] أي: افتروا قولًا زورًا وهم يعلمون أنه باطل، فالنبي ﷺ كان أميًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وعن زعمهم أن النبي ﷺ قد تعلم هذا القرآن من جبر ويسار - وهما غلامان نصرانيان بمكة - فقد أوضح الله تعالى بطلان افترائهم هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

**قال ابن كثير في تفسيره:** أي أن هذا الرجل الذي يزعمون أن النبي ﷺ تعلم منه القرآن - كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد به جواب الخطاب فيما لابد منه، فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل، كيف يتعلمه من رجل أعجمي؟! لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل[(٢)].

**هذا وسيأتي مزيد من الرد على هذه الشبهة عند الحديث عن شبهة المستشرقين وأذنابهم حيث إن هذه الشبهة التي أثارتها قريش - عند عجزها عن مقارعة القرآن وتحديه - هي نفسها التي يثيرها أعداء الإسلام اليوم من المستشرقين وأذنابهم.**

---

(١) «أضواء البيان» (٦/ ٢٧٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٠٩).

### الشبهة الخامسة: ادعاؤهم أن الرسول نقل القرآن عن كتب السابقين:

نرى أن هذه الشبهة قريبة من الشبهة السابقة تصور لنا مدى تخبط المشركين وحيرتهم في اختلاق الشبهات والطعن في القرآن الكريم؛ حتى ينفوا عن أنفسهم العجز عن تحدي القرآن.

وبالرغم من شبهاتهم الواهية، والتي لا تثبت أمام المناقشة الجادة العقلية، فإننا نجد القرآن الكريم يوليها الاهتمام ويذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، ثم يأتيهم بالجواب المقنع والمفحم على شبهتهم هذه، يقول تعالى - حاكيًا عن قريش شبهتهم -: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥]. ثم يرد الله تعالى عليهم هذا الكلام بقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾ [الفرقان: ٦].

يفسر ابن كثير الآية بقوله: أي أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين، إخبارًا حقًّا صدقًا مطابقًا للواقع في الخارج، الله الذي يعلم غيب السماوات والأرض، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر[(١)].

### الشبهة السادسة: ادعاؤهم أن الرسول اختلق القرآن من نفسه:

يخبرنا تعالى أن من ضمن شبهات قريش للطعن في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام زعمها أنه اختلق القرآن من نفسه.

ولذا ينكر الله عليهم هذا الادعاء الباطل، قال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٣٣﴾ [الطور: ٣٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٩٥).

**يقول الألوسي في تفسيره:** لكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الأباطيل، كيف لا، وما رسول الله ﷺ إلا واحد من العرب، فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم؟ ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٤] فإن كانوا صادقين في زعمهم هذا فإن صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله، بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام في البشرية والعربية، مع ما بهم من طول الممارسة للخُطب والأشعار[1].

**ويرد الله عليهم بقوله تعالى آمرًا رسوله:** ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الأحقاف: ٨] أي إن كنت افتريت هذا القرآن عاجلني الله بعقوبته الشديدة، وأنتم لا تملكون لي منه شيئًا فكيف أفتريه وأنتم لا تقدرون على دفع عذاب الله عني؟

وهذا المعنى جاء أيضًا موضحًا في آيات أُخر، منها قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧].

أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس: ١٥].

أي إني أخاف أن عصيت ربي بالافتراء عليه بتبديل قرآنه أو الإتيان بقرآن غيره - عذاب يوم عظيم[2].

هذا وقد لفت الله تعالى أنظار المشركين الذين يدعون أن القرآن من

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٧).

(٢) «أضواء البيان» (٧/ ٣٧٦).

اختلاق الرسول عليه الصلاة والسلام - إلى أن الرسول عليه السلام كان يعيش بينهم، وبين أظهرهم، ويعرفون صدقه وأمانته، فقال تعالى عنه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

**يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره:** (في هذه الآية حجة واضحة على الكفار لأن النبي ﷺ لم يُبعث إليهم رسولًا حتى لبث فيهم عمرًا من الزمن، وقدر ذلك أربعون سنة، فعرفوا صدقه، وأمانته وعدله، وأنه بعيد كل البعد من أن يكون كاذبًا على الله تعالى، وكانوا في الجاهلية يسمونه الأمين، وقد ألقمهم الله حجرًا بهذه الحجة في آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون: ٦٩].

ولذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ومن معه عن صفاته عليه الصلاة والسلام، قال هرقل لأبي سفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: فقلت: لا. وكان أبو سفيان في ذلك الوقت زعيم الكفار، ورأس المشركين، ومع ذلك اعترف بالحق، والحق ما شهدت به الأعداء، فقال له هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله)[(١)].

**أيضًا من رد القرآن على المشركين في هذه الشبهة** قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧].

فقد صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن هذا القرآن لا يكون مفترى من دون الله مكذوبًا به عليه، وأنه لا شك في أنه من رب العالمين جل وعلا، وأشار إلى أن تصديقه للكتب السماوية المنزلة قبله وتصديقه للعقائد

---

(١) «أضواء البيان» (٢/ ٤٧٩).

والحلال والحرام، ونحو ذلك - مما لا شك فيه أنه من الله جل وعلا دليل على أنه غير مفترى، وأنه لا ريب في كونه من رب العالمين.

**وبَيَّن هذا أيضًا في آيات عديدة أخرى** منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١]. وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

وهكذا فإننا نجد القرآن الكريم يقيم الأدلة العقلية الواضحة على أن هذا القرآن لا يمكن أن يأتي به محمد عليه الصلاة والسلام من عند نفسه، بل هو كلام الله تعالى، فهو فوق طاقة البشر جميعًا؛ ولذلك فقد تحداهم تعالى أن يأتوا بمثله فعجزوا، وفي هذا أكبر دليل على أنه كلام الله تعالى.

### الشبهة السابعة: زعمهم أنه شاعر:

زعموا أن النبي ﷺ شاعر، وأن القرآن الكريم ليس إلا وليد طاقة شعرية.

أنكر الله ﷻ عليهم ذلك، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الطور: ٣٠، ٣١].

**قال ابن كثير**(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير الآية ما يلي:** (أي أنهم قالوا ننتظر ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه. فرد الله عليهم: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٣١] أي انتظروا فإني منتظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

قال محمد بن إسحاق: عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن قريشًا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل

---

(١) «أضواء البيان» (٧/ ٣٧٦).

منهم: احتبِسوه في وَثاق، وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة إنما كان هو كأحدهم.

فأنزل الله تعالى ذلك من قولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور: ٣٠].

ولقد رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة في آيات أُخر، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة: ٤١]. فالفرق واضح بين الشعر وبين القرآن العظيم، وأيضًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ [يس: ٦٩].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تنفي عن رسول الله ﷺ هذه التهمة.

### الشبهة الثامنة: رميهم للرسول ﷺ بالجنون.

ذكر الله تعالى هذه الشبهة في القرآن الكريم في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر: ٦]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١﴾ [القلم: ٥١]. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾ [سبأ: ٧، ٨].

وقد رد الله عليهم هذه الشبهة، ونفى الجنون عن رسوله عليه الصلاة والسلام، ودعاهم إلى التفكر والتدبر في أمره ﷺ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

**يقول الألوسي** رحمه الله **في تفسير الآية:** (والجِنة: مصدر بمعنى الجنون، والمراد بصاحبهم رسول الله ﷺ، والتعبير عنه بذلك لتأكيد النكير

وتشديده؛ لأن الصحبة مما يطلعهم على نزاهته ﷺ عن شائبة مما ذُكر، والتعرض لنفي الجنون عنه عليه الصلاة والسلام مع وضوح استحالة ثبوته له، لما أن التكلم بما هو خارق لا يصدر إلا عمن به مس من الجِنة كيفما اتفق من غير أن يكون له أصل، أو عمن له تأييد إلهي يخبر به عن الغيوب، وإذ ليس به عليه الصلاة والسلام شيء من الأول تعين الثاني)[(١)].

وهكذا ومن خلال استعراض موقف المشركين من نبوة رسول الله ﷺ وما أثاروه من شبهات واهية لا أساس لها من الصحة، فإنه يتبين لنا مدى تذبذبهم، وتناقضهم، وعدم استقرارهم على شبهة معينة: فتارة يقولون عن رسول الله ﷺ ساحر، وتارة يقولون مجنون، وأخرى يقولون كاهن... وهكذا، حتى إن التاريخ يروي لنا أنهم اجتمعوا فيما بينهم حتى يستقروا على رأي معين، وشبهة واحدة يرمون بها رسول الله ﷺ

هذا وناهيك عن الروايات العديدة التي تبين لنا اعتراف المشركين بأن الرسول ﷺ صادق فيما يُبلِّغ عن ربه، وأن ما يقوله ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة ولكن الإصرار على الباطل هو الذي دفعهم إلى إنكار أمر رسول الله ﷺ.

**وقد بَيَّن الله تعالى موقفهم من نبوة رسوله عليه الصلاة والسلام أبلغ بيان في الآيات التالية:**

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ

(١) «روح المعاني» (١٢٨/٩).

كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

وبذلك يتضح تعنتهم وعنادهم وإصرارهم على الباطل الذي هم فيه رغم ما بذله رسول الله ﷺ من النصح والإرشاد لهم.

وإزاء موقف قريش من رسول الله ﷺ ورميهم له بشتى أنواع التهم فإننا نجد القرآن الكريم يبين لرسوله عليه الصلاة والسلام أن هذه هي الطريقة التي اتبعها الكفار على مدى العصور السابقة فاتخذوا من رسلهم موقف المكذبين ورموهم بأنواع التهم التي رُمِي بها رسول الله ﷺ وما ذاك إلا لتشابه قلوبهم، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

بَيَّن تعالى أن ما قاله مشركو قريش في رسول الله ﷺ سبق أن قاله المكذبون للرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام.

ومن ذلك مثلًا أن موسى عليه السلام رماه قومه بالسحر كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ [النمل: ١٣]. وكذلك اتهمه فرعون بالجنون كما أخبر تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٧].

وكذلك نوح عليه السلام رماه قومه بالجنون كما قال تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون: ٢٥].

وكذلك هود عليه السلام رُمِي بالجنون أيضًا، قال تعالى على لسان قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤].

وهكذا تشابهت أقوال أهل الباطل والضلال كما تشابهت قلوبهم.

وليس أمام الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا الصبر على أذاهم، وتحمل ذلك في سبيل الله، وعدم التأثر بما يقولون، والثبات على ما أوحى الله به

إليهم، والإعراض عنهم والاستعانة على ذلك بذكر الله.

يقول تعالى مخاطبًا رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧﴾ [غافر: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ [القلم: ٤٨].

فأمر تعالى رسوله ﷺ بالصبر على ما يقولون فإن الله تعالى مطلع على جميع ما يفعلونه، وما يتلفظون به من أكاذيب، وستكون العاقبة له ولمن اتبعه من المسلمين.





# الفصل الثاني شبهات أهل الكتاب والمستشرقين حول نبوته ﷺ والرد عليها

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومَن سار على هديه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

**أمَّا بعد:**

فإن الصراع بين الحق والباطل والخير والشر ليس وليد اليوم ولا الأمس القريب، ولكنه قديم يمتد بجذوره إلى الماضي السحيق، إلى حين أقسم إبليس - عليه لعنة الله تعالى - على إغواء بني آدم وإضلالهم وتعبيدهم له من دون الله تعالى، فانقسمت البشرية إلى فريقين متعاديين: أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان، واستمرت المعركة بينهما إلى يومنا هذا، وستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

وتجلَّى ذلك بوضوح في موقف الفريقين من دعوات الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - ففي حين آمن حزب الله، كفر أعداؤه، وحاربوا رسله - عليهم السلام - وحاولوا جهدهم القضاء عليهم، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ونبينا محمد ﷺ لم يكن بدعًا من الرسل، فقد أصابه ما أصاب إخوانه الأنبياء والمرسلين من قبله من الأذى، وفاقهم في ذلك، ولا غرو في ذلك

فقد كانت رسالته ﷺ للعالم أجمع لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وقد تصدى لدعوته ﷺ المشركون من قومه، واليهود، والنصارى.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فمنذ أن صدع - عليه الصلاة والسلام - لأمر ربه في تبليغ الدعوة كذَّبه قومه، ولم يتركوا سبيلًا إلى إيذائه والنيل منه ﷺ إلا سلكوه، رغم علمهم بصدقه فيما يبلّغ عن ربه، ولكن التعصب الأعمى للباطل الذي كانوا عليه هو الذي صدهم عن اتباع الحق والانقياد له. يقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وتبع المشركين في تكذيبهم بدعوة الرسول ﷺ اليهود والنصارى، فأنكروا نبوته ﷺ، وأثاروا الشبهات حولها، ولكن الله تعالى - نصر رسوله ﷺ، وأظهر دينه، ومكَّن له في الأرض، وقد توارث أعداء الدين الحقد على الإسلام ونبيِّه ﷺ فوجَّهوا سهامهم إلى شخصه الكريم، وانكبوا على دراسة سيرته العطرة لمحاولة تشويهها - بأبشع الألقاب والتهم لتنفير الناس منه ﷺ.

وقد تكفل الله ﷻ بالرد عليهم في قرآن يتلى إلى يوم الدين.

ولم يزل الحاقدون على الإسلام يثيرون هذه الشبهات ويجددونها على مر العصور والدهور، وعلى الرغم من اختلافهم في الأزمنة والأمكنة إلا أنه قد تشابهت مزاعمهم وشبهاتهم الواهية، وما ذاك في الحقيقة إلا لتشابه قلوبهم في الكفر والطغيان.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١١٨].

والملاحظ أن الهجوم على الإسلام ونبيه ﷺ يشتد كلما عاد المسلمون إلى دينهم وتمسَّكوا به، وما ذاك إلا لخوف أعدائه منه.

وتاريخ الإسلام حافل بألوان شتى من الهجوم على كل ما يتعلق بالإسلام، وبخاصة رسوله ﷺ، وبذلك يتضح لنا مدى الحقد الذي في صدورهم نحوه ﷺ.

وعندما فشل الصليبيون وأعداء الإسلام في القضاء على الإسلام بحدِّ السيف، جنّدوا فريقًا من أبنائهم لإثارة الشبهات حول رسول الله ﷺ، وأقاموا الدراسات للمفتريات والأكاذيب المطلية بطلاء العلم، والمموَّهة ببريق البحث عن الحقيقة، وأبوا أن يعترفوا بنبوة نبيّنا محمد ﷺ.

**يقول محمد أسد مصوِّرًا فكر المستشرقين:** (أمَّا تحامل المستشرقين على الإسلام فغريزة موروثة، وخاصةٌ طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلّفتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوروبيين الأولين)[١].

ولقد قام أساس الاستشراق على فرية أن محمدًا ﷺ استقى تعاليم دينه من اليهود والنصارى، وأنه ليس نبيًّا موحى إليه من الله تعالى.

**يقول جولد تسيهر:** (فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها، أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثّر بها تأثرًا عميقًا)[٢].

**فالشبهات التي أثارها المستشرقون من أعداء الدين والملة حول نبوة الرسول ﷺ تتجلى في أمرين اثنين هما:**

---

(١) «الإسلام على مفترق الطرق» (ص٦٠، ٦١).

(٢) «العقيدة والشريعة» (ص ٥، ٦).

أنَّه أخذ من اليهود والنصارى.

أنَّ ما فيه ليس وحيًا من عند الله، بل من عند نفسه.

**وإزاء المحاولات المتكررة التي قامت في دول الغرب للنيل من نبينا ﷺ** عن طريق السخرية والاستهزاء، رأيت أن الواجب الديني وحب الرسول ﷺ يحتمان عليَّ أن أسخِّر قلمي للذود عن جنابه ﷺ والدفاع عن حرماته، والرد على العدوان على ثوابت ديننا الحنيف، وأن يكون لي هذا الشرف العظيم الذي أرجو أن ينفعني الله تعالى به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

## المبحث الأول: شبهة اليهود والرد عليها

### شبهة اليهود: إنكار النسخ:

أنكر اليهود نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وادعوا أن الشريعة لا تكون إلا واحدة وهي ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به، فلم تكن قبله شريعة إلا حدود عقلية وأحكام مصلحية.

ولم يجيزوا النسخ أصلًا. قالوا: فلا يكون بعده شريعة أصلًا لأن النسخ في الأوامر بداء، ولا يجوز البداء على الله[1].

**النسخ في اللغة:** الإزالة.

**وفي الاصطلاح هو:** الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بخطاب آخر على وجه لولاه لاستمر الحكم المنسوخ.

**واليهود في النسخ على قسمين:**

(١) «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٢١١).

**قسم أبطل النسخ، ولم يجعلوه ممكنًا.**

**والقسم الثاني أجازوه إلا أنهم قالوا لم يقع[(١)].**

**فاليهود أنكروا نبوة رسول الله ﷺ لأنهم أنكروا النسخ مطلقًا لوجهين:**

**أحدهما:** إن لم يكن لمصلحة فعبث، وإن كان لمصلحة لم يعلمها عند شرعية الحكم المنسوخ فجهل، وإن كان لمصلحة علمها وأهملها أولًا ثم راعاها فبداء.

**ثانيهما:** أن الحكم إمَّا: مؤقت، مثل: (صم غدًا) فنفيه بعد ذلك لا يكون نسخًا، وإمَّا مؤبد، مثل: (صم أبدًا) فنسخه تناقض بمنزلة قولك: (الصوم واجب أبدًا، وليس بواجب) وإمَّا مرسل لا توقيت فيه ولا تأبيد وحينئذٍ فإما أن يعلم الله تعالى استمراره أبدًا فلا يرتفع للزوم الجهل، أو إلى غاية ما فلا رفع بعدها ولا نسخ.

**الجواب عن هذين الوجهين العقليين:**

**أولًا:** ردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه الشبهة بقوله: (وإن ذكروا حجةً عقليَّة فهمت أيضًا مِمَّا في القرآن بردِّها إليه، مثل: إنكارهم للنسخ بالعقل، حتى قالوا: لا ينسخ ما حرمه، ولا ينهى عمَّا أمر به.

فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] فقال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

فذكر ما في النسخ من تعليق الأمر بالمشيئة الإلهية، ومن كون الأمر الثاني قد يكون أصلح وأنفع، فقوله: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] بيان للأصلح الأنفع، وقوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ ردّ الأمر إلى المشيئة.

---

(١) «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (١/ ١٨٠).

وعلى بعض ما في الآية اعتماد جميع المكلفين حيث قالوا: (التكليف إما تابع لمحض المشيئة كما يقوله قوم، أو تابع للمصلحة كما يقوله قوم، وعلى التقديرين فهو جائز)[1].

**أما عن الوجه الثاني الذي ذكروه في إبطال النسخ فيجاب عنه:** إنه مرسل (أي: الحكم الذي أمر به الله) عن توقيت الوجوب مثلًا وتأبيده، والمعلوم عند الله استمرار الوجوب إلى غاية هي وقت نسخه ورفعه، ولا تناقض في ذلك، سواء كان الواجب مؤقتًا أو مؤبدًا، بمنزلة قولك: صوم الغد أو الأبد واجب حينًا دون حين. وإنما التناقض في رفع الوجوب بعد تأبيده.

**هذا وإلى جانب الأدلة العقلية تمسك بعضهم بأدلة نقلية على وجهين، هما:**

**الأول:** قالوا: إنَّه تواتر النص عن موسى عليه السلام على تأبيد شريعته مثل قوله: (تمسكوا بالسبت أبدًا)، (وهذه شريعة مؤبَّدة ما دامت السماوات والأرض).

**الثاني:** قالوا: إمَّا أن يكون موسى عليه السلام قد صرح بدوام شريعته فتدوم أو بانقطاعها فيلزم تواتره لكونه من الأمور العظام التي تتوافر الدواعي على نقلها، ولم تتواتر أو سكت عن الدوام والانقطاع فيلزم أن لا يتكرر ولا يتقرر إلى أوان النسخ وقد تقرر.

### الجواب عن الوجهين:

أما عن نسبتهم الأقوال السابقة إلى موسى عليه السلام فهذا افتراء على موسى عليه الصلاة والسلام، ودعوى تواتره مكابرة، ولو صح لما ظهرت المعجزات على يد عيسى أو محمد عليهما السلام، ولأظهروه في زمانهما احتجاجًا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١١٢، ١١٣).

عليهما، ولو أظهروه لاشتهر لتوافر الدواعي، على أنه كثيرًا ما يعبر بالتأبيد والدوام عن طول الزمان.

**ويرد عليهم ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ويقول لهم:** (في أيِّ كتاب هذا؟ أحضِروه - وقد علمنا أنّ هذا ليس في كتبهم، وإنَّما هو مفترى مكذوب)[١].

أما عن زعمهم أن موسى لو صرح بانقطاع شريعته لتواتر ذلك، فيُرد عليهم بأنه قد صرح بانقطاعها، ولم يتواتر لعدم توافر الدواعي، ولقلة الناقلين في بعض الطبقات إذ لم يَبْقَ من اليهود في زمان (بختنصر) إلا أقل القليل.

**ويتبين لنا أن النسخ ليس مستحيلاً على الله،** فالله تعالى يشرع الحكم وهو عالم بأن مصلحته ستنقضي في الوقت المعين، وأنه عند ذلك الوقت ينسخ ذلك الحكم، ويبدله بالحكم الجديد الذي فيه المصلحة، فإذا جاء ذلك الوقت المعين أنجز جل وعلا ما كان في علمه السابق من نسخ ذلك الحكم الذي زالت مصلحته بذلك الحكم الجديد الذي فيه المصلحة.

وقد أشار جل وعلا إلى علمه بزوال المصلحة من المنسوخ، وتمحضها في الناسخ بقوله هنا: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: ١٠١]، وقوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: ٦، ٧] فقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ بعد قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ يدل على أنه أعلم بما ينزل، فهو عالم بمصلحة الإنسان، ومصلحة تبديل الجديد من الأول المنسي[٢].

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١١٢).

(٢) انظر: «أضواء البيان» (٣/ ٣٦٠-٣٦٢).

**هذا وقد ألزمهم ابن حزم[(١)] بأمور من شريعتهم يقرون بها وهي في الواقع النسخ الذي يبطلونه، وهذه الأمور هي:**

١- أن جميعهم يقرون بأن شريعة يعقوب عليه السلام كانت غير شريعة موسى عليه السلام، وأن يعقوب تزوج (ليا)، (وراحيل) ابنتي (لابان) وجمعهما في عصمته معًا، وهذا حرام في شريعة موسى عليه السلام.

٢- يقولون: إن موسى عليه السلام كانت عمة أبيه أخت جده وهي (يوحانذا) بنت (لاوى) وهذا في شريعة موسى حرام. ولا فرق في القول بين شيء أحله الله ثم حرمه، وبين شيء حرمه الله ثم أحله.

٣- في توراتهم أن الله تعالى افترض عليهم بالوحي إلى موسى عليه السلام ألا يتركوا من الأمم السبعة الذين كانوا سكانًا في فلسطين والأردن أحدًا أصلًا إلا قتلوه، ثم إنه لما اختدعتهم الأمة التي يقال لها: (عباوون) - وهي إحدى تلك الأمم التي افترض عليهم قتلهم واستئصالهم - تحيلوا عليهم وأظهروا لهم أنهم أتوا من بلاد بعيدة حتى عاهدوهم، فلما عرفوا بعد ذلك أنَّهم من السكان في الأرض التي أمروا بقتل أهلها؛ حرم الله عز وجل عليهم قتلهم على لسان (يوشع) النبي فأبقوهم ينقلون الماء والحطب إلى مكان التقديس.

وهذا هو النسخ الذي أنكروه.

٤- إن في مقرراتهم (البداء) الذي هو أشد من النسخ، وذلك أن فيها أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: (سأُهلك هذه الأمة وأقدمك على أمة أخرى عظيمة)، فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى في أن لا يفعل ذلك حتى

---

(١) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، أشهر مصنفاته الفصل في الملل والأهواء والنحل، توفي عام (٤٥٦هـ) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٤).

أجابه، وأمسك عنهم، وهذا هو البداء بعينه والكذب المنفيان عن الله تعالى؛ لأنه ذكر أن الله تعالى أخبر أنه سيهلكهم ويقدمه على غيرهم، ثم لم يفعل فهذا هو الكذب بعينه - تعالى الله عنه -.

٥- في سفر (إشْعِيَا) أن الله تعالى سيرتب في آخر الزمان من الفرس خدامًا لبيته، وهذا هو النسخ بعينه لأن التوراة موجبة أن لا يخدم في البيت المقدس أحد غير (بني لاوى) بن يعقوب، فهذا نسخ لما في التوراة على كل حال.

**أما عن الطائفة الأخرى التي أجازت النسخ إلا أنها أخبرت أنه لم يكن، فقد رد عليهم ابن حزم** رَحِمَهُ اللَّهُ **بما ملخصه:** أنهم قد علموا صحة نبوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لظهور المعجزات والبراهين على صحة نبوته، فلا فرق إذن بين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين من أتى بمعجزات أخرى، فإذا كانت إحالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه، فوجوب تصديق عيسى ومحمد ﷺ واجب وجوبًا مستويًا، ولا فرق بين شيء منه بالضرورة[1].

وبهذه الأدلة السابقة رد علماء الإسلام على اليهود إبطالهم النسخ، وأثبتوا جوازه، وأنه لا يلزم منه شيء مما قالوا وادعوا.

**ومما لا شك فيه أن الذي دفع اليهود إلى هذه الشبهة هو الحسد الذي أعماهم عن قَبول الحق والانقياد له، وإلا فهم يعلمون أن محمدًا** ﷺ **هو رسول الله حقًّا** كما قال تعالى عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦]. وقال تعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩].

(١) انظر: «الفصل في الملل والنحل» (١/ ١٧٩-١٨٢).

## المبحث الثاني شبهة النصارى والرد عليها

من الشبه التي أثارها النصارى ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ حيث بيَّن أنهم ينكرون نبوة رسول الله ﷺ ويقولون: إنه لا حاجة بالناس إلى شريعة الإسلام لأن الشرائع شريعتان، شريعة العدل وقد جاءت بها التوراة، وشريعة الفضل وقد جاء بها الإنجيل.

**هذا وقد رد شيخ الإسلام[1] على شبهتهم هذه بعدة ردود سنقتصر على ذكر أهمها وهي:**

**أولًا:** أن الشرائع ثلاث: شريعة عدل فقط، وشريعة فضل فقط، وشريعة تجمع العدل والفضل، فتوجب العدل وتندب إلى الفضل، وهذه أكمل الشرائع الثلاث وهي شريعة القرآن الذي يجمع فيه بين العدل والفضل، مع عدم إنكار أن يكون كل من موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قد أوجبا العدل وندبا إلى الفضل.

**ثم ضرب ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أمثلة عديدة في جمع شريعة القرآن للعدل والفضل** كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فهذا عدل ومن خرج عنه استحق العقوبة، ثم قال تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فهذا فضل مستحب مندوب إليه، مَن فعله أثابه الله ورفع درجته، ومَن تركه لم يعاقبه.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، فهذا عدل ثم قال: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] فهذا فضل.

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ٢٢٨-٢٥٨).

**ثانيًا:** لو سَلَّمنا أن شريعة الكتابين كافية فإنما ذاك إذا كانت محفوظة معمولًا بها، ولم يكن الأمر كذلك، بل كان قد درس كثير من معالمها، وقد اختلف أهل الكتاب في المسيح وغيره اختلافًا عظيمًا، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة: ١٤].

والوقت الذي بُعث فيه محمد ﷺ لم يكن قد بقي أحد مظهرًا لما بعث الله به الرسل قبله، فبعثه الله على حين فترة من الرسل وطموس من السبل أحوج ما كان الناس إلى رسول، كما في «صحيح مسلم» عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**».

فبعث الله تبارك وتعالى محمدًا ﷺ بالكتاب الذي أنزله عليه مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، فميَّز به الحق من الباطل، والهدى من الضلال.

قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ إلى قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة: ١٥- ١٩].

**ثالثًا:** أن شريعة التوراة يغلب عليها الشدة، وشريعة الإنجيل يغلب عليها اللين، وشريعة القرآن معتدلة جامعة بين هذا وهذا، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].



فبعث الله محمدًا ﷺ بالشريعة الكاملة العادلة، وجعل أمته عدلًا خيارًا، لا ينحرفون إلى هذا الطرف ولا إلى هذا الطرف، بل يشتدون على أعداء الله، ويلينون لأولياء الله، ففي شريعته ﷺ من اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق أعظم مما في الإنجيل، وفيها من الشدة والجهاد، وإقامة الحدود على الكفار والمنافقين أعظم مما في التوراة، وهذا هو غاية الكمال.

**رابعًا:** أن يقال لأهل الكتاب خصوصًا فيقال لليهود: أنتم أذل الأمم، فلو قُدر أن ما أنتم عليه دين الله الذي لم يبدل فهو مغلوب مقهور في جميع الأرض، فهل تعجبون من أن يبعث الله رسولًا يهدي إلى الحق فيبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله حتى يصير دين الله الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه منصورًا ظاهرًا بالحجة والبيان والسيف؟

ويقال للنصارى: أنتم لم تخلِّصوا دين الله الذي بعث به رسله من دين المشركين والمعطلين، بل أخذتم من أصول المشركين المعطلين من الفلاسفة ما أدخلتموه في دينكم، وليس لكم على أكثر الكفار لا حجة علمية ولا يد قهرية، بل للكفار في قلوبكم من الرعب والخوف والتعظيم ما أنتم به من أضعف الأمم حجة، وأبعدها عن العلم والبيان، وأعجزها عن إقامة الحجة والبرهان، ففيكم من ضعف سلطان الحجة وضعف سلطان النصرة ما يظهر به حاجتكم إلى قيام الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه.

**خامسًا:** أنهم يزعمون أن شريعة الإنجيل ألزمت الناس بترك حقوقهم، وأنه لا ينصف مظلوم من ظالمه؛ ولهذا ليس عندهم حكم عدل يحكمون به بين الناس، بل الحكم عندهم حكمان: حكم الكنيسة: وليس فيه إنصاف المظلوم من الظالم.

والثاني: حكم الملوك، وليس هو شرعًا منزلًا، بل هو بحسب آراء الملوك ولهذا فهم يردون الناس إلى حكم شرع الإسلام في الدماء والأموال، ونحو ذلك، وذلك أن الدماء والأموال وإن كان يستحب للمظلوم أن يعفو فيها عن ظالمه، فالحاكم هو الذي يحكم بين الناس متى حكم على المظلوم بترك حقه كان حاكمًا بالظلم لا بالعدل. فلا بدَّ من شرع يتضمن الحكم بالعدل، ولابد - مع ذلك - من ندب الناس إلى العفو والأخذ بالفضل، وهذه شريعة الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة: ٤٥]. . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وقال أنس: ما رُفع للنبي ﷺ أمر شيء فيه القصاص إلا أمر فيه بالعفو، فكان يأمر بالعفو، ولا يُلزم الناس به.

وهكذا نجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد رد عليهم ردًّا حاسمًا مقنعًا وبين مدى الحاجة الماسة إلى شريعة الإسلام، ومدى النفع العظيم الذي عاد على البشرية جمعاء من رسالة رسول الله ﷺ ففي القرآن الكريم من العلوم النافعة، والهدى والحق ما ليس في كل من الكتابين الذين يزعمون أنَّه لا حاجة للناس بعدهما إلى أيّ كتاب سماوي آخر مع علم الجميع بأن التوراة والإنجيل قد بدلتا، وحرفتا عما أنزلهما الله تعالى فكانت الحاجة ماسة إلى دين سماوي ينسخ الأديان السابقة جميعها ويجمع الناس كلهم تحت رايته فكان هذا الدين هو دين الإسلام.



## المبحث الثالث: شبهات المستشرقين والرد عليها

### الشبهة الأولى: دعوى الأخذ من التوراة والإنجيل:

في صدد إنكار المستشرقين لنبوة رسول الله ﷺ فإنهم يزعمون أن القرآن الكريم إنما هو من تأليف محمد ﷺ وأنه استقى تعاليمه من الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى.

ويستدلون على ذلك بوجود تشابه بين القرآن الكريم والكتب المقدسة في بعض الأمور.

**وتدعيمًا لرأيهم هذا فإنهم جعلوا لرسول الله ﷺ معلمين ادعوا أنه استقى علومه منهم وتعلم على أيديهم حتى أتى بهذا القرآن، وهؤلاء المعلمون هم:**

**أولًا: دعوى الأخذ من بحيرى الراهب.**

يزعم المستشرقون أن محمدًا ﷺ لقي بحيرى الراهب في مدينة بصرى الشام وقالوا: إنه كان نسطوريًّا من أتباع آريوس في التوحيد وينكر ألوهية المسيح، وعقيدة التثليث، وأن محمدًا لا بد أن يكون علم منه عقيدته، بل تمادى بعض الرهبان وزعموا أن بحيرى هذا كان معلمًا لمحمد ومصاحبًا له بعد رسالته، وأنّ محمدًا ما حرم الخمر إلا لأنه قتل أستاذه بحيرى وهو سكران[1].

**وبالرجوع إلى كتب السيرة فإننا نجدها تذكر أن رسول الله ﷺ ما رحل إلى الشام قبل بعثته ﷺ إلا مرتين: الأولى: كانت مع عمه أبي طالب. والثانية: كانت في**

---

(١) انظر: «الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا (ص٩٦). وانظر أيضًا: «سيرة الرسول في تصورات الغربيّين».

**تجارة لخديجة** رضي الله عنها.

**وتفصيل ذلك ما ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق قال:** «إن أبا طالب خرج في ركب تاجرًا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صب به رسول الله ﷺ فرقّ له، وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدًا.

فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له (بحيرى) في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها، يتوارثونه كابرًا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى، وكانوا كثيرًا ما يمرون به قبل ذلك، فلا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريبًا من صومعته صنع لهم طعامًا كثيرًا، وذلك عن شيء رآه في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم.

قال: ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبًا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصّرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها.

فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أُحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرّكم.

فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنًا اليوم، ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرًا فما شأنك اليوم؟! قال له بحيرى: صدقت قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا فتأكلوا منه كلكم. فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم -

لحداثة سنه - في رحال القوم تحت الشجرة.

فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي.

قالوا له: يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًّا فتخلف في رحالهم. فقال: لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم.

قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا!! ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم.

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظًا شديدًا، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه!! وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: لا تسألني باللات والعزى شيئًا فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما!! فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه!! فقال له: سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا. قال: فإنه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به.

قال: صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود؛ فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغُنَّه شرًّا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم. فأسرع به إلى بلاده!!»(١).

**ومن هذه الرواية التاريخية التي تذكر قصة لقاء بحيرى الراهب برسول الله ﷺ يتبين لنا بطلان أستاذية الراهب بحيرى لرسول الله ﷺ من عدة أوجه، هي:**

**أولًا:** أن لقاء الرسول ﷺ ببحيرى الراهب كان لقاءً قصيرًا، وكان عُمْر النبي ﷺ - كما تذكر الروايات - اثني عشر عامًا(٢). ثم إن النبي ﷺ لم يكن وحيدًا في هذا اللقاء بل تم اللقاء في حضرة رجال القافلة، فكان معه ﷺ شاهد في المرة الأولى وهو عمه أبو طالب، وشاهد في المرة الثانية وهو ميسرة غلام خديجة التي خرج الرسول ﷺ بتجارتها.

**وكل ما هنالك** أن بحيرى الراهب رأى سحابة تظلله ﷺ من الشمس، فذكر لعمه أن سيكون لهذا الغلام شأن، ثم حذره عليه من اليهود، وقد رجع به عمه خوفًا عليه.

**ثم إننا نقول:** لو كان الرسول ﷺ قد تلقى فعلًا من (بحيرى) شيئًا أو تعلم منه أمرًا من الأمور، لكان هذا سببًا لفرح قومهِ وهم الحريصون على تكذيبه حيث سينسبون ما قاله إلى (بحيرى) فيتخذون من هذه التهمة مطعنًا في نبوته، ولكنهم لم يفعلوا فثبت أن هذه التهمة لا أساس لها من الصحة أبدًا.

**ثانيًا:** أنه من المستحيل أن يقف هذا الراهب موقف المعلم لمحمد ﷺ لأنه بشَّره أو بشَّر عمه بنبوته، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة ثم ينصب نفسه أستاذًا لصاحبها الذي سيأخذ عن الله.

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ١٦٦).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١٦٦، ١٦٧).

ثم إن فترة اللقاء كانت قصيرة جدًّا لا يمكن أن يتم فيها التعليم ولا يمكن أن يأتي رسول الله ﷺ بالقرآن الكريم الذي يحوي كل هذه العلوم نتيجة هذا اللقاء العابر، إضافةً إلى أن الرسول ﷺ كان مشتغلًا عن التعليم بالتجارة، وكان أميًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

**ثالثًا:** أن طبيعة الدين الذي ينتمي إليه (بحيرى) تأبى أن تكون مصدرًا للقرآن وهديه، وخصوصًا بعد أن أصاب ذلك الدين ما أصابه من تغيير وتحريف، ففاقد الشيء لا يعطيه، إضافةً إلى أن القرآن قد تصدى لتصحيح عقائد أهل الكتاب وتقويمها.

**رابعًا:** لو كان (بحيرى) هو مصدر القرآن الكريم لكان هو الأَوْلى بهذا الشأن العظيم من محمد ﷺ، ولادعى لنفسه النبوة بدل أن يُؤْثر بها غيره[١].

**ثانيًا: دعوى الأخذ من ورقة بن نوفل:**

**زعم بعض المستشرقين أن رسول الله ﷺ قد تتلمذ على يدي ورقة بن نوفل، وأخذ علومه عنه[٢].**

**وبالرجوع إلى كتب السيرة لمعرفة خبر (ورقة) نجد أنه قد جاء في سيرة ابن هشام أن خديجة** رضي الله عنها حين جاءها رسول الله ﷺ خائفًا حين نزل عليه الوحي أول مرة - انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصي، وهو ابن عمها فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل: (قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنتِ صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له فليثبت)، فرجعَتْ خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة

---

(١) انظر: «مناهل العرفان في علوم القرآن» (٢/ ٤٢١-٤٢٣).

(٢) انظر: «الوحي المحمدي» (ص٩٦).

ابن نوفل، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره، وانصرف صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت. فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، وقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولَتُكَذَّبَنَّه، ولَتُؤْذَيَنَّه، ولتُخْرَجَنَّه، ولتُقَاتَلَنَّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصرًا يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقَبَّل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله[١].

**ومن هذه الرواية يتضح لنا** أن الرسول ﷺ لم يتصل بورقة قبل أن يأتيه الوحي بل بعد أن جاءه الوحي.

وهذه الحادثة مذكورة أيضًا في صحيح البخاري، وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها هي التي ذهبت برسول الله ﷺ إليه للاستفسار والاطمئنان، ولما أخبره رسول الله ﷺ بخبره بشَّره ورقة بأنه سيكون نبي هذه الأمة، وأنَّ ما جاءه هو الناموس الأكبر الذي جاء موسى، فكان موقف ورقة من رسول الله ﷺ موقف المصدق والمؤمن بنبوته ﷺ وأنه كان يتمنى أن يعيش حتى يكون تابعًا لمحمد ﷺ ينصره ويدافع عنه في وقت المحنة.

ثم إن الروايات[٢] تبين أن ورقة لم يعش طويلًا بعد هذا اللقاء برسول الله ﷺ، فلو كان هو مصدر ما جاء به رسول الله ﷺ من العلوم فكيف كان يأتي رسول الله ﷺ بالعلوم بعد موته؟!

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٢٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي (١/ ٥، ٦).

**إن هذه الشبهة باطلة ولا أساس لها من الصحة، بل لا تعدو اتهامات المستشرقين أن تكون لغوًا باطلًا**[١].

**ثالثًا: دعوى الأخذ عن اليهود والنصارى المنتشرين في الجزيرة العربية:**

كما يدّعي هؤلاء المستشرقون أن الرسول ﷺ قد تتلمذ على أيدي اليهود والنصارى الذين كانوا منتشرين في جزيرة العرب.

فزعم (درمنغام) أنه كان بمكة أناس من اليهود والنصارى، ولكنهم كانوا عبيدًا وخدمًا، وكان رؤساء قريش لا يسمحون لهم أن يسكنوا في مكة حرمهم المقدس الخاص بوثنيتهم وأصنامهم، بل كان هؤلاء يسكنون في أطراف مكة، وكانوا يتحدثون بقصص عن دينهم ما اتصل إلى مسامع رؤساء قريش وعظمائهم، أو ما كانوا يحفلون بها لسماع أمثالها في رحلاتهم الكثيرة[٢].

ولا شك أن هذه الشبهة واهية يكذّبها التاريخ، فإن رسول الله ﷺ لم يَثبت عنه أنه التقى بأحد من اليهود والنصارى قبل البعثة إلا بحيرى الراهب، وقد سبق لنا الردّ على هذه الشبهة.

**وسَنَرُدّ الآن بشيء من التفصيل على دعوى الأخذ من اليهودية والنصرانية، وأن القرآن الكريم ليس إلا نسخة عنهما.**

### بطلان ادعاء أن القرآن نسخة عن التوراة والإنجيل.

**أولًا: موقف القرآن الكريم من الكتب السماوية السابقة.**

يقول الله ﷻ في محكم آياته: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) انظر: «مناهل العرفان في علوم القرآن» (٢/ ٤٢٨).

(٢) المصدر السابق.

إن موقف القرآن بالنسبة للكتب السماوية الأخرى بيان للدين كما أراده الله ﷻ، ثم الحكم على ما في الكتب السماوية المبدّلة - والتي أصابها الكثير من التحريف والتغيير - بالصحة أو الفساد.

فالمراد بالكتاب الأول القرآن الكريم، فاللام فيه للعهد، والمراد بالكتاب الثاني جنس الكتب، فالتعريف فيه للجنس أو للعهد، ويكون المراد منه نوع معلوم، وهو ما أُنزل من السماء سوى القرآن الكريم.

«ومهيمنًا» أي: رقيبًا على سائر الكتب يشهد لها بالصحة والثبات[1]، فالصحيح فيها ما وافق القرآن، والباطل ما خالفه.

فمرد التشابه في بعض جوانب قصص القرآن الكريم مع ما في أسفار الكتاب المقدس إلى أنها تتضمن وحي الله إلى أنبيائه في الأصل، وأنها وإن حُرفت لكنها لم تُمسخ كليًّا بل بقي فيها بعض المعالم مما أنزل الله على رسله، وإنه لمقدار يسير، وقد أورد الله في القرآن الكريم بعضه نقيًّا من تحريف المغرضين وتضليل المضللين.

ثم إنّ أخبار القرآن عن غيب الماضي قد جاءت تصحح أخبار الكتب السابقة التي جعلها التشويه تُنسب إلى الله ﷻ من رديء الصفات ما يتنافى مع جلاله وكماله، وتنسب إلى الأنبياء ما لا يليق وتحط من مكانتهم، فجاء القرآن نقيًّا من تلك الشوائب وذكر ما اتصف به الرسل حقيقةً من الكمالات التي أنشأهم الله عليها ليكونوا خير قدوة للناس.

**إن القرآن الكريم يصور لنا علوم أهل الكتاب بأنها الجهالات، وعقائدهم بأنها الضلالات والخرافات، وأعمالهم بأنها الجرائم المنكرات.**

---

(١) انظر: «الوحي المحمدي» (ص ٩٩).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾ [آل عمران: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقال ﷻ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ [آل عمران: ٩٣].

**وهذا طرف من وصفه وتفنيده لخرافاتهم الدينية:**

قال ﷻ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال ﷻ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: ١٨].

وقال ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: ١٧].

وقال ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فقد صوّر القرآن الكريم عقيدة علماء الدين في زمن رسول الله ﷺ

ولاسيما علماء النصارى، فقد كان يغلب عليها طابع الشرك.

**وهذه سلسلة أخرى من جرائمهم يسردها القرآن الكريم متواصلة الحلقات:**

قال ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [النساء: ١٥٥] إلى أن قال ﷻ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٥٦، ١٥٧] إلى أن قال ﷻ: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

فهل ترى من هذه الآيات كلها صورة أساتذة يتلقى عنهم صاحب القرآن علومه، أم بالعكس نرى منه معلمًا يصحح لهم أغلاطهم وينعى عليهم سوء حالهم؟[(١)].

**ويسرني أن أستشهد بكلام (الكونت هنري دي كاستري) الذي هداه الله ﷻ للإسلام، وألّف كتابه «الإسلام: خواطر وسوانح» والذي يردّ فيه على افتراءات المستشرقين، والتي منها أنّ الرسول ﷺ أخذ تعاليمه من التوراة والإنجيل حيث يقول:**

(ما كان يقرأ ولا يكتب، بل كان كما وصف نفسه مرارًا - نبيًّا أميًّا -، وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه، ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتعلم العلم بحيث لا يعلمه الناس؛ لأن حياة الشرقيِّين كلها ظاهرة للعِيان، على أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار.... كذلك من الخطأ - مع معرفة أخلاق الشرقيِّين - أن يستدل على معرفة النبي للقراءة والكتابة باختيار السيدة خديجة رضي الله عنها إياه لمتاجرها في الشام، ولم تكن لتعهد إليه أعمالها إن كان جاهلًا غير متعلّم،

---

(١) انظر: «بينات المعجزة الخالدة» (ص٤٠١، ٤٠٢).

فإنا نشاهد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرؤون ولا يكتبون، وهم في الغالب أكثرهم أمانةً وصدقًا.

أما فكرة التوحيد فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والإنجيل؛ إذ لو قرأ تلك الكتب لردّها لاحتوائها على مذهب التثليث، وهو مناقض لفطرته، مخالف لوجدانه منذ خلقه، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعةً واحدةً هو أعظم مظهر في حياته، وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته)[١].

فلا شك أن ما صادفه ﷺ لدى أهل الكتاب من المادة الدينية كان يصلح لهدم الأمم لا لبنائها، فلم يكن فيه ما هو صالح لتُبنى عليه رسالة جديدة، تختلف عما هو سائد من العقيدة المحرفة المبدّلة، التي حرفها أهل الكتاب، وأدخلوا فيها الكثير من الشرك والأباطيل.

**ثانيًا: بخل أهل الكتاب بعلومهم وكتمانها عن غيرهم:**

**إنه يحق لنا أن نتساءل:** هل كانت علوم أهل الكتاب مبذولة لطالبيها؟ أم كان حرصهم على هذه العلوم أشد من حرصهم على حياتهم، وكانوا يضنّون بها حتى على أبنائهم استبقاءً لرياستهم أو طمعًا في منصب النبوة الذي كانوا يستشرفون له في ذلك العصر؟

**يخبرنا القرآن الكريم أنهم كانوا في سبيل الضنّ بكتبهم وعلومهم لا يتورّعون عن منكر:** فكانوا تارة يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون: هو من عند الله. قال ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وتارة يلوون ألستهم بالكتاب: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ

---

(١) انظر: «النبأ العظيم» (ص ٥٩، ٦٠).

لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

وتارةً: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

وتارةً: يبترون الكتب فيظهرون بعضها ويخفون بعضها: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ [الأنعام: ٩١].

وتارة: يحاجون بمحفوظهم، فإذا قيل لهم: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] بُهتوا فلم يجيبوا.

فجاء القرآن يرميهم علنًا باللبس والكتمان: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٧١].

بل جاء القرآن كاشفًا لما ستروه، مبينًا لما كتموه، حاكمًا فيما اختلفوا فيه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ١٥].

وقال تعالى ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

**فقد بَيَّنَ الله أنّ مقاصد القرآن الأساسية بيان ما اختلف فيه أهل الكتاب[(١)].**

**ثالثًا: شدّة عداوة أهل الكتاب للرسول ﷺ.**

لقد وردت آيات كريمات في كتاب الله ﷻ تنفي أن يكون هذا الوحي وهذا القرآن قد استفيد من أهل الكتاب.

قال ﷻ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ

(١) نقلًا عن مقدمة المترجم في ترجمته لكتاب «محمد رسول الله» لإتيين دينيه (ص١٦).

عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: ١٠٥].

وقال ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٥].

(فأهل الكتاب لعداوتهم الشديدة للمسلمين لا يودون إنزال الخير عليهم من الله ﷻ، وقد بَيَّن سبحانه شدة عداوتهم للرسول ﷺ ولِما جاء به الرسول ﷺ من الهدى والخير، فحَكَم عليهم بعدم متابعة الرسول ﷺ مهما يأتِ به من البينات، فكيف يتأتى بعد هذه العداوة أن يكون الرسول ﷺ قد أخذ عنهم هذا الخير الوفير، والهدى المبين الذي كانوا يخفون كثيرًا منه؟!)[(١)].

**وبذلك يتضح لنا - من خلال موقف العداء الذي وقفه أهل الكتاب من رسول الله ﷺ وخاصة عندما هاجر إلى المدينة حتى أقاموا بينهم وبين رسول الله ﷺ سدًّا من أحقادهم على الإسلام** - أنه لا يمكن أن يكونوا هم المعلمين لرسول الله ﷺ، أو أن الرسول ﷺ قد أخذ عنهم شيئًا ألبتة، فما جاء به الرسول ﷺ يختلف اختلافًا بيّنًا عما كان عند أهل الكتاب ويسمو بتعاليمه عما كانوا يتخبطون فيه من أباطيل بعد أن حرفوا كتبهم السماوية.

**ويتبين لنا** أن ما يدّعيه المستشرقون ليس إلا كلامًا فارغًا وهراءً لا يُلقى له بال، لولا أنّهم يشيعون هذه الأباطيل عن الإسلام ورسوله، فلذلك كان لابد

(١) انظر: «الوحي وإبطال الشبهات» (ص٣٤٩).

من الرد عليهم حتى يقفوا عند حدودهم، وينكشف أمرهم للجميع.

فما دفعهم إلى ترويج هذه الأباطيل إلا حقدهم الدفين على الإسلام وأهله، وتعصبهم المقيت لباطلهم حتى فقدوا روح الموضوعية وصار بعضهم يكيل السباب والشتائم للإسلام وأهله صراحةً، وبعضهم يدس الدسائس ويثير الشبهات التي لا تستقيم أمام البحث والمناقشة فتنهار كما سبق أن رددنا عليهم في ادعائهم أن القرآن نسخة عن التوراة والإنجيل.

### الشبهة الثانية: ادعاؤهم أنّ القرآن فيض من نفس محمد، وليس وحيًا إلهيًّا:

خلاصة رأي هؤلاء الماديين أن الوحي إلهام كان يفيض من نفس النبي الموحى إليه لا من الخارج، وذلك أنّ مَنازع نفسه العالية وسريرته الطاهرة وقوة إيمانه بالله وبوجوب عبادته وترك ما سواها من عبادة وثنية وتقاليد وراثية رديئة - يكون لها في جملتها من التأثير ما ينجلي في ذهنه، ويُحْدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحية، فيتصوّر ما يعتقد وجوبه إرشادًا إلهيًّا نازلًا عليه من السماء بدون وساطة، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك، يعتقد أنه ملك من عالم الغيب، وقد يسمعه يقول ذلك، وإنما يرى ويسمع ما يعتقده في اليقظة كما يرى ويسمع مثل ذلك في المنام الذي هو مظهر من مظاهر الوحي عند جميع الأنبياء[١].

ويقولون: إنّ الرسول ﷺ بعبقريته وذكائه استطاع أن يأتي بهذا القرآن من عند نفسه.

**وهكذا يتضح لنا أنهم يحاولون بكل وسيلة أن ينفوا أن ما جاء به رسول الله ﷺ هو وحي من السماء، فهم يخدعون السذج بهذا الكلام المعسول، الذي يمتدحون به**

(١) «الوحي المحمدي» (ص٨٧).

**رسول الله ﷺ ويرومون بهذا نفي النبوة عنه ﷺ.**

### الجواب على تلك الدعوة:

**أولًا:** نفي القرآن الكريم نفسه أن يكون من كلام البشر.

**ثانيًا:** انقطاع الوحي عن رسول الله ﷺ فترة من الزمن.

**أولًا: نفي القرآن الكريم نفسه أن يكون من كلام البشر.**

يؤكد القرآن الكريم على أنه لم يكن لمحمد ﷺ إزاء القرآن الكريم إلا التبليغ والبيان والتفسير ثم التطبيق والتنفيذ، أما ابتكار معانيه وصياغته فما هو منها بسبيل.

قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤].

قال ﷻ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ﴾ [يونس: ١٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢].

فالقرآن صريح في أنه لا صنعة فيه لمحمد ﷺ ولا لأحد من الخلق، وإنما هو مُنزل من عند الله بلفظه ومعناه.

**وهناك أدلة على مبلغ صدق رسول الله ﷺ وأمانته في تبليغ الوحي، وأنه لم يكن ليأتي بشيء من القرآن من تلقاء نفسه، وهذه الأدلة منها:**

١- لقد كان يجيئه الأمر أحيانًا بالقول المجمل أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله حتى ينزل الله عليهم بيانه، فأي عاقل توحي إليه نفسه كلامًا لا يفهم هو معناه؟

مثال ذلك: نزل قوله ﷻ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤] فخاف الصحابة لأنهم فهموا أنهم سيحاسبون على كل شيء حتى خطرات القلوب، فسألوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله

أنزلت علينا هذه الآية ونحن لا نطيقها!! فقال لهم ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير**» فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى أنزل الله بيانها بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهنالك علموا أنهم إنما يحاسبون على ما يطيقون.

فلو كان النبي ﷺ يعلم تأويل الآية من أول الأمر لبين لهم خطأهم، ولأزال اشتباههم من فوره لأنه لم يكن ليكتم عنهم هذا العلم وهم في أشد الحاجة إليه.

٢- لقد كان ﷺ حين ينزل عليه القرآن في أول عهده بالوحي يتلقفه متعجلًا فيحرك به لسانه وشفتيه، طلبًا لحفظه، وخشية ضياعه من صدره، حتى ضمن الله له حفظه وبيانه بقوله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]. وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

فهذه شواهد ناطقة بصدق النبي ﷺ وأنّ القرآن لم يصدر عنه بل ورد إليه وأنه لم يفض على قلبه بل أفيض عليه(١).

**ثانيًا: انقطاع الوحي عن رسول الله ﷺ فترة من الزمن.**

مما يبطل شبهة الوحي النفسي أن الروايات الصحيحة قد أثبتت أن الوحي انقطع عن رسول الله ﷺ فترة من الزمن، وقد شقّ ذلك عليه وأحزنه حتى ظنّ أنّ الله قد قلاه، فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه فيها أنه ما ودعه وما قلاه.

---

(١) انظر: «النبأ العظيم» (ص ٢٨- ٣٢).

روى البخاري في صحيحه[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «**ألا تزورنا أكثر مما تزورنا**» قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤].

فهذا من أبلغ الردود على دعوى هؤلاء المستشرقين أن الوحي من نفس رسول الله ﷺ.

**وهناك حالات تأخر فيها نزول الوحي على رسول الله ﷺ وهو في أشد الحاجة إليه، وهذه الحالات هي[٢]:**

١- في حادثة الإفك: حين شاع حديث الإفك وأرجف المنافقون بما اتهموا به السيدة عائشة رضي الله عنها، قاصدين بذلك الطعن في رسالة النبي ﷺ، مر الرسول ﷺ بأيام بالغة العسر؛ لأن اتهامها يمس كرامته وشرفه، وأبطأ الوحي عليه في هذه القضية، وتحرّج الصحابة معه حتى بلغت القلوب الحناجر، ومضى شهر بأكمله ولم يزد على أن قال لها آخر الأمر: «يا عائشة أما إنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله».

وظلّ ﷺ هكذا حتى نزول الوحي ببراءتها، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤].

٢- في سؤال المشركين عن الروح دليل على أنّ هذا الوحي منفصل عن ذاته ﷺ.

روى البخاري عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ سئل عن الروح فسكت حتى

(١) صحيح البخاري (٤/ ٨٠)، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

(٢) انظر: «الوحي وإبطال الشبهات» ص ٣٥٨ - ٣٦٢.

نزلت الآية[١]: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

**ومن الأدلة على أن هذا القرآن ليس وحيًا نفسيًّا فاضت به نفس رسول الله ﷺ** أننا لا نجد فيه آية واحدة تثبت صدور القرآن عن نفس رسول الله ﷺ، بل الحديث عن الرسول ﷺ في القرآن إما بضمير الغائب أو بضمير المخاطب، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ فلم تأتِ آية واحدة تتحدث عن رسول الله ﷺ بضمير المتكلم.

**وهناك دليل آخر على انفصال شخصيته** ﷺ عن الوحي الذي ينزل عليه، فقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم فيها عتاب للنبي ﷺ في غير ما يحبه، فتخطِّئه في آرائه، وتأذن له في الشيء لا يميل إليه، فإذا تلبث فيه يسيرًا تلقاه القرآن بالتعنيف الشديد، والعتاب القاسي، والنقد المرّ، حتى في أقل الأشياء خطرًا.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١].

وقال تعالى: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقال في شأن الإذن لجماعة المتخلفين في غزوة تبوك: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣].

ويقف القرآن رادًّا قلب الرسول الكريم، وعاطفته الروحية التي وسعت المنافقين على نفاقهم، والمشركين رجاء إيمانهم من أن يستغفر لهم، قال

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب ما كان النبي ﷺ يسأل مما ينزل عليه الوحي(٨/ ١٤٨).

الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣].

ونظير ذلك ما نزل في شأن أسرى بدر، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾ [الأنفال: ٦٧].

وقال تعالى في شأن إعراضه ﷺ عن عبد الله بن أم مكتوم طمعًا في إيمان بعض المشركين: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾ [عبس: ٥-١٠].

**ويعلق محمد عبد الله درّاز[(١)] على هذه الآيات الكريمات بقوله:** (أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه، ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط في رأيه، أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه واستبقاء لحرمة آرائه؟ بلى، إن هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئًا من ذلك الوجدان، ولو كان كاتمًا شيئًا لكتم أمثال هذه الآيات، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤﴾)[(٢)].

**ويقول أيضًا في موضع آخر من كتابه:** (وأنت لو نظرت في هذه الذنوب التي وقع فيها العتاب عليها، لوجدتها تنحصر في شيء واحد، وهو أنه ﷺ كان

---

(١) محمد عبد الله درّاز: فقيه مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، وله كتب، منها: «الدين»، «دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام»، توفي سنة (١٣٧٧هـ). انظر: ترجمته في «الأعلام» (٦/٢٤٦).

(٢) انظر: «النبأ العظيم» (ص ٢٥).

إذا ترجح بين أمرين ولم يجد فيهما إثمًا، اختار أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه وتأليف خصمه وأبعدهما عن الغلظة والجفاء، وعن إثارة الشبه في دين الله، ولم يكن بين يديه نص فخالفه كفاحًا أو جازوه خطأً ونسيانًا، إنما نبهه القرآن إلى ما هو أرجح في ميزان الحكمة الإلهية)(١).

**وها هو الحق يظهر جليًا في كتابات من هداه الله تعالى للإسلام من المستشرقين حيث يقول (الكونت هنري دي كاستري):** (والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجلٍ أميٍّ، وقد اعترف الشرق قاطبةً بأنها مما يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظًا ومعنى، آيات لمَّا سمعها عتبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب فآمن، وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لمّا تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة مريم وما جاء في ولادة يحيى فلمّا كان اليوم التالي طلب النجاشي جعفرًا، وأشار إليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح، ففعل، واستغرب الملك لمّا سمع أن المسيح عبد الله ورسوله وروح منه، ونزل في أمه مريم، وأُعجب أشد الإعجاب بهذه المعاني، وحمى المسلمين، ولم يسلمهم إلى رسل قريش ولم ينفهم من بلاده).

وهكذا يتضح لنا من كل هذه الأدلة السابقة كذب المستشرقين في ادعائهم أن القرآن الكريم فاضت به نفس الرسول ﷺ بل هو كلام الله تعالى أوحاه إلى رسوله ﷺ فبلغه إلى الناس كافة.

### الشبهة الثالثة: ادعاؤهم أن الوحي المحمدي وليد قوة فكرية.

ادعى المستشرقون أن رسول الله ﷺ كان له من حدة الذكاء ونفاذ البصيرة، وقوة الفراسة، وشدة الفطنة، وصفاء النفس، وصدق التأمل – ما

---

(١) «النبأ العظيم» (ص٢٦).

يجعله يدرك مقاييس الخير والشر والحق والباطل بالإلهام، ويتعرف على خفايا الأمور بالكشف والوحي النفسي، ولا يخرج القرآن عن أن يكون أثرًا للاستنباط العقلي والإدراك الوجداني عَبَّر عنه محمد بأسلوبه وبيانه[1].

**الجواب عن ذلك يتضمن ثلاثة جوانب:**

١- الجانب الإخباري في القرآن.

٢- الحقائق العلمية.        ٣- النظم الأخلاقية.

لا يشك عاقل في كذب هذا الكلام، لاسيما إذا قرأ القرآن الكريم بتمعّن وتدبّر، فهناك الآيات والبراهين القاطعة التي تثبت أن هذا القرآن لا يمكن أن يأتي به بشر كائنًا من كان مهما بلغ من حدة الذكاء والفراسة.

**وهذه الأدلة منها:**

**١- الجانب الإخباري في القرآن:**

لا يشك عاقل أن هذا الجانب لا يعتمد إلا على التلقي والتعلم، ولا يمكن أن يأتي به إنسان من نفسه، فقد ذكر القرآن أنباء مَن سبق من الأمم والجماعات والأنبياء، والأحداث التاريخية بوقائعها الصحيحة الدقيقة، ولم يعاصر النبي ﷺ تلك الأمم وهذه الأحداث في قرونها المختلفة حتى يشهد وقائعها، وينقل أخبارها كما لم يتوارث كتبها ليروي أخبارها[2].

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ

---

(١) انظر: «مباحث في علوم القرآن» (ص ٤٣)، للشيخ مناع القطان.

(٢) «مباحث في علوم القرآن» (ص٤٣).

أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩].

**وهناك أمثلة لبعض النبوءات القرآنية، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع هي(١):**

**أوّلًا: النبوءات فيما يتعلق بمستقبل الإسلام في نفسه أو في شخص كتابه ونبيه.**

**ثانيًا: فيما يتعلق بمستقبل حزب الله. ثالثًا: فيما يتعلق بحزب الشيطان.**

**مثال للنوع الأول:**

ما جاء في بيان أن هذا الدين قد كتب الله له البقاء وضمن الله حفظ كتابه وصيانته، وردت في هذا آيات كثيرة، منها: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

فهذه آيات مكية تتنبأ بظهور الإسلام في وقت كان المسلمون فيه مضطهدين، فهل يمكن لبشر أن يتنبأ بمثل هذا للإسلام في ظل هذا الظلام الحالك الذي يحيط بالمسلمين؟

**مثال للنوع الثاني: فيما يتعلق بمستقبل حزب الله....**

كان المشركون يجادلون المسلمين في مكة قبل الهجرة، يقولون لهم: إن الروم يشهدون أنهم أهل كتاب، وقد غلبتهم المجوس وأنتم تزعمون

---

(١) انظر: «النبأ العظيم» (ص٤٢ - ٥٣).

أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أُنزل عليكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم! فنزل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [الروم: ١- ٤].

ولم يكتفِ القرآن بالإخبار بانتصار الروم على الفرس، بل قال تعالى أيضًا: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم: ٤، ٥].

فهذه إشارة إلى أن اليوم الذي يكون فيه النصر للروم على الفرس سيقع فيه نصر للمسلمين على المشركين.

ولقد صدق الله وعده فتمت للروم الغلبة على الفرس بإجماع المؤرخين في أقل من تسع سنين، وكان يوم نصرها هو اليوم الذي وقع فيه النصر للمسلمين على المشركين في غزوة بدر.

**مثال على النوع الثالث: فيما يتعلق بمستقبل حزب الشيطان:**

استعصى أهل مكة على النبي ﷺ فدعا عليهم بسنين كسني يوسف، قال الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١﴾ [الدخان: ١٠، ١١].

فأصابهم القحط حتى أكلوا العظام، وحتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينها وبينه كهيئة الدخان من الجهد.

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي فيها نبوءات مما سيحصل في مستقبل الزمان، وفعلًا تحقق كل ذلك كما وعد به الله تعالى.

فهل يمكن أن يقول عاقل: إن الرسول ﷺ استطاع بفراسته أن يتنبأ بكل هذه الأمور المستقبلية؟

إننا لا نشك في ذكاء رسول الله ﷺ وعبقريته، ولكنه بشر، ومهما بلغ من حدة الذكاء فلا يمكنه أن يطلع على الغيب، وقد أكد ﷺ هذا الأمر حين قالت جارية كانت تضرب بالدف في عرس بالمدينة: (وفينا نبي يعلم ما في غد) فقال ﷺ: «**لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين**».

**٢- لقد جاء في القرآن الكريم الكثير من الحقائق العلمية:**

ورد في القرآن الكثير من الحقائق العلمية التي خلت عن الأوهام، والأخطاء العلمية الشائعة في البيئة العربية، هذه الحقائق التي انتهت إليها التجارب العلمية الحديثة بعد جهود دراسية مضنية أنتجتها تجارب كثيرة، إذا ما قارناها بالبيئة المحمدية التي ظهرت فيها أول ما ظهرت مما يؤكد لنا الانفصال التام بين الوحي والفكر النبوي الشريف[١].

وإذا أضفنا إلى ذلك كله أمية الرسول ﷺ كان واضحًا أن هذه الحقائق لا يمكن أن تكون وليدة فكره ﷺ.

**وأذكر من هذه الحقائق ما يلي:**

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فكيف تيسر لمحمد بن عبد الله الأمي أن يعرف تلك المعادلة الهائلة أُم الحقائق الأرضية كلها، وهو الرجل الذي عاش بين أمة أمية لا عهد لها بالقراءة والكتب والبحوث والدراسات - إلا بمعونة السماء؟

وكيف تيسر له ﷺ أن يعرف تلك الحقيقة الهائلة أن عسل النحل فيه شفاء للناس؟

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨].

---

(١) انظر: «الوحي وإبطال الشبهات» (ص ٣٥٠).

واكتشف علماء الفلك - بعد نزول القرآن بألف عام أو أكثر - أن كوكب الأرض بما عليه من جبال هي أثقل وأضخم كتلة - يدور في الفضاء ويمر مر السحاب، وأن ما يبدو للأعين من تنقل الشمس والنجوم من الشرق إلى الغرب إنما هو نتيجة لدوران الأرض نفسها من الغرب إلى الشرق. فكيف يعرف النبي ﷺ هذا بأبي وأمي هو إلا أن يكون وحي أوحاه له الباري ﷻ.

ويطيب لي أن أستشهد بقول المسلم الفرنسي الشهير (الدكتور جرينيه) الذي كان عضوًا كبيرًا في مجلس النوّاب الفرنسي، وقد سئل عن سبب إسلامه، فقال: (إني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، والتي درستها من صغري، وأعلمها جيدًا، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأني تيقنت أن محمدًا ﷺ أتى بالحق الصُّراح من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدًا كما قارنت أنا، لأسلم بلا شك، إن كان عاقلًا خاليًا من الأغراض)[(١)].

٣- لقد جاء القرآن الكريم بأكمل النظم الأخلاقية والاجتماعية التي لا تصلح الحياة إلا بها.

ولقد عالجَتْ هذه النظم مشاكل لم تنتبه الإنسانية إليها إلا في هذا العصر الذي نعيش فيه، وذلك أمثال وضع المرأة في المجتمع، ووضع الرقيق والوجود الطبقي... إلى غير ذلك. وقررت مبادئ لا تستقيم الحياة الإنسانية بدونها، كمبادئ الحرية والإخاء والمساواة، ذلك كله مع تطابق

---

(١) نقلًا عن مقدمة المترجم لكتاب «محمد رسول الله» لمؤلفه إيتين دينيه (ص٣٠-٣١).

رائع مع الفطرة الإنسانية بشكل اعتُبرت به الشريعة الإسلامية شريعة عالمية تفوق الشرائع الأخرى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢] وقال تعالى في شأن الوحدة الإنسانية، والمساواة بين الأجناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣] ولا شك أن هذه المعلومات والأفكار والتشريعات الاجتماعية والأخلاقية خارجة أيضًا عن حدود الفكر الإنساني عامة، وعن العصر المحمدي بصفة خاصة فليست من عمل الذكاء بل ويستحيل أن ينشئها أي فكر إنساني على مر الدهور.

### الشبهة الرابعة: اتهامهم لرسول الله ﷺ بالصرع:

فسر المستشرقون الأعراض التي كانت تبدو على رسول الله ﷺ تفسيرًا مَرَضيًّا، فزعموا أنه ﷺ كان يعاني من النوبات الهستيرية التي إذا حدثت للمريض خيلت إليه أنه يرى صورًا وأشكالًا ويسمع أصواتًا وإن كان الواقع يخلو من ذلك، فكل ما كان يراه النبي ﷺ ويسمعه من أصوات - عندهم - ما هو إلا نتاج للنوبة الهستيرية التي تنتابه بين الفينة والأخرى[1].

**الرد على هذه الشبهة:**

هذه الادعاءات مردودة عليهم بالآتي: إن التغيرات التي يعول عليها المستشرقون تفسيرهم للوحي، بأنه ظاهرة مَرَضية - أمور يقتضيها هذا الاتصال بين عالم الغيب وعالم الشهادة، فلابد أن يكون لهذا الاتصال من مناسبة ومقاربة بين الروح النبوي وبين الروح الملائكي.

**وفي هذا الصدد يقول العلامة ابن خلدون:** وعلامة هذا الصنف من البشر -

(١) انظر: «الوحي وإبطال الشبهات» (ص ٣٦٧).

الأنبياء – أن توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم، مع غطيط كأنها غشي أو إغماء في رأي العين، وليست منهما في شيء، وإنما هي في الحقيقة استغراق في لقاء المَلَك الروحاني، بإدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية، ثم تتنزل إلى المدارك البشرية إما بسماع دوي من الكلام فيتفهمه، أو يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله، ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما أُلقي إليه.

قال ﷺ – وقد سئل عن الوحي –: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول**» ويدركه أثناء ذلك من الشدة والغطيط ما لا يعبر عنه، ففي الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة. وقالت عائشة: (كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا) وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥].

ولأجل هذه الغاية في تنزل الوحي، كان المشركون يرمون الأنبياء بالجنون، ويقولون له رِئي أو تابع من الجن، وإنما لُبِّس عليهم مما شاهدوه من ظاهر تلك الأحوال[1].

**إلى جانب ذلك فإن أعراض الصرع المعروفة تختلف تمام الاختلاف عما كان يعتري النبي ﷺ عند اتصاله بالوحي:**

فأعراض الصرع تكون مصحوبة باصفرار في الوجه وبرودة في الأطراف وغيبوبة كاملة، ثم إن المصاب بالصرع بعد إفاقته ينسى تمامًا هذه الفترة من حياته فلا يعود يذكر شيئًا منها.

أما ظاهرة الوحي فتكون مصحوبة بإشراق في الوجه وارتفاع في درجة

(١) «المقدمة» (ص ٩٢).

الحرارة وهي مبعث للنور الهادي الذي لا ظلمة فيه ومصدر للعالم المشرق الذي لا جهل فيه[١].

**وأخيرًا أستشهد بما قاله (الكونت هنري ديك استري) في الردّ على هذه الفرية حيث قال في كتابه «الإسلام خواطر وسوانح»:** (ومن ذلك الحين - أي: البعثة - أخذت شفتاه تنطلق بألفاظ بعضها أشد قوة وأبعد مرمى من بعض، والأفكار تتدفق من فمه على الدوام إلى أن يقف لسانه ولا يطيعه الصوت، ولا تجد من الألفاظ ما يعبر به عن فكر قد ارتفع عن مدارك الإنسان وسما عن أن يترجمه قلم أو لسان، وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية، فظنّ بعضهم أنّ به جِنّة، وهو رأي باطل؛ لأنّه بدأ رسالته بعد الأربعين، ولم يشاهَد عليه قبل ذلك أي اعتلال في الجسم أو اضطراب في القوّة المادية، وليس من الناس من عرف الناس جميعًا أحواله في حياته كلها مثل النبي ﷺ، فلقد وصل المحدِّثون عنه إلى أنهم كانوا يَعُدون الشعر الأبيض في لحيته، ولو أنه كان مريضًا لما أخفى مرضه؛ لأن المرض في مثل تلك الأحوال يعتبر أمرًا سماويًّا عند الشرقيين.

وليست حالة محمد ﷺ في انفعالاته وتأثراته بحالة ذي جِنة بل كانت مثل التي قال نبي بني إسرائيل في وصفها)[٢].

**وهكذا يتضح لنا من عرض شبهات المستشرقين التي يرددونها في العالم اليوم** أنها ليست سوى الشبهات التي أثارها مشركو العرب قديمًا، فجاء هؤلاء المستشرقون فألبسوها ثوب البحث العلمي وتظاهروا أنهم يدرسون الإسلام بموضوعية، وهم في حقيقة الأمر ينفسون عن أحقادهم الدفينة على الإسلام

(١) انظر: «النبأ العظيم» (ص٧٢).

(٢) نقلًا عن مقدمة المترجم لكتاب «محمد رسول الله» لمؤلفه إيتين دينيه.

ورسول الإسلام بهذه الشبهات الواهية، وقد بيّنا زيفها وبطلانها.

**وليس أبلغ في الردِّ على الكتابات الحاقدة على الإسلام ونبيِّه ﷺ من نقل أقوال مَن هداه الله تعالى من هؤلاء المستشرقين إلى الحق فآمنوا بالله تعالى ونبيِّه ﷺ، وكتبوا مؤلفات تبيِّن زيف الادعاءات وبطلان الافتراءات المنسوبة إلى الإسلام وإلى نبيِّنا ﷺ.**

**ومن هؤلاء (الفونس إتيين دينيه)** الذي وصل بعد البحث والجدل والتأملات إلى رفض المسيحية التي نشأ وتربى عليها، واعتناق الإسلام، فألف الكتب التي يردّ فيها على افتراءات المستشرقين، ويبيِّن فيها سموّ العقيدة الإسلامية وتعاليم الدين.

**ومن ذلك مقارنته بين الإله في الإسلام وفي المسيحية حيث قال:** (الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الإله شكلًا بشريًّا، أو ما إلى ذلك من الأشكال، أما في المسيحية، فإن لفظ «الله» تحيط به تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن، قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال...

كذلك (ياهو) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي، فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتهالكة، وكذلك تراه في متحف الفاتيكان، وفي نسخ الأناجيل المصورة القديمة.

أمَّا (الله) في الدين الإسلامي الذي حدَّث عنه القرآن، فلم يجرؤ مصوّر أو نحَّات أن تجري به ريشته، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد)[1].

---

(١) نقلًا عن مقدمة المترجم لكتاب «محمد رسول الله» لمؤلفه إيتين دينيه.

**وكتب معبِّرًا عن عناصر الشر لدى الغرب ضد الإسلام والمسلمين فقال:** (إن أهل السوء من أهل الكتاب لا ينفكون يهاجموننا نحن المسلمين بالأباطيل ويحاربوننا بالمفتريات. . . ، وإذا نحن شئنا أن نحصي أكاذيبهم علينا كانت فيها صفحة هي أسود الصفحات في سجل التعصب، يشترك في تسويدها أعداء الإسلام قديمهم وحديثهم، سواء منهم العلماء، والرواد، والقساوسة، ورجال الحكومات، والكُتَّاب، أمثال بيرون وبلجراف وجلاديستون. . )[١].

**و(كارلايل) أحد كبار كتاب الإنجليز هداه الله للإسلام فقال:** (من العار أن يصغي أيُّ إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين: إن دين الإسلام كذب، وإن محمدًا لم يكن على حق. لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجًا منيرًا أربعة عشر قرنًا من الزمان لملايين من الناس. . . هل رأيتم رجلًا كاذبًا يستطيع أن يخلق دينًا؟، ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟! وعلى ذلك فمن الخطأ أن نَعُدَّ محمدًا رجلًا كاذبًا متصنعًا، متذرعًا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع، وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق)[٢].

**وها هو (الكونت هنري دي كاستري) يتحدث عن آراء قومه في رسول الله ﷺ ويسخر منها فيقول:** (وذهبوا إلى أن محمدًا وضع دينه بادعائه الألوهية، ومن المستغربات قولهم: إن محمدًا الذي هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان، كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن من ذهب).

**وبعد أن ذكر كثيرًا من آراء قومه بَيَّنَ أن السبب في ذلك هو ما كتبه المؤرخون**

---

(١) نقلًا عن مقدمة المترجم لكتاب «محمد رسول الله» لإيتين دينيه (ص٣٧، ٣٨).
(٢) المصدر السابق.

**الغرب عن رسول الله ﷺ فقال:** (ولقد أطلنا القول في تلك الأضاليل لأن تاريخ إسكندر المذكور لم يُزلها، ولأنها تركت أثرًا في الأذهان، وصل إلى أهل هذه الأيام، وتشعبت به أفكارهم في النبي وكتابه).

**وقال أيضًا:** (ولو سأل سائل: هل كان أولئك المفسرون يعتقدون صحة ما يقولون؟ لأجبناه: لا، ونعم إذ من المحقق أن الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهَّل للمنشدين معرفة الدين المحمدي على حقيقته، ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في أناشيدهم، بل حفظ روح البغضاء في نفوس قومهم).

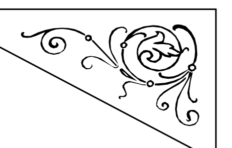
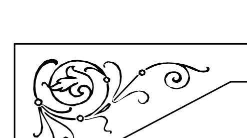
**وبَيَّن أن الحقد الأعمى هو الذي دفعهم إلى تشويه الحقائق فقال:** (أولئك كُتَّاب ما قصدوا التاريخ، ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحي الحكيم كما يقولون، وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقط حججهم أن يُشبعوا خَصمهم سبًّا وشتمًا، وأن يحرفوا في النقل ما استطاعوا)[(١)].

وفي الحقيقة فإن كتابات المستشرقين عن رسول الله ﷺ يناقض بعضها بعضًا، ولو كانت كتابات علمية حقًّا لما تناقضت وتضاربت أقوالهم عن رسول الله ﷺ، وذلك يُثبت لنا أن الحقد الأعمى الدفين في قلوبهم هو الذي يدفعهم إلى محاولة تشويه صورة النبي ﷺ، ومحاولة النيل منه عليه الصلاة والسلام، ولا أريد أن أنقل تلك الأقوال الساقطة البذيئة التي يصفون بها رسول الله ﷺ، فقد ثبت كذبهم وافتراؤهم على رسولنا ﷺ وذلك على لسان علمائهم الذين هداهم الله تعالى للإسلام.

**وأختم بقوله تعالى:** ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

---

(١) نقلًا عن مقدمة المترجم لكتاب «محمد رسول الله» لمؤلفه إيتين دينيه (ص١٥).

# فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|